المجمــع المصــرى للثقـافـة العلميـة

تاريخه ومنجزاته ودوره

فى نشـر الثقافـة العلمـية فى مصـر

للأستاذ الدكتور محمود حافظ

تمهيد :

نشطت الحركـة العلمية فى مصـر بعد إنشاء الجـامعة المصرية عـام ١٩٢٥ وكانت هناك رغبة جامحة فى اللحاق بركب الدول المتقدمة ، بعد أن عـانت مصر من احتلال مقـيت جثم على صدرها فى أواخـر القرن التاسع عشـر ، واستمر سنين عـدة أخمد خلالها جذوة العلم والحركة العلمية .

وعند التفكير فى إنشاء مـجمع للثقافة العلمية فى مصر ، بجانب الجامعة المصرية لم يكن فى مصر سوى عدد قليل جدا من الجـمعـيات العلمـية ذات النشـاط العلمى المرمـوق فى البـلاد ، ويجدر بى أن أذكـر منهـا المجـمع العلمى المصـرى الذى أنشئ عـام ١٧٩٨ ، على غرار المجـمع العلمى الفـرنسى ، إبان الحـملة الفـرنسيـة والذى واكب إنشاؤه بدء الحركة العلمـية فى مصر فى العـصر الحـديث ، وكان الغـرض من إنشائه تحقيق غرضين :

الأول نشر نور العلم فى كل رجا من أرجـاء مصر ، والثانى : بحث أحداث مـصر التاريخية ومرافقها وطبيعتها وكل مايتصل بها ، وقد قام علمـاء المجمع الذين وفـدوا مع الحملة بإنجـازاتهم الـرائـعـة فى كـتـاب « وصف مصر » ، ذلك السـفر الأعظم الذى حوى بين دفتيه وصفا علميـا دقيقا لكل ما حوته أرض مصر وماؤها ومـا أظلته سماؤها من كائنات ، مما ظـل وسيظل معـينا ينهل منه كـل من أراد أن يـرجـع إلـى هذا المـورد العظيم ، وفى عـام ١٨٠١م توقف نشـاط المجمع العلمى ، ثم بعـثت فيه الحـياة من جديد عـام ١٨٥٩ بمدينة الإسكندرية ، ثم انتقل إلى القاهرة عام ١٨٨٠ ، وظل حتى الآن يقوم برسـالته العلمـية ونشـر المعارف الإنسانية ؛ وفى عام ١٨٧٥ أنشئت الجمعية الجـغرافـية لتـقوم هى كـذلك بدورها فى الحركة العلمية-فى مـصر والعمل فى ميدان الخـدمات العلـمـيـة والـثـقـافـيـة ؛ بتنظيم المحاضرات ونشر المؤلفات وتشجيع البحث الجغرافى وإصدار المجلة الجغرافية العربية ؛ ولا تزال تقـوم بنشاطـها المرمـوق فى هذا المجال مـحليا وإقليميـا ودوليا ؛ منذ ذلك التاريخ حتى اليوم .

وقد واكب إنشاء الجمعية الجغرافية تقريبا فى مصر ظهور مجلة « المقتطف » فى بيروت عام ١٨٧٦ أداة من أدوات نشر الثقافة العلمية فى الوطن العربى، وفى عام ١٨٨٥ انتقلت هذه المجلة إلى القاهرة ، وقد قامت بدور رئيسى فى نشر الموضوعات العلمية والثقافية طوال خمسة وسبعين عاما باللغة العربية .

ومع ذلك كانت الحركة العلمية إبان القرن التاسع عشر حركة محدودة بإنشاء هاتين الجمعيتين العلميتين وظهور مجلة المقتطف ، على الرغم مما زاد عليها من نشاط فى حركة الترجمة التى قادها شيخ المترجمين : رفاعة رافع الطهطاوى (١٨٠١-١٨٧٥) فى مواجهة أمر العلوم الجديدة ومحاولة إحلال العلوم محلها اللائق فى حياة المجتمع المصرى ، لاسيما بعد إنشاء المطبعة والبدء فى تيسير حركة النشر وطبع الكتب والدوريات والمؤلفات فى مختلف العلوم والفنون وإرسال البعثات العلمية فى عصر محمد على (١٨٠٥-١٨٤٩) والاهتمام كذلك بالعلوم والمعارف فى عصر إسماعيل (١٨٦٢-١٨٧٩) .

وفى مطلع القرن العشرين نشطت الحركة العلمية فى مصر وأخذت أبعادا جديدة ؛ فأنشئت الجمعية المصرية لعلم الحشرات عام ١٩٠٧ والجمعية المصرية للاقتصاد السياسى والتشريع عام ١٩٠٩ وتلا إنشاء هاتين الجمعيتين العلميتين إنشاء ثلاث جمعيات أخرى ، هى : الجمعية الطبية المصرية عام ١٩١٦ ، وجمعية خريجى المعاهد الزراعية عام ١٩١٨ ، وجمعية المهندسين المصرية عام ١٩١٩، وفى أواخر العشرينيات أنشئت الجمعية المصرية لعلم الحيوان عام ١٩٢٧، والجمعية الكيميائية المصرية عام ١٩٢٨ - وكل هذه الجمعيات ومنها خمس جمعيات علمية وثلاث جمعيات مهنية - تقوم بدور بارز فى تقدم علومها التخصصية ؛ كما أنها تعمل أيضا فى إطار أهدافها على نشر الثقافة العلمية فى مجال تخصصها وهى تقوم برسالتها العلمية منذ إنشائها حتى اليوم .

المجمع المصرى للثقافة العلمية :

عندما بدأ التفكير فى إنشاء المجمع المصرى للثقافة العلمية فى شهر يونيه من عام ١٩٢٩ - كانت بمصر تسع من الجمعيات العلمية جاء بيانها فى التمهيد السالف الذكر ولم تكن من بين هذه الجمعيات جمعية جعلت نشاطها كله أو جله يدور حول الثقافة العلمية بل كانت كل هذه الجمعيات جمعيات علمية متخصصة ولو أن جزءا من نشاطها بالطبيعة كان ثقافيا علميا إلا إن ذلك لم يكن ليشفى علة أو ينقع غلة لدى المتعطشين لكؤوس مترعة من الثقافة العلمية يروون بها ظمأهم الذى طال بهم ردحا طويلا من الزمن .

لذلك اجتمع نخبة من علماء مصر فى ذلك التاريخ وقد حباهم الله نفحة من علمه وقبسا من نوره وآمنوا بالعلم سلاحا ماضيا تشق به الأمم الناهضة طريقها نحو مدارج الرقى ووجدوا أنهم على أبواب نهضة علمية حديثة لاحت تباشيرها بإنشاء الجامعة المصرية وإنشاء عدة جمعيات علمية وأنه لابد لهذه النهضة أن تفسح مكانا لنشر الثقافة العلمية وأنه ينبغى ألا تقصر مهمة العالم فى المجتمع الحديث على أن يقبع فى محراب العلم باحثا أو معلما بل عليه أن يؤدى رسالة العلم فى أوسع نطاق من جمهرة المتعلمين كما يشارك فى إبداء الرأى فى مشروعات وطنه ويتصدى لها بالعلم والخبرة لتقوم على الأسس العلمية السليمة وأن يصنع ذلك كله باللغة العربية .

اجتمعت هذه النخبة بدار المقتطف وهى المجلة التى أسهمت بقسط كبير فى نشر العلم والثقافة العلمية فى ذلك الحين وعقدوا بها اجتماعاتهم التمهيدية التى تدارسوا فيها موضوع إنشاء المجمع وفى العاشر من شهر يناير عام ١٩٣٠ قر قرارهم على إنشاء المجمع المصرى للثقافة العلمية واكتمل اجتماعهم الرسمى الأول فى ذلك التاريخ واختاروا المغفور له الدكتور على إبراهيم (جراح مصر) أول رئيس للمجمع وبقية الأعضاء فى ذلك الوقت وهم السادة الأساتذة: حسين سرى ، د. محمد شاهين ، أحمد حسنين ، د. على توفيق شوشة ، د. حسن صادق، د. خليل عبد الخالق ، د. على مصطفى مشرفة ، د. أحمد زكى ، د. محمد شرف ، د. أحمد زكى أبو شادى ، د. عبد العزيز أحمد ، د. على حسن (الفسيولوجى) ، د. على حسن (الكيميائى) ، محمود توفيق حفناوى ، حسن زكى ، اندراوس شخاشيرى ، د. جورجى صبحى ، د. محمد رضا مدور ، إسماعيل مظهر ، د. كامل منصور ، سلامة موسى ، فارس نمر ، فؤاد صروف .

واتفق الجميع على وضع خطة عمل للمجمع وأخذوا أنفسهم قبل أن يأخذوا غيرهم بالشدة والحزم وجعلوا للعلم هيبته واحترامه وأحاطوا مجمعهم بالوقار مع البساطة ثم حزموا أمرهم فعقدوا مؤتمرهم الأول فى شهر مارس عام ١٩٣٠ وتليت فى هذا المؤتمر محاضرات قيمة نشرت كلها بالكتاب الأول للمجمع وكان استقبال جمهرة العلميين والمثقفين للفكرة رائعا وإقبالهم عظيما على الاستماع مما ينهض دليلا على تعطش الكثيرين للمعرفة والاستزادة منها وكان ذلك أيضاً من سمات العصر وكان نجاح هذا المؤتمر والإقبال عليه أمرا أثلج صدر القائمين على شئون هذا المجمع وشجعهم على المضى فى تأدية الرسالة التى وهبوا أنفسهم لها فأقاموا المؤتمر تلو المؤتمر متناولة هذه المؤتمرات شتى الموضوعات والمشروعات حتى كان عام ١٩٣٥ فقرر أن يزيد المجمع عدد أعضائه إلى أربعين عضوا ثم بقى الحال على هذا تسعة أعوام أخرى ثم رأى المجمع أن يفتح الباب لعضويته على مصراعيه فلم يلبث أن قفز عدد أعضائه إلى قرابة ثلاثمائة عضو تسابق إليها الشباب والشيوخ على السواء دليلا على الحماس للعلم وللهيئات التى تنشر نوره وتعلى مناره .

أغراض المجمع وأهدافه :

نص دستور المجمع عند تأسيسه على أن تشمل أغراضه تحقيق :

١ - نشر الثقافة العلمية .

٢ - بث الروح العلمية فى البيئة المصرية .

٣ - العناية باللغة العربية لغة العلم.

٤ - إبداء الرأى فى المشروعات القومية .

والمتتبع لنشاط المجمع طوال قرابة خمسين عاماً منذ إنشائه حتى اليوم ليرى رأى العين وبالبصيرة النافذة أيضاً أن المجمع كان حفيظا على الخطة التى رسمها لنفسه أمينا على الرسالة التى اؤتمن عليها فقد ظل يواصل مهمته السامية فى نشر الثقافة العلمية من خلال محاضراته ومؤتمراته السنوية التى لم تتوقف طيلة أكثر من نصف قرن وحفلت هذه المحاضرات بشتى أنواع العلم وألوان المعرفة وستبقى هذه المحاضرات شاهدا على جهود مشكورة لفئة من علماء هذا الوطن لتثقيف مواطنيهم وإلقاء الضوء لحل الكثير من المشاكل القومية .

ولو استعرضنا كتب المجمع السنوية التى بلغت خمسة وستين مجلدا لوجدنا فيها رصيدا متعاظما من قرائح علمائنا ومفكرينا ومنهلا فكريا وعلميا وثقافيا لا ينضب - صيغ كل ذلك فى نحو خمسمائة وخمسين محاضرة علمية فى مجالات الزراعة والصناعة والاقتصاد والطب والاجتماع والعلوم الإنسانية والبيولوجية والفيزيقية وغيرها وفى السنوات الأخيرة اتسع نطاق مفهوم الثقافة العلمية فى المجمع بحيث أصبح يشمل موضوعات فى علم النفس وفى الشخصية المصرية وفى الموسيقى والفن التشكيلى ما دامت ملتزمة بالمنهج العلمى .

وقد عمل المجمع أيضاً على بث الروح العلمية فى البيئة المصرية بجهوده المتواضعة فكما قال أحد رؤساء المجمع السابقين وهو الدكتور أحمد رياض « بقى المجمع وفيا لتلك الروح العلمية السامية التى أملت على الأعضاء فكرته فحمل لواء العلم مع الحاملين وجعل رسالته أمانة فى عنقه آلى على نفسه أن يؤديها إلى يوم الدين ولم يبخل أعضاؤه بتقديم عصارة أذهانهم ونتيجة أبحاثهم مبسطة فى كثير من الأحيان إلى الجمهور المتعلم لتثقيفه ولتعويده الأسلوب العلمى أساسا للتفكير فالبحث ثم التطبيق وبذلك نسجوا الصلة بين العلم والمجتمع المصرى ثم وثقوها » .

ولعل أهم ماعنى به المجمع أن تكون اللغة العربية لغة للعلم فقد كان لها دائما أبرز مكان بين أغراض المجمع إذ نص على نشر الثقافة العلمية باللغة العربية وكذلك خدمة اللغة العربية بكتابة المباحث العلمية بها ونشرها كما نص على إنشاء رابطة للمشتغلين بالعلم من الناطقين بالعربية والمستعربين ونص أيضاً على أن لغة المجمع هى اللغة العربية وإذا تليت محاضرة بغيرها فتتلى ترجمتها وتمسك المجمع ومحاضروه بهذا النص تمسكا شديداً إحياءً للغة العربية وإرجاعها إلى مجدها لغة للعلم ودحضا للفرية التى انتشرت بين بعض المتعلمين أن اللغة العربية تقصر أحيانا عن الوفاء بمطالب العلم الحديث وإيقاع العصر لحركة العلم والتقدم العلمى لذلك عمد المحاضرون إلى أحياء المهجور من كلام العرب حينا وإلى التعريب حينا آخر وإلى النحت كلما وجدوا إلى ذلك سبيلا وخلقوا التراكيب

وجددوا الأساليب ماشاءت لهم علومهم وفنونهم وبمرور السنين كانت قد اتسعت حركة النشر والترجمة والتعريب فى مصر وأدلى مجمع اللغة العربية بدلوه فى هذا المجال فانعكس كل ذلك على محاضرى المجمع وأثرى لغتهُم ومصطلحاتهم العلمية فى محاضراتهم ومباحثهم فازدادت هذه غنى وثراء وهكذا مضى المجمع يدعم رسالة اللغة العربية لغة للعلم طيلة هذه السنوات الخمس والستين من عمره وهذا عمل جد جليل .

تبسيط العلوم :

عمل المجمع جاهدا على تبسيط العلوم فهو يحاول أن ينقل العلم الجاف أو العلم المعقد إلى علم يمكن أن يستسيغه ويتقبله الشخص المتعلم العادى أو غير المتخصص وأن يهضمه ويتمثله بسهولة وهذا ما درج عليه المجمع منذ إنشائه ومن المعروف أن العلم قد تشعبت فروعه وتنوعت مفاهيمه فوجد المجمع أنه من الخير أن ينهج هذا النهج لاسيما وأن الذين يلوذون به ويتفيأون ظلاله هم جمهرة المتعلمين متنوعى الثقافة والتعليم فكلما كان العلم مبسطا كان الاستيعاب كبيرا وهذا هدف يصبو المجمع إلى تحقيقه بأن تصل الثقافة إلى المتعطشين لها والراغبين فيها كما حرص المجمع أن يعرض لكثير من الموضوعات التى تهم مصر فى كثير من النواحى ولكن بأسلوب علمى مبسط يجذب المناقشة والحوار ويقترح الحلول وفى الواقع كانت هذه من أهم السمات التى تميز بها المجمع والذى يمعن النظر فى مقالات المجمع التى تزخر بها كتبه يبهره المحتوى العلمى لهذه المقالات المكتوبة بلغة علمية سلسة بسيطة مفهومة غير مستعصية على مافيها من دسامة وغنى وما تتناول من مشاكل وموضوعات على أعظم جانب من الأهمية والخطورة .

وقد سبق للمجمع أن شجع أعضاءه على التأليف وخاصة على إخراج تلك الكتب التى تبسط العلم وتقربه إلى الأذهان وقرر فى جلسة ١٧ من يناير ١٩٣٥ على مساعدة الأعضاء على طبع ما يقومون بتحضيره من الكتب العلمية ، وقد حالت الحوائل أمام تنفيذ هذا القرار .

دعوة المجمع لإنشاء صحافة علمية :

كان المجمع المصرى للثقافة العلمية أول هيئة دعت منذ ثلاثين عاما إلى إنشاء صحافة علمية تفسح مجالا لمسائل العلوم فقد نادى الأستاذ الدكتور كامل منصور فى محاضرته الرئاسية للدورة التاسعة عشرة للمجمع عام ١٩٤٩ نود أن نرى فى كل جريدة يومية صفحة علمية فى يوم مخصص من أيام الأسبوع مثلا وتكون هذه الصفحة تحت إشراف محرر علمى مسئول.

وقد ردد الأستاذ فؤاد صروف وكيل المجمع فى خطاب له أيضاً أمنية دعا المجمع إلى تحقيقها وهى أن يجئ اليوم الذى يصبح فى كل صحيفة من صحفنا الكبيرة محرر علمى يشرف على ما ينشر فيها فى باب العلم .

ولا شك أن المجمع حين يرى اليوم أن هذه الأمنية قد تحققت وأصبحت صحفنا الكبرى تحفل بأقسام علمية لها وزنها وبمحررين ورؤساء علميين يعتد بهم فى الحقل العلمى والإعلام العلمى وتفرد الصحف مساحات لابأس بها للأخبار والمقالات العلمية وإن كانت حركة العلم والتقدم العلمى تستأهل إهتماما مضاعفا من صحافتنا اليومية والأسبوعية - حين يرى المجمع ذلك فإنه ليسعد اليوم حقا .

إبداء الرأى فى المشروعات القومية :

من أهداف المجمع أيضا أن يتصدى بالرأى والمشورة والتخطيط العلمى لكثير من مشروعاتنا القومية وخلال هذه السنين الطويلة من عمره بذل علماؤه جهودا مخلصة فى بحث العديد من هذه المشروعات وإلقاء الضوء عليها واقتراح الحلول لمشاكلنا الاقتصادية ومن أمثلة ماعالجه المجمع من موضوعات : السد العالى ومنخفض القطارة ، الثروة المعدنية فى مصر، البترول، الرى ، القناطر والسدود، تخطيط الاقتصاد القومى ، التصنيع ، الثروة الحيوانية ، القطن ، تنظيم البحث العلمى ، التعليم الجامعى ، عناصر الحركة العلمية فى مصر، استصلاح الأراضى، زراعة الصحراء ، تعمير سيناء، بترول الشرق الأوسط ومقامه العالمى ، توليد القوة المحركة فى مصر ومشروع خزان أسوان ، السماد الواجب صنعه من كهربة

الخزان ، إكثار النباتات الصحراوية ذات القيمة الغذائية ، ضبط مياه النيل ، سكان مصر ، مشكلة الذباب فى مصر ، بعض مظاهر الاقتصاد الموجه فى مصر ، الوسائل العلمية الحديثة للكشف عن المعادن ، بيولوجيا العواطف ، اتجاهات جديدة فى الإصلاح الاجتماعى فى مصر ، الثقافة العلمية وأثرها فى الصحة العامة ، العربية لغة العلم ، نهر النيل وتطوره الجيولوجى ، النيل عند الفراعنة ، التغذية والصحة العامة ، وكثير من هذه المشروعات أولته الدولة اهتمامها ووجدت طريقها نحو التنفيذ والمتابعة .

وهكذا نرى أن المجمع طوال خمسة وستين عاما ظل ولا يزال يعمل فى إصرار وإيمان لإرساء قواعد الثقافة العلمية فى البلاد ونشرها وازدهارها بين جمهرة المتعلمين والمثقفين وبث الروح العلمية فى البيئة المصرية والعناية باللغة العربية لغة للعلم وأخذت جماعات العلماء التى وليت أمر هذا المجمع تعقد المؤتمر تلو المؤتمر زاخرا بشتى الموضوعات العلمية والثقافية وبالجملة فقد كرست هذه الجماعات جهودها لتحقيق الهدف الأسمى الذى رسمته لنفسها وما كانت لتميل عنه إصبعا إلا لتميل إليه ميلا .

وهكذا مضى المجمع فى تأدية رسالته متألقا بين الجمعيات والهيئات العلمية وقل أن يكون له ضريب بين أقرانه من الجمعيات يحمل لواء الثقافة العلمية ويرسى قواعدها فى البلاد حتى أصبح بهذه الميزة التى تفرد بها نسيج وحده بين الجمعيات والهيئات العلمية فى مصر .

★ ★ ★ ★

محمود حافظ
عضو المجمع

مظاهر التيسير فى نحو ابن مالك

للأستاذ الدكتور عبد الرحمن السيد

نستطيع أن نضع أيدينا فى يسر ، على ما يتمثل فى نحو ابن مالك من مظاهر التقريب والتيسير ، وما حاول أن يدخله فى النحو من وسائل التنقية ، وما بذله فى تجنيبه عوامل التكلف والتعقيد ، حتى يكون أكثر صفاء ، وأوفر قدرة على خدمة اللغة ، وأشد إعانة على نقل الأفكار

ولم تكن هذه المحاولة مقصورة على ناحية من النحو دون ناحية ، وإنما كانت محاولاته فى ذلك عامة ، ورغبته فى التيسير شاملة ، ولقد كان فهم ابن مالك لوظيفة اللغة ومهمة النحو أساسا فيما مال إليه ورجحه ، وهاديا له فيما آثره وارتضاه .

فاللغة أداة للفهم ، ووسيلة للإفهام ، ولا بد لكى تؤدى وظيفتها من أن تكون واضحة جلية ، والنحو ضابط لهذه اللغة ، ومعين لها على أدائها لهذه الوظيفة ، ولكى يؤدى غرضه كاملا ، لابد أن يتميز بسمات تقربه إلى الأذهان ، وتيسره للطالبين .

وإذا كانت هذه المظاهر مفرقة منثورة فى كتبه ، فإننا لجمعها هنا لتكون أشد وضوحا ، وأيسر تناولا .

١ - يلمس القارىء لكتب ابن مالك رغبته فى التقليل من المصطلحات بتعميم المصطلح وجعله متناولا لأفراد كثيرة ، وبذا تسهل معرفته ، ولا يعسر فهم الغرض منه .

فعند الكلام على علامات إعراب الاسم يقول(١) : مدلول إعراب الاسم ما هو به عمدة أو فضلة أو بينهما ، فالرفع للعمدة وهى : مبتدأ أو خبر أو فاعل أو

---

(١) شرح التسهيل : ١ / ٢٦٤

نائبه أو شبيه به لفظا ، وأصلها المبتدأ أو الفاعل أو كلاهما أصل ·

والنصب للفضلة وهى : مفعول مطلق أو مقيد أو مستثنى أو حال أو تمييز أو مشبه بالمفعول به ·

والجر لما بين العمدة والفضلة ، وهو المضاف إليه ·

وألحق من العمدة بالفضلات المنصوب فى باب كان وإن ولا ·

ثم يشرح عبارته فيقول : العمدة عبارة عما لايجوز حذفه من أجزاء الكلام إلا بدليل يقوم مقام اللفظ به ، والفضلة عبارة عما يسوغ حذفه مطلقا إلا لعارض ، ولما كان المضاف إليه فى موضع يكمل العمدة ، نحو : جاء عبد الله ، وفى موضع يكمل الفضلة ، نحو : أكرمت عبد الله ، وفى موضع يقع فضلة نحو : زيد ضارب عمرٍو ، حكم عليه بأنه بين العمدة والفضلة ··· والمراد بالمفعول المطلق المصدر المؤكد والمبين للنوع أو عدد المرات · والمراد بالمقيد المفعول به والمفعول فيه والمفعول له والمفعول معه ·

هذا الاتجاه من ابن مالك لاشك أن فيه تيسيرا ضخما فى معرفة المصطلحات وفى فهم وظائف الكلمات فى الجمل ، وحكم هذه الكلمات ، وإذا كان هذا الإجمال فى التعريف والدلالة على الأقسام غير كاف فى معاهد التخصص العليا والكليات المختلفة ، فلا جدال فى أنه يفيد دارس المراحل المتوسطة ، فهو يعطيه القيد العام الذى لا يكد ذهنه ، ولا يعسر عليه فهمه ، ويجعله أقدر على الكتابة الصحيحة والنطق السليم ·

وإننا إذا حاولنا أن نعرف مصادر دعوات الإصلاح التى انبثقت أخيرا ، والتى حاول أصحابها أن ينسبوا لأنفسهم فضل السبق بها ، فسنجد هنا وفى غير هذه الكتب أصولها ومنابعها التى أغفل ذكرها فترة ، لكى تكشف الأيام عن مكامنها ، وفضل أصحابها حتى توضع الأمور فى نصابها ، ويرجع لكل صاحب فضل فضله ·

ويقول[1] : ولما كان الاهتمام بالعمدة أشد من الاهتمام بغيرها جعل إعرابها الرفع ، لأن علامته الأصلية ضمة ، وهى أظهر الحركات ... ولما كانت الكسرة تشبه الضمة جعلت علما للمضاف إليه ... ولما جعلت الضمة للعمدة ، والكسرة للمتوسط بين العمدة والفضلة ، تعينت الفتحة للفضلة وتبع كل واحدة من الحركات ما هو بالنيابة عنها .

ويقول عند الكلام على كان وأخواتها[2] : وكلها تدخل على المبتدأ والخبر فترفعه ويسمى اسما وفاعلا ، وتنصب خبره ، ويسمى خبرا ومفعولا .

ويقول : الشائع فى عرف النحويين التعبير عن مرفوع هذا الباب ومنصوبه باسم وخبر ، وعبّر سيبويه عنهما باسم الفاعل ، واسم المفعول ، فقال قاصدا هذا الباب : هذا باب الفعل الذى يتعدى اسم الفاعل إلى اسم المفعول ، واسم الفاعل والمفعول فيه لشىء واحد ، وكذا فعل المبرد فإنه ذكر هذه الأفعال فى بابها ثم قال : وهذه أفعال صحيحة كضرب ، ولكنا أفردنا لها باباً إذ كان فاعلها ومفعولها يرجعان إلى معنى واحد ، فأى التعبيرين استعمل النحوى أصاب ، لكن الاستعمال الأشهر أولى .

فابن مالك ليس عنده ما يمنع من اطلاق الفاعل والمفعول على اسم كان وخبرها ، كما فعل سيبويه والمبرد ، وإذا كان قد فضل الاستعمال الأشهر ، فإننا نرى أن الاستعمال الأيسر أولى ، لأنه يحتفظ للأفعال المختلفة بمعمولاتها ، وييسر على الدارس المبتدىء عناء معرفة المصطلحات المختلفة التى لن يضيره جهله بها ، ما دام غيرها يسد مسدها ، ويؤدى وظيفتها .

ويؤكد ابن مالك اتجاهه هذا فى موضع آخر فيقول فى باب تعدى الفعل ولزومه :[3]

(1) شرح التسهيل : ١ / ٢٦٥

(2) شرح التسهيل : ١ / ٣٣٧

(3) شرح التسهيل : ٢ / ١٥٥

يجوز الاقتصار قياسا على منصوب الفعل مستغنى عنه بحضور معناه أو سببه أو مقارنه أو الوعد به أو السؤال عنه بلفظه أو عن متعلقه ، وبطلبه وبالرد على نافيه .. ثم يقول ، المقصود هنا التنبيه على حذف الفعل وفاعله والاقتصار على المفعول به ، لأن الباب له ، لكنى ذكرت لفظا صالحا للمفعول به وغيره من منصوبات الفعل ، لأنها كلها متساوية فى صحة النصب بفعل محذوف ، كقولك: زيدا لمن قال : من ضربت ؟ وكقولك : حين ظلم . لمن قال : متى ؟ ..

فهو يعبر عنها هنا بمنصوبات الفعل ، بعد أن عبّر عنها وعن غيرها من المنصوبات بالفضلات ، وكلها كلمات عامة صالحة للإطلاق على أكثر من باب من أبواب النحو .

٢ - وكما مال ابن مالك إلى جعل المصطلح شاملا لأكثر من نوع ، بدت منه رغبة فى الإقلال من تقدير العامل كلما وُجِدَ إلى ذلك سبيل ، وإلى عدم التكلف فى تقديره ما دام فى الإمكان نسبة العمل إلى ماهو قريب يسير .

فقد رجح مذهب الفراء القائل بأن الفعل المضارع مرفوع بتعريه من الناصب والجازم ، ولم يقبل مذهب البصريين القائل بأنه مرفوع لوقوعه موقع الاسم ، قال عن مذهب الفراء(١) : وهو أسهل المذهبين وأحقهما بالاطراد .

وليس هناك شك فى أن ما رجحه أيسر وأسهل ، كما أنه أبعد عن النقد ، وأسلم من النقص .

ويرى أن ماذهب إليه سيبويه من جعل أنّ ومعموليها إذا وقعت بعد لو مرفوعة بالابتداء سادةّ بصلتها مسد الجزأين ، أسهل من إضمار ثبت بعد لو ، وجعل أن ومعموليها فى تأويل مصدر مرفوع به ،

(١) عمدة الحافظ .

يقول[1] : واختصت أن بهذا بعد لو ، كما اختصت غدوة بالنصب بعد لدن ، ورأى سيبويه هذا أسهل ٠٠ وما ذهب إليه هو الصحيح ، فإن إضمار فعل دون مفسر ولا عوض لا نظير له ، بخلاف جعل أن بصلتها سادة مسد جزأى الإسناد ، إذ وقع بعد ليت وظن فلم يكن بدعا ٠

وابن مالك لا يرى بأسا فى أن يعرب الاسم الواقع بعد إذا مبتدأ كما ذهب إلى ذلك الأخفش ، لأن طلب إذا للفعل ليس كطلب إن ، بل طلبها له كطلب ما هو بالفعل أولى مما لا عمل له فيه كهمزة الاستفهام ، قال[2] : وكما لا يلزم فاعلية الاسم بعد الهمزة لا يلزم بعد إذا ، ولذلك جاز أن يقال : إذا الرجل بالمسجد فظن به خيرا ، ومنه قول الشاعر :

إذا باهلى تحته حنظلية

له ولد منها فذاك المذرع

فجعل بعد الاسم الذى ولى إذا ظرفا واستغنى به عن الفعل ، ولا يفعل ذلك بما هو مختص بالفعل ، ومما يدل على صحة مذهب الأخفش قول الشاعر :

فأمهله حتى إذا إن كأنه

معاطى يد فى لجة الماء غامر

فأولى إذا إن الزائدة ، وبعدها جملة اسمية ، ولا يفعل ذلك بما هو مختص بالفعل ٠

وإذا كان العرب قد استعملوا ذلك كثيرا ،وإذا كان قد جاء مثله فى القرآن الكريم ، فليس هناك داع لالتزام تقدير فعل ، ولا بأس بجعله مبتدأ ، فتكون الجملة الاسمية قد وقعت بعد إذا ٠

٣ - كذلك يميل ابن مالك إلى التقليل من تقدير الحركات ، والاكتفاء بالموجود أو بما يدل عليها ، مادام مؤديا للغرض الذى من أجله جيء بها ٠

فابن مالك يرى - أن إعراب الأسماء

(١) شرح التسهيل : ٢ / ٣٩

(٢) شرح التسهيل : ٢ / ٢١٣

الستة بالواو نيابة عن الضمة ، وبالألف نيابة عن الفتحة ، وبالياء نيابة عن الكسرة، أسهل المذاهب وأبعدها من التكلف ، لأن الإعراب إنما جيء به لبيان مقتضى العامل ولا فائدة فى جعل مقدر متنازع فيه دليلا ، وإلغاء ظاهر واف بالدلالة المطلوبة.

وهو كلام واضح بين كان يحسن التمسك به ، والوقوف عنده .

كذلك يرى ابن مالك أن المضاف إلى ياء المتكلم إذا كان مبنيا قبل الإضافة فهو لا يزال مبنيا بعدها ، وإذا كان معربا عرض له تقدير الإعراب بعد أن كان ظاهرا ما لم يكن مثنى فيظهر إعرابه ، أو مجموعا على حد التثنية فى حالى الجر والنصب ، أما فى حالة الرفع فإعرابه مقدر، يقول(١): وزعم الجرجانى ووافقه ابن الخشاب والمطرزى، وهو الظاهر من قول الزمخشرى، أن المضاف إلى ياء المتكلم مبنى ، وفى كلام ابن السراج احتمال ... والصحيح أن المكسور الآخر للإضافة إلى الياء معرب تقديرا فى الرفع والنصب ، لأن حرف الإعراب منه فى الحالين قد شغل بالكسرة المجلوبة توطئة للياء ، فتعذر اللفظ بغيرها ، فحكم بالتقدير ، كما فعل بالمقصور ، وأما حال الجر فالإعراب ظاهر للاستغناء عن التقدير، هذا عندى هو الصحيح ، ومن قدر كسرة أخرى فقد ارتكب تكلفا لا مزيد عليه ، ولا حاجة إليه .

ولم أوافق الجرجانى فى بناء المضاف إلى الياء ، وإن كان فى تقدير إعرابه تكلف يخالف الظاهر ، لأن لبناء الأسماء أسبابا كلها منتفية منه ، فيلزم من الحكم ببنائه مخالفة النظائر ، فلذلك أتبعته ردا ، ولم أر من خلافه بدا .

واتجاه ابن مالك فى هذا اتجاه سليم ، فما دامت الكسرة موجودة فلا حاجة إلى

(١) شرح التسهيل : ٣ / ٢٧٩

القول بإن الياء اجتلبت كسرة أخرى ، لأن الكسرة إنما جيء بها فى حالى الرفع والنصب لتناسب الياء ، فإذا كانت موجودة فى حالة الجر فالمناسبة قائمة ، فلا داعى لتقدير كسرة أخرى .

كذلك ذهب ابن مالك إلى جواز فتح العلم المنادى الموصوف بابن المضاف إلى علم ، وجواز بنائه على الضم(١) ، فإذا كانت ضمة المنادى غير ظاهرة لم يُنْوَ تبدلها بفتحة إذ لا فائدة فى ذلك ، لعدم ظهورها .

ويقول ابن مالك(٢) : نص سيبويه على أن نداء ما فيه هاء التأنيث بترخيم أكثر من ندائه دون ترخيم ، وبعد نصه على ذلك قال : واعلم أن ناسا من العرب يثبتون الهاء فيقولون : يا مسلمةُ أقبل ، وبعض من يثبت يقول : يا مسلمةَ يعنى بفتح التاء ، ومنه قول الشاعر :

كلينى لهَمٍّ ياأميمةَ ناصب
وليل أقاسيه بطىء الكواكب

وعلل سيبويه الفتح فى التاء بأنه لما كان الأكثر فى نداء ما هى فيه نداءه بحذفها ، قدّر وهى ثابتة عاريا منها ، فحركت بالفتح لأنها حركة ما وقعت موقعه وهو الحرف الذى قبلها .

قال ابن مالك : وأسهل من هذا عندى أن تكون فتحة التاء إتباعا لفتحة ما قبلها ، كما كانت فتحة المنعوت فى نحو: يا زيد بن عمرو ، إتباع لفتحة ابن، وإتباع الثانى الأول أحق بالجواز لاسيما فى كلمة واحدة ، ويرجح هذا الاعتبار على ما اعتبره سيبويه قوله : وبعض من يثبت يقول فنسب الفتح إلى بعض من يثبت ولو كان الفتح على ما ادعى من تقدير حذف التاء لكان منسوبا إلى من يحذف لا إلى من يثبت . وهذا بيِّن ، والاعتراف به متعين .

ويرى ابن مالك أن ما يطلق على الواحد والجمع من الأسماء كقولك هجان

(١) شرح التسهيل :٣ / ٣٩١
(٢) شرح التسهيل : ٣ / ٤٢٨ .

ودلاص إذا لم يثن فليس بجمع ، ويكون كالمصدر يقع خبرا عن الاثنين نحو : الزيدان عدل ، ومررت برجلين عدل وإن ثنى فهو جمع مقدر تغييره فى رأى بعض النحاة ، وذلك مثل : فُلْك تُقَدَّر فى الإفراد كقفل ، وفى الجمع كأسد ، ولكنه يرى أن الصحيح كونه عند إطلاقه على الجماعة اسم جمع مستغنيا عن تقدير التغيير ، فاللفظ مشترك بين المفرد واسم الجمع ، لا بينه وبين الجمع[1] .

قال الدمامينى [2] : وأحسن المصنف فى وصف : مستغنيا عن تقدير التغيير ، فإنه أشار بذلك إلى علة مااختاره من كونه اسم جمع ، وذلك أنه على هذا الوجه لا يحتاج إلى تقدير التغيير ، وأما على تقدير كونه جمعا فيحتاج إلى تقدير التغيير كما سبق ، وهو خلاف الأصل فيكون ما اختاره راجحا على مااختاروه .

٤ - ويتضح ميل ابن مالك إلى التيسير فى قبول الأساليب التى ثبت ورودها عن العرب ، والتى تؤدى الغرض منها ، فيما ذهب إليه من قبول رأى البصريين الذين يجيزون أن يتصل المبتدأ بضمير اسم متصل بالخبر إذا أمكن تقديم صاحب الضمير فى مثل :

زيدا أجله محرز ، وزيداً أجله أحرز ،

يقول[3] : فالحاصل أن الصحيح ما ذهب إليه البصريون من التسوية فى الجواز بين : زيدا أجله محرز ، وزيداً أجله أحرز ، بل الأخير أولى بالجواز لأن العامل فيه فعل ، وعامل المثال الأول اسم فاعل ، فمن منع الآخر دون الأول فقد رجح فرعا على أصل ، ومن منعهما فقد ضيق رحيبا ، وبعد قريبا ، ومن حجج البصريين قول الشاعر :

(١) تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد : ٢٦٧

(٢) تعليق الفرائد .

(٣) شرح التسهيل : ٣٠٣/١

خيرا المبتغيه حار وإن لم

يقض فالسعى فى الرشاد رشاد

فهذا مثل : زيدا أجله أحرز .

كما يظهر ذلك فيما اتجه إليه فى أفعال المقاربة من إجازة حذف الخبر إذا دلّ عليه دليل ، لأن ذلك - كما يقول(١) - جائز فى غير هذا الباب إذا ظهر دليل ، وضرب لذلك مثلا ما جاء فى الحديث « من تأنى أصاب أو كاد ، ومن عجل أخطأ أو كاد » ، وفى حديث آخر « فإذا استغنى أو كرب استعف » .

وما أقره من جواز الفصل بين المضاف والمضاف إليه بالظرف أو الجار والمجرور بقوة إن تعلقا بالمضاف ، وإلا فبضعف : يقول(٢) : وهو جدير بأن يجوز فى الاختيار ، ولا يختص بالاضطرار ، وبذلك أقول لوروده فى حديث أبى الدرداء رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال : « هل أنتم تاركولى صاحبى » ، أراد : هل أنتم تاركو صاحبى لى ، ففصل بالجار والمجرور لأنه متعلق بالمضاف ، وهو أفصح الناس فدل ذلك على ضعف من خصه بالضرورة

ومما يدل على ذلك رفضه ما ذهب إليه أبو على الفارسى من أن الميم لا تثبت فى فم حال الإضافة إلا فى الشعر ، يقول(٣) : وزعم الفارسى أن قول من قال :

يصبح ظمآن وفى البحر فمه

من الضرورات ، بناء على أن الميم حقها ألا تثبت حال الإضافة إلا فى الشعر وهذا من تحكماته العارية عن الدليل ، والصحيح أن ذلك جائز فى النظم والنثر ، وفى الحديث الصحيح « لخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك » .

ويجيز ابن مالك أن تحذف الفاء فى جواب أما فى النثر لورود ذلك فيه ، كقول

---

(١) شرح الكافية : ١/ ٤٦٢
(٢) شرح التسهيل : ٣/ ٢٧٣ ، التذييل والتكميل : جـ٧/ ٢٧٠ - ١٧١
(٣) شرح التسهيل : ١/ ٤٩ ، تمهيد القواعد : جـ ١/ ٣٩

النبى ﷺ : « أما بعد ما بال رجال يشترطون شروطا ليست فى كتاب الله وقوله « أما موسى كأنى أنظر إليه إذ انحدر فى الوادى » .

قال[1] : ولا تحذف هذه الفاء غالبا إلا فى الشعر أو فى قول أغنى عنه المقول .... وقد خولفت هذه القاعدة فى هذه الأحاديث ، فعلم بتحقيق عدم التضييق ، وأن من خصه بالشعر أو بالصورة المعينة من النثر مقصر فى فتواه ، عاجز عن نصر دعواه .

٥ - وابن مالك يميل فى تخريج الأساليب وتوجيهها إلى اتباع الأسهل تخريجا ، والأكثر نظيرا ، وقد رأينا أمثلة لذلك كثيرة عند كلامه على الأصل الذى قال به وهو أن ما له نظير أولى مما لا نظير له ، ومن ذلك رأيه فى الأفعال التى تنصب ثلاثة مفعولات ، فقد ذهب إلى أنها منصوبة بحذف حرف الجر ، يقول[2] : فدل ذلك على أن تقدير حذف حرف الجر بعد نبأ راجح عنده ، إذ ليس فيه إخراج شىء عن أصله ، ولا تضمين شىء معنى غيره ، وأيضا فإن النصب بحذف حرف الجر بعد نبأ مقطوع بثبوته فيما حكى من قول بعض العرب : نبئت زيدا ، مقتصرا عليه ، وبعد أنبأ فى قوله تعالى[3] : « من أنبأك هذا » ، ولم يثبت الإجراء مجرى أعلم إلا حيث حذف حرف الجر، فكان الحمل عليه أولى ، هذا فى نبأ مع كثرة استعمالها بالصورة المحتملة ، وأما أخواتها فيندر استعمالها بتلك الصورة . هذا أراه أظهر إن كان غيره أشهر .

٦ - كذلك لا يميل ابن مالك إلى مايبدو من بعض النحاة من تكلف وتعقيد فى النظر إلى بنية الكلمة ، فما الكافة إذا جاءت بعد الكاف أحدثت فيها معنى التعليل ، كقوله

(١) شواهد التوضيح : ص ١٣٦ - ١٣٨
(٢) شرح التسهيل ٢/١/١٠
(٣) سورة التحريم : آية / ٣

تعالى[1] : « واذكروه كما هداكم » وإذا حدث فيها معنى التعليل ، ووليها مضارع نصبته لشبهها بكى ، كقول الشاعر :

فطرفك إما جئتنا فأصرفنه

كما يحسبوا أن الهوى حيث تنظر

وما اتجه إليه الفارسى من أن الأصل كيما ، وحذفت الياء[2] : تكلف لا دليل عليه ، ولا حاجة إليه كما يقول ·

وهو يرى من أجل ذلك أن السين وسوف بمعنى واحد ، وأن سوف هى الأصل والسين وسف وسوسى كلها فروع منها ، وإن خالف ذلك رأى البصريين ، يقول[3] : واتفقوا على أن أصل سف وسووسى سوف ، وزعموا أن السين أصل برأسها غير مفرعة عن سوف ، لكنها منها كنون التوكيد الخفيفة من نون التوكيد الشديدة ، ويمنع منه تكلفه ، وأنها دعوى مجردة عن الدليل ، وليس كذلك القول ، بأن نون التوكيد الخفيفةأصل برأسها ، لأن الذى حمل على ذلك ، أنا رأينا الخفيفة تنفرد بمعاملة لا تعامل بها الثقيلة ، كحذفها عند ملاقاة ساكن · ·والقول بأن السين فرع سوف لا يفضى إلى مثل ذلك فوجب قبوله والتمسك به ، لأنه أبعد من التكلف ، وأيضا فقد أجمعنا على أن سف وسووسى عند من أثبتها فروع سوف فلتكن السين أيضا فرعها ·

٧ - وابن مالك يعرف الوظيفة الحقيقية للكلام ، وهى الفهم والإفهام ، فما دام الكلام مؤديا لوظيفته ، فهو سائغ مقبول ، فإذا لم يؤدها كان جديرا بالطرح وعدم الاعتبار ، يقول - عند الكلام على لا النافية للجنس[4] - : وحذف الخبر فى هذا الباب إذا كان لا يجهل يكثر عند

(١) سورة البقرة : آية / ١٩٨
(٢) شرح التسهيل : ٣/١٧٣
(٣) شرح التسهيل : ١ / ٢٥
(٤) شرح الكافية : ١/ ٥٣٥ - ٥٣٨

الحجازيين ، ويلتزم عند التميميين ، فإن كان يجهل عند حذفه وجب ثبوته عند جميع العرب ، فمن حذفه لكونه لا يجهل « لا إله إلا الله » ، ولا فتى إلا على ٠٠ ومن الواجب الثبوت لعدم العلم به قوله تعالى[١] : « لا ريب فيه » وقوله تعالى:«[٢] : لاعلم لنا إلا ماعلمتنا ، وقول النبى ﷺ : « لا أحد أغير من الله » و« لا إله غيرك » ، وزعم قوم منهم الزمخشرى والجزولى أن بنى تميم يحذفون خبر لا مطلقا على سبيل اللزوم ، إلا أن الزمخشرى قال : وبنو تميم لا يثبتونه فى كلامهم أصلا ، وقال الجزولى ولا يلفظ بالخبر بنو تميم إلا أن يكون ظرفا٠

وليس بصحيح ما قالاه ، لأن حذف خبرٍ لا دليل عليه يلزم منه عدم الفائدة ، والعرب يجمعون على ترك التكلم بما لا فائدة فيه ٠ قال الشلوبين : ينبغى أن يكون خلاف أهل الحجاز وبنى تميم فيما هو جواب لقول قائل ، كقولك لمن قال : هل من رجل أفضل من زيد ؟ لا رجل ٠ وأما إذا لم يكن جوابا فلا ينبغى أن يحذف الخبر أصلا لأنه لا دليل عليه ٠ وأنكر على الجزولى استثناء الظرف ٠

وهذا كلام لا يحتاج إلى تعليق لصحته وإحكامه ٠

٨ – وكما كان ابن مالك يميل إلى السهولة واليسر فى التأويل والتخريج ، وفى تقدير الإعراب أو العامل، كان يميل إلى السهولة فى التعليل – وقد مرّ بنا قريبا ما اتجه إليه من تعليل عدم بناء فعل التعجب مما يعبر عن فاعله بأفعل فعلاء من الأفعال ، قال : وإنما لم يبن من هذا النوع فعل التعجب لأن مبناه من الفعل حقه أن يكون ثلاثيا محضا ، وأصل الفعل فى هذا النوع أن يكون على أفعل ، ولذلك صححت منه العين إذا كان ثلاثى اللفظ كهيف وعور ٠٠وهذا التعليل هوالمشهور

(١) سورة البقرة : آية / ٢

(٢) سورة البقرة : آية / ٣٢

عند النحويين ، وعندى تعليل آخر أسهل منه ، وهو أن يقال : لما كان بناء الوصف من هذا النوع على أفعل ، لم يبن منه أفعل تفضيل ، لئلا يلتبس أحدهما بالآخر ، فلما امتنع صوغ أفعل التفضيل ، امتنع صوغ فعل التعجب لتساويهما وزنا ومعنى ، وجريانهما مجرى واحدا فى أمور كثيرة ، وهذا الاعتبار هين بين ، ورجحانه متعين .

وإذا كنا قد لاحظنا ضعف هذه العلة ، فهذه الملاحظة لا تنافى أن الأصل الذى سار عليه هو تحرى السهولة واليسر فى التعليل .

٩ - ومن مظاهر تيسير النحو التى رآها ابن مالك ، والتى يكون لها أثر فعّال فى تقريب تناوله ، وجعله سهل المأخذ ، قريب الجنى ، أن يفصل منه ما لايدخل فى صميمه من الأبحاث ،وما هو أساسى فى فروع أخرى ، وقد تحدثت عن ذلك فى رسالتى[1] وضربت أمثلة متعددة لدراسات أعتقد أنها مقحمة على النحو ، وأنها من العوامل التى ساعدت على أن يجد دارسه فيه مشقة وعنتا ، وقلت[2] : هذه الدراسات التى أعتقد أن تنحيتها عن وضعها الذى هى عليه ، والعناية بها فى مكانها من دراسة فقه اللغة تعود على النحو وعلى الدراسات اللغوية بجليل الفائدة ، تفيد النحو بإعفائه من دراسات طويلة لا تدخل فى صميمه ، وتريحه من خلافات عنيفة ليس هو طرفا فيها ، فليكن تيسير النحو إذاً بإخراج ما لايمت إليه بآصرة وثيقة ، إحدى الطرق التى ننتهجها فى هذه السبيل ، ولتكن الدراسة النحوية قائمة على ما ينضوى تحت لواء النحو حقيقة لا مجازا ، بهذا ينال النحو عناية أكثر ، ويقرب من الأذهان خطوة أكبر ، ويخلص من كثير مما يشق على الأفهام ، ويكد كثيرا من العقول .

---

(١) مدرسة البصرة النحوية : / ٣٠٠ - ٣١٤

(٢) / ٣١٣

وتفيد الدراسات اللغوية بضم عناصر ندت عنها ، وبحوث نفرت منها ، فتكسبها قوة ، وتزيد أفقها اتساعا ، وتعطى هذه الدراسات فرصة المقارنة الشاملة ، والملاحظة الدقيقة ، والموازنة المستقصية ، فتكون أكثر دقة وأوفر إنتاجا، وربما وفقنا عن طريق ضم المؤتلف ، وجمع المتشابه ، إلى أن نقف على الصواب فى بعض ما غمض علينا من مسائل ، أو نهتدى إلى شيء مما ضللنا سبيله ، فنحسم نزاعا اضطرم ، ونقضى على خلاف نشب ، كما فعل برجستراس[1] عندما أقام هو وغيره من العلماء بحوثهم على الموازنة بين الكلمات والتراكيب فى اللغات المختلفة ، مما أدى بهم إلى الوصول إلى نتائج ربما لم تكن حاسمة ، ولكنها على كل حال تقضى على الجدل النظرى بين العلماء ، وتعفى على التعليل الفلسفى ، وتقوم أحكامها على التجربة المنتجة ، والموازنة الدقيقة المجدية ، فقد عرض لبعض ما عرض له النحاة من ألفاظ ، وبحث فيها ، وقارنها بأخواتها من اللغات السامية ، وانتهى إلى نتائج ضرب لها بعض الأمثلة تبشر بالوصول إلى حقائق ذات قيمة عالية فى موضوعها.

يقول ابن مالك فى باب الإبدال[2] :

حروف الإبدال المبوب عليها فى كتب التصريف هى الحروف التى تبدل من غيرها لغير إدغام ، والتى لابد من ذكرها وهى هذه التسعة،وما سواها مما ذكره الزمخشرى وغيره مستغنىً عنه ، كاللام والنون والجيم والسين ، وربما كان غير هذه الأربعة أولى بالذكر كالصاد ، فإن إبدالها من السين عند مجاورة حرف الاستعلاء مطرد على لغة ، فذكرها أولى من ذكر السين إذ ليس للسين موضع يطرد إبدالها فيه ، وكذلك اللام

---

(1) التطور النحوى للغة العربية : ص ٥٤ ، ١٢١ ، ١٣٣

(2) شرح الكافية : ٤ / ٢٠٧٧ - ٢٠٨٠

والنون إبدالهما من غـيرهما إنما هو بالنقل في كلم محفوظة ، كـقولهم في :أصيلان أصـيـلال ، وفي : اضطـجع الطجع ··

وأما الجيم فإن قوما من العرب يبدلونها من اليـــاء المشـددة في الوقـف باطراد ، وربما أبدلت دون وقف ، كـقـولهم في : الإيّل إجّل ، ودون تشديد ، كقوله :

يارب إن كنت قبلت حجتجْ

فلا يزال شاحج بأتيك بج

أقمر نهات ينزى وفرتج

وهذا النوع من الإبدال جدير بأن يذكر في كـتب اللغة لا في كـتب التصـريف ، وإلا لزم أن تذكـر العـين لأن إبدالهـا من الهـمـزة المتـحـركـة مطـرد في لغـة بني تميم،ويسـمى ذلك عنعنة، وإنما ينبـغى أن يعنى في الإبدال التصـريفى بما لو لم يبدل وقع في الخطأ ، أو مخالفة الكثير ·»

وهذا اتجاه صـحيح ، وتمييـز ضرورى بين أبحـاث العلـوم ، لتـؤتى ثمـرتهـا ، وتحقق الغرض منها ·

وقـد وضع ابن مـالك بهـذا أسـاس الطريقة الصحـيحة للتيسيـر ، التى تحتفظ للعلم بمقومـاته ، وتبقى على مـا يميزه من مصطلحاته ، ولكنها تنحى عنه ما عقّد منه السهل ، وشوه منه النقى ، حتى يعود إليه من الرونق والصفـاء ما يحـببه إلى عـقول الدارسين ، وما يقربه من نفوس الراغبين، وحتى يجد الجميع فيه المتعة والغناء ·

عبد الرحمن السيد
عضو المجمع

* * *

قراءة جديدة

لوثائق مستعربي طليطلة

للأستاذ الدكتور محمود على مكى

تمهيد : أهل الذمة فى الإسلام :

من المعروف أن المستعربين فى المصطلح الأندلسى هم المسيحيون الذين احتفظوا بعقيدتهم فى ظل الحكم الإسلامى للأندلس ، أى أنهم فى نظر الشريعة الإسلامية إحدى طوائف «أهل الذمة» أو «أهل الكتاب» الذين عاشوا بصفتهم أقلية دينية فى مجتمع يحكم بشريعة الإسلام ، وذلك لأن العرب حينما حملوا الدين الجديد إلى البلاد التى فتحوها شرقاً وغرباً لم يعملوا أبداً على فرض ديانتهم على شعوب هذه البلاد ، وذلك تحقيقاً للمبدأ الإسلامى « لا إكراه فى الدين » (القرآن الكريم ، سورة البقرة آية ٢٥٦) . ومن هنا تركت لهم حرية الاختيار بين اعتناق الإسلام وحينئذ يصبحون جزءاً من المجتمع الإسلامى الجديد ، أو البقاء على ديانتهم السابقة ، فيكونون فى «ذمة» المسلمين أوحمايتهم ، وتكون لهم حرية ممارسة شعائرهم ، وتلتزم الدولة باحترام معابدهم ومؤسساتهم والاعتراف لهم بكيان له استقلاله بتدبير أموره ماداموا هم بدورهم يحترمون شريعة الدولة التى يعيشون فى ظلها . وقد طُبِّق هذا النظام على الطائفتين اليهودية والمسيحية اللتين عاشتا فى ظل الدول الإسلامية باعتبارهما «أهل كتاب» ، بل طبق ذلك أيضا على المجوس الذين آثروا الحفاظ على ديانتهم فى شرق العالم الإسلامى . وآتت هذه السّياسة المتسامحة من جانب المسلمين أُكُلَها بين مختلف الطوائف الدينية فى المجتمعات الإسلامية . ولم يَحُلِ اختلاف العقائد من التعاون بين تلك الطوائف الدينيةَ المتعددة ، ومن وصول غير المسلمين إلى مناصب رفيعة فى المجتمع الإسلامى ، بقدر ما سمحت به كفاءاتهم وقدراتهم المتميزة .

أهل الذمة فى ظل الحكم الإسلامى للأندلس :

لم يكن وضع شبه جزيرة إيبريا مختلفا عن وضع غيرها من البلاد التى فتحها المسلمون ، فمنذ دخول العرب إلى هذا القطر فى سنة ٩٢ هـ (٧١١ م) وعلى الرغم من الانتشار السريع للإسلام فى أوساط الشعب الإيبيرى الذى اصطبغ بالصبغة الرومانية والذى كان خاضعاً خلال القرون الثلاثة الأخيرة لحكم القوط فقد بقيت نسبة من هذا الشعب محافظة على ديانتيها القديمتين : المسيحية واليهودية . وظلت هاتان الطائفتان فى تعايش مع المسلمين ساده الوئام خلال معظم العصور التى كان للدولة الإسلامية فيها الكفة الراجحة .

وقد أطلق على هؤلاء المسيحيين اسم «المستعربين» (Mozarabes) وهو يعنى الذين تشبعوا بالثقافة العربية واصطنعوا عادات العرب ولغتهم وأسلوبهم فى الحياة على الرغم من عدم انتمائهم إلى العرب جنساً ولا إلى المسلمين ديناً . وهو وصف يمكن أن ينسحب أيضا على الطائفة اليهودية ، غير أن المصطلح ظل مرتبطاً بالمسيحية ، إذ كانوا هم الأقلية الأكثر عدداً والأبرز دوراً فى حياة المجتمع الأندلسى . وقد اهتم علماء عديدون ببحث أوضاع هؤلاء «المستعربين» وحياتهم فى داخل الكيان الإسلامى فى الأندلس ، ولكن بعض هذه الدراسات انطلقت من مواقف مسبقة غلبت عليها العصبيات الدينية والقومية بحيث انحرفت بها عن الموضوعية وروح العلم المتجرد من الهوى . ولعل أوضح مثل تتجلى فيه هذه النزعة هو الكتاب الضخم الذى أفرده لدراسة أحوال هذه الطائفة المستشرق الإسبانى فرانسسكو سيمونيت (عاش بين سنتى ١٨٢٩ و١٨٩٧) الذى كان أستاذاً للدراسات العربية فى جامعة غرناطة ، فهو كتاب عظيم القيمة جليل الفائدة لولا أن صاحبه تصور أن الأندلس طوال تاريخها كانت منقسمة إلى فريقين : مسلمين ومسيحيين فى حرب دائمة دامية لاهوادة فيها . وأن المسيحيين ظلوا طوال قرون

عـديدة أسرى فى مـجتـمع يصب عليـهم أقصى ضروب الاضطهاد والتنكيل ويفرض عليـهم لغتـه وثقـافتـه على الرغم من أن حضارتهم كـانت أرقى وأعظم من حضارة مستعبديهم من المسلمين (١).

غيـر أن تقدم البـحث العلمى فى هذا الموضوع وفى دراسة الحضارة الأندلسية قد انتـهى بالباحـثين إلى نتائج مـضادة تمامـاً لذلك التصور ، وخلاصة هذه النتائج هى أنه إذا كان صحيحاً أن الشعبين الأندلسيين المسيـحى والإسلامى قد دار بينهمـا صراع طويل فإنهما قد تعـايشا أيضا خلال فترات طويلة ، وأنهـمـا تعارفـا على نحـو وثيق سمح بكثير من تبادل التـأثير والتأثر بينهما سـواء حـينمـا كـانـت الكلمة العـليـا للدولة الإسـلامـية الـتى عـاش فى ظلهـا المستـعربون ، أو حـينما انقلـبت الأوضاع فـأصبـحت الغلبة للـدولة المسيـحيـة التى بسطت حكمها على المسـلمـين ممن اصطلح على تسميتهم « بالمُدَجَّنين Mudéjares» ثم « بالمـوريسكـيين Moriscos» . فالحقـيقة أن المستعربين والمدجنين إنما هما وجهان لعملة واحدة .

وقد ناقش أنخل جونثـالث بالنثيا هذه القضـية فى دراسـته التى مـهد بهـا لنشر مـجمـوعة الوثائق المـستـعربيـة فقـال إن سيمونيت وأمثاله من أولئك الباحثين الذين طالما ذرفوا الدموع على المسيـحيين «شهداء الاضطهـــاد الإسـلامى» ينســـون أن أهم طوائف المستعربين هم الذين كـانوا يعيشون فى طليطلة . وكانت هذه المدينة هى أولى الحواضر الكبرى وقوعاً فى أيدى المسيحيين (فى سنة ٤٧٨/ ١٠٨٥) . وعـلى الرغم من أن طليطلة ومنطقتهـا الواقعة فى وسط شـبه الجـزيرة قد أصبـحت مركـز الدولة المسيحية قشتالة Castilla فقـد ظل سكانها المسـيحيـون يدعون أنفـسهم بـالمستـعربين واسـتمـروا يحـملون أسـماءهم الـعربيـة ويستخدمون باختيارهم وإرادتهم العربية فى معـاملاتهم ووصاياهم مماتشـهد به وثائقهم على مدى أكثـر من ثلاثة قرون من الزمان بعد أن آلت إليـهم الدولة والسلطة ، فهل

(1) Francisco Simonet : Los mozárabes , Madrid 1897 - 1903 .

وحول تقويم الجهد العلمى لهـذا المؤلف وبيان ما وقع فيه من تجاوزات بسبب منطقه الخـاطىء انظر كتاب چيمس مونرو : الإسلام والعرب فى البحث العلمى الإسبانى ، من القرن السادس عشر حتى الوقت الحاضر :

James T. Monroe : Islam and the Arabs in Spanish Scholarship , Leiden , 1970 , pp. 84 - 100, 200 - 201, 236 - 238.

يمكن لأحد أن يتصور أن المسلمين الذين ظلوا فى طليطلة أقلية مغلوبة على أمرها هم الذين فرضوا على الأكثرية المسيحية الغالبة لغتهم العربية ؟ النتيجة المنطقية التى وصل إليها جونثالث بالنثيا من هذه الحقيقة التاريخية هى أن المسيحيين سواء منهم الذين عاشوا فى ظل الدولة الإسلامية أو الذين تمتعوا باستقلالهم السياسى رأوا فى الحضارة العربية الأندلسية نموذجاً أرقى مماكان لديهم ، فحرصوا على تقليده والاحتذاء على مثاله . وما أكثر ما نجد هذه الظاهرة تتكرر فى تاريخ الإنسانية ، وهى أن الغالب هو الذى يقلد المغلوب ويصطنع ثقافته حينما يراه أسبق منه فى مضمار الحضارة (٢) .

المستعربون فى طليطلة حتى عصر الطوائف :

كان هؤلاء المستعربون يؤلفون طائفة كبيرة العدد إلى حد ما فى المناطق الجنوبية من شبه الجزيرة حيث كانت العقيدة المسيحية قد رسخت منذ أواخر العصر الرومانى وخلال العصر القوطى ، يدل على ذلك وجود العديد من الكنائس فى قرطبة وإشبيلية وغيرهما من مدن الجنوب ، والإشارات الكثيرة إلى المسيحيين فى المصادر العربية الأندلسية التى تؤرخ للقرون الأولى من تاريخ الإسلام فى شبه الجزيرة (فيما بين القرنين الثامن والعاشر الميلاديين) . أما طليطلة فقد كان المتوقع لأول وهلة وجود طائفة مسيحية كبيرة فيها ، لاسيما وأنها ظلت خلال العصر القوطى عاصمة لدولتهم ، وأن الملك القوطى ريكاريدو Recaredo (الذى حكم بين سنتى ٥٨٦ و ٦٠١) اعتنق الديانة الكاثوليكية بعد أن كان أسلافه ومعهم الطبقة الحاكمة القوطية يدينون ببدعة مسيحية تدعى « الأريوسية Arrianismo » كان الشعب الإيبيرى يكرهها وينفر منها . غير أن الباحثين ميكيل دى إيبالثا وزوجته ماريا خيسوس روبييرا أثبتا فى دراسة طريفة لهما حول الموضوع أن المسيحيين لم يكونوا كثيرى العدد فى طليطلة حينما فتحها المسلمون ، وأن عددهم اتجه

---

(2) Angel González Palencia : Los mozárabes de Toledo en los siglos XII y XIII , volumen preliminar , Madrid , 1930 , pp. 117 - 118.

إلى التناقص التدريجى بعد الفتح وذلك لسببين : الأول أن زعماء هذه الطائفة وعلى رأسهم أساقفتهم وقساوستهم عمدوا إلى الفرار إلى الشمال ، والثانى أن كثيراً من هؤلاء المسيحيين اعتنقوا الإسلام . ومن أجل ذلك كان على نصارى طليطلة أن يبحثوا عن أساقفة يقومون برعاية شئونهم الروحية يستقدمونهم من قرطبة (٣) .

وقد انخدع بعض المؤرخين بأخبار الثورات الكثيرة التى كان الطليطليون يقومون بها فى وجه النظام الحاكم فى قرطبة خلال القرنين الثامن والتاسع الميلاديين ، فظنوا أن القائمين بها من المسيحيين ، غير أن الذى ينعم النظر فى تلك الأخبار سرعان ما يتكشف له أن حملة لوائها كانوا دائما من المسلمين ، وأن السبب فى نزعاتهم التمردية لم يكن له علاقة بالدين ، وإنما كان سياسياً واقتصادياً فى المقام الأول (٤) .

المستعربون الطليطليون بعد زوال الحكم الإسلامى :

وظل الأمر كذلك على عهد الخلافة ثم عصر الطوائف ، أى خلال القرنين العاشر والحادى عشر الميلاديين حتى

---

(3) Mikel de Epalza y Maria Jesús Rubiera : Los cristianos toledanos bajo dominación musulmana.

(المسيحيون الطليطليون فى ظل الحكم الإسلامى) ، مقال منشور فى مجموعة الدراسات التى قدمت فى « ملتقى طليطلة الإسبانية العربية » ، سلمنكة :

Simposio Toledo hispanoárabe, Salamanca, 1986, pp. 130 - 131.

(٤) من أجلى الأدلة على ذلك أن زعيم ثورة الطليطليين على أيام الأمير الحكم بن هشام كان غربيب بن عبد الله الثقفى (المتوفى سنة ٢٠٧/٨٢٣) وكان « زاهدًا معروف الفضل » ويذكر من ترجموا له « أن الذى أخرجه من قرطبة إلى طليطلة وقوعه فى أمرائها وإعلانه بتجويرهم » . انظر ترجمته فى تاريخ افتتاح الأندلس لابن القوطية ، المنشور بعناية خوليان ريبيرا ، مدريد سنة ١٨٦٨ ، ص ٤٦ ؛ وجذوة المقتبس للحميدى ، تحقيق محمد بن تاويت الطنجى ، القاهرة ١٩٥٢ ، ترجمة رقم ٧٥٥ ص ٣٠٧ ؛ وبغية الملتمس للضبى ، تحقيق فرانسسكو كوديرا ، مدريد ١٨٨٥ ، ترجمة رقم ١٢٨١ ، والمغرب فى حلى المغرب لابن سعيد ، تحقيق شوقى ضيف ، القاهرة ١٩٥٥ ، ٢/ ٢٣ ؛ والذيل والتكملة لابن عبد الملك المراكشى ، السفر الخامس ، تحقيق إحسان عباس ، بيروت ١٩٦٥ ، ترجمة رقم ٩٩٥ ص ٥٢٢ ؛ ونفح الطيب للمقرى ، تحقيق إحسان عباس ، بيروت ١٩٦٨ ، ٤/ ٣٢ .

سقوط طليطلة فى يد ألفونسو السادس Alfonso VI ملك قشتالة فى سنة ٤٧٨ (مايو ١٠٨٥) ، فقد أعقب فتحه لها تضخم كبير مفاجىء للطائفة المسيحية ، وذلك بسبب تزايد الهجرة إليها سواء من القادمين من مدن الجنوب فراراً من الفتن والحروب الأهلية أو الوافدين من الممالك والإمارات المسيحية الشمالية ، بل نحن نعرف أن ألفونسو السادس استعان فى فتحه طليطلة بأعداد كبيرة من الفرسان والجنود ورجال الدين الفرنسيين ، وعلى رأسهم الراهب برنارد Bernard الذى أصبح كبير أساقفة المدينة ، وهو الذى قام - فى غيبة الملك عن المدينة - بالاتفاق مع الملكة كونستانس Constance وكانت فرنسية أيضا على تحويل مسجد طليطلة الجامع إلى كنيسة ، وكان ذلك نقضاً للمواثيق التى عقدها ألفونسو مع مسلمى المدينة والتى وعدهم فيها بالإبقاء على مساجدهم وعلى ممارستهم لشعائرهم [٥] .

وكانت طليطلة قد بلغت أوج ازدهارها الحضارى والثقافى خلال القرن الحادى عشر الميلادى فى ظل دولة بنى ذى النون ، ووجد ألفونسو السادس نفسه هو ورجال دولته يحكمون رعية كان معظمها فى البداية من المسلمين ، ولهذا فإن المسيحيين الوافدين الذين زاحموا أولئك المسلمين فى مدينتهم لم يجدوا بُدّاً من التعامل معهم باللغة العربية التى كانت آنذاك هى لغة الحضارة ، وكان أكثرهم ولاسيما الذين قدموا إلى طليطلة من المدن الأندلسية الأخرى يعرفون العربية ويستخدمونها من قبل . وهذا هو ما يفسر لنا أن الوثائق التى جرى المسيحيون على التعامل بها والتى سلمت من عدوان الزمن وصلت إلينا مكتوبة بالعربية ، بل ظل التعامل بهذه اللغة سارياً كما ذكرنا على امتداد ثلاثة قرون أخرى من الزمان .

---

(٥) انظر كتاب تاريخ إسبانيا لأجوادو بلييه :
Aguado Bleye : Historia de España , Madrid, 1947, I, p.602.

الوثائق المستعربية :

يبلغ عـــدد هذه الوثائق التـى اضطلع بتحقـيقها وترجـمتها إلى الإسبـانية أنخل جونثالث بالنثيا ألفاً ومـائة وخمسا وسبعين وثيقة (١١٧٥) ، وكـان معظمها مـحفوظاً فى كـاتدرائيـة المدينة ، وباقـيهـا فى دور المحفوظات أوفى مجموعات خاصة . وبين هذه الوثائق إحدى وعـشرون وثيقة عـربية إلا أنهـا مكتـوبة بحروف عـبـريّة ، وهى تشتـمل على معـاملات بين أفراد الـطائفة اليهـودية ، وقد قـام بتحقـيق هذه الوثائق أستـاذ اللغة والأدب العـبريين فى جامـعة برشلونة الأستاذ ملياس فاليكروسا Millás Vàllicrosa ، ورأى بالنثيا أن يضـمها إلى الوثائق المسـتـعـربيـة ، إذ هى تنتـمى فى الحقيقة إلى هذه المجموعة لغة وموضوعاً . وقد اقتضت ضخـامة عدد الوثائق أن تنشر فى ثلاثة مجلدات كـبيرة ، وأضاف إليـها المحقق مـجلداً رابعاً يضم دراسة وافيـة لها مع عدد من الملاحق والفهارس [٦] .

والشطر الأكبر من هذه الوثائق (٧٢٦ وثيقـة) متـعلق بالبيـوع ، أى عقـود البيع والشـراء ، وباقـيهـا يشـتـمل على وثائق الهـبـات وتحرير العـبـيـد والمعـاوضـات والقـروض والرهـون والإجـارات والديون والمنازعـات القـضـائيـة وعـقـود الزواج والشهادات والوصايا على اختلاف أنواعها .

وأمـا تـواريخ هذه الوثائق فـأولاها مـبـايعـة ترجع إلى سنة ١٠٨٣ أى قـبل اسـتـيلاء ألـفونسـو السـادس على المدينة بسنتين ، والوثيقـة الأخيرة ترجع إلى سنة ١٣٩١ ، ومعنى ذلك أنها تتناول حياة أهل طليطلة على مـدى القرون الثـلاثة الأولى من حكمها المسيحى .

والملاحظ مع ذلك أن جـمـيع الوثائق تستـهل بصيغـة البسملة الإسـلامية تليـها عـبارة « لـه الحـمـد وحـده » أو « وبه أستعين » أو « توكلت على الله وحده » . وحينما يرد اسم شخص فى الوثيقة فكثيراً مـايتـبـعه الكـاتب بدعـاء مـثل «أدام الله بركته» أو « أعزه الله » أو « أكرمه الله » .

---

(6) Angel González Palencia : Los mozárabes de Toledo en los siglos XII y XIII , en 4 volumenes , Madrid, 1926 - 1930 .

أسماء الأعلام :

وحينما نتأمل أسماء الأعلام المسيحية الواردة فى الوثائق نلتقى بكثير من الأسماء والكنى والألقاب العربية ، إذ تكثر فيها أسماء عبد الله وعبد العزيز وعبد الملك وعبد الكريم وعبد القوى وعبد الرحمن وعبد السلام وعلى وعمر ومفرح ومقاتل وهلال وخلف وحاتم وفرج ومريم وفطومة وعائشة ، وكنى مثل أبى الحسين وأبى الربيع وأبى العاص وأبى الخير وأبى السرور وأم الهدى ، وألقاب مثل ابن الغربية والأحنف والأديب والأزرق والشقيق والكوسج (القليل شعر اللحية) واليتيم ، ونلتقى أحياناً بألقاب طريفة مما كان شائعاً بين مسلمى الأندلس مثل الأقرع ومعه ترجمته إلى الرومانسية أى الإسبانية القديمة وهو « القَلْبُه » . (El Calvo) وكذلك الأجعد (El Crespo) والفخم الجسم وترجمته «الغُرْضُه» (El Gordo) وبصفات ينبزون بها مثل «درهم ونصف» و«العينين فى رأسه» و«بوقه دى شابله الحوّات » Boca de Sábalo ومعناه «فم الشابل» وهو نوع من السمك ، والحوات هو بائع السمك أى السمَّاك .

ونجد أحيانا مزجاً بين ألفاظ عربية ولواحق عجمية فى مثل اسم « فرجال» ، وهو فرج أضيفت إليه اللاحقة العجمية الدَّالَّة على التصغير Farach - ello ، وكذلك سمرال ، وهو صفة أسمر أضيفت إليها نفس اللاحقة Samar - ello ، وهو لفظ كثيراً مانجده فى الأزجال الأندلسية وفى خرجات الموشحات المكتوبة باللغة الدارجة . ومثل هذا أيضا إضافة اللاحقة ez – التى تدل على معنى البنوة ، فكما أن الشائع فى الإسبانية استخدام Sánchez بمعنى «ابن سانشو Sancho » و Pelaez بمعنى ابن بيلايو Pelayo فكذلك نجد اسم حبيبس Habibez أى «ابن حبيب» .

وتلحق ببعض الأسماء نِسَبٌ منها فى أسماء المسيحيين البرشلونى والنربونى ، وبالنسبة لأسماء المسلمين نجد بعضها مرفوعا إلى قبيلة عربية أو بربرية أو إلى مدن أندلسية ، منها الأنصارى والفِهرىّ والحضرمى والعُذْرى ، واللمطى والصُّنْهَاجى (نسبة إلى قبيلتى لمطة وصنهاجة البربريتين) ، وكذلك الأَبَّذِى

والغرناطى والبسطى والإشبيلى والمرشانى ، وهذه الأخيرة نسب إلى مدن أندلسية ، بل نجد أيضا من يدعى المراكشى والغَزِّى (نسبة إلى غزة بفلسطين) .

وكانت الأسماء العربية شائعة بين المستعربين ، وكثيراً ما نرى فى الأنساب الكاملة لبعض المتعاقدين أسماء مختلطة عربية وعجمية نورد فيما يلى أمثلة لها : مرتين Martin بن أبى البقاء ، أبو الأصبغ عبد العزيز لمبدير Lampader ، بطره لازره Pedro Lázaro ابن عبد القوى ، الوزير القاضى دون بيطره Don Pedro بن عبد الرحمن بن يحيى بن حارث ، دمنقه Domingo بن عبد العزيز ابن سفيان، فليز Feliz بن يحيى بن عبد الله ، وهكذا .

خطط طليطلة ومعالمها العمرانية :

ومن أهم ما تطلعنا عليه الوثائق خطط طليطلة وعمرانها ، ذلك لأنها – ولا سيما فى عقود البيوع تنص على مواقع المنازل والأحياء والميادين والشوارع فى دقة متناهية . ومن المعروف أن المدينة تقع داخل منعطف من نهر تاجه Rio Tajo يحيط بها من ثلاث جهاتها : الشرقية والغربية والجنوبية ، فيكون النهر لها أشبه بسور غير مكتمل . وكانت مقتضيات الدفاع عنها تلزم بإقامة سور محكم البناء يحيط بها ولاسيما من جهة الشمال ، إذ كان النهر يمثل دفاعاً طبيعيا لها من بقية الجهات غير أن هذا الوضع الجغرافى جعل طليطلة تظل دائما فى موقعها التاريخى القديم لاتستطيع النمو ولا التوسع إلا فى نطاق محدود جداً ، فلم يتغير تخطيط شوارعها ولا أحيائها حتى اليوم تقريباً عما كانت عليه فى عهدها الإسلامى . وميزها هذا الوضع الفريد عن مدن أخرى كان عمرها الإسلامى أطول بكثير ، غير أن وضعها الجغرافى سمح لها بتطور كبير غيَّر الكثير من معالمها الإسلامية .

وتعد الكنيسة العظمى (الكاتدرائية) – وهى مسجد طليطلة الجامع الذى حُوِّل إلى كنيسة – هى مركز عمران المدينة ، وأمامها كان يمتد حى يدعى «كُدْيَة الحطب» ثم أصبح يدعى «الكدية» Alcudia (وهو

لفظ عربى كثر استخدامه فى الأندلس وهو يعنى الرابية أو المرتفع) . وأهم شوارع الكدية كان يدعى «درب شبيب Adarve de Sebib» وكانت توجد فيه عدة بيوت يملكها ورثة سيف الدولة Zafadola ابن هود (وهو سليل بنى هود الذين كانوا ملوك سرقسطة على عهد الطوائف) ، وكان سيف الدولة حليفاً لألفونسو السابع Alfonso VII الملقب بالسُّلَيْطين (حكم قشتالة بين ١١٢٦و ١١٥٧/ ٥٢٠ - ٥٥٢ هـ .)

ويتصل بهذا الحى الواقع فى وسط المدينة حى « البيرالمُرّ Pozo Amargo » حيث كان يوجد حمام مشهور يدعى حمّام يعيش ، ولابد أن يكون هذا الحمام ملكاً لأحد أفراد بنى يعيش الذين كانوا من أبرز أسر المدينة وأكثرها جاهاً وثروة ، وكان منهم يعيش بن محمد بن يعيش الذى كان رئيس طليطلة ومدبر أمرها قبل أن تنتقل السلطة فيها إلى بنى ذى النون [٧] .

ولما كان هذا الحى هو مركز النشاط التجارى فى المدينة فقد كان يضم عدداً من الأسواق التى يتجمع فيها أصحاب المهنة الواحدة فى درب واحد على ماكان معتاداً فى المدن الإسلامية . فقد كانت فيه أسواق العطارين والجزارين والصرافين والحصّارين (باعة الحُصْر) واللجّامين (باعة لُجمُ الخيل) والبلطيرين (وهو لفظ عجمى peletero أضيفت إليه لاحقة الجمع العربية ومعناه باعة الفراء) والحَنّاطين (باعة الحِنْطة) والحدادين والفخارين .

وإلى الشمال الشرقى من الكدية توجد«قصبة» المدينة Alcazaba أى قلعتها المحصنة المسّماة بالحزام ، وهى مدخل المدينة من جهة الشمال وأكثر أجزائها تحصيناً ومنعة ، إذ يحيط بها سور متين البنيان ، وفى طرفها الأعلى باب يدعى «باب القنطرة» Puerta de Alcántara إذ يطل على القنطرة المؤدية إلى خارج

(٧) يعيشْ بن محمد الأسدى كان فقيها له ، رحلة إلى الشرق ، وتولى الأحكام ببلده ثم صار إليه تدبير الرياسة منذ أيام الفتنة التى انتهت بسقوط خلافة بنى أمية وكانت وفاته سنة ٤١٨ (١٠٢٧) . انظر ترجمته فى الصلة لابن بشكوال ، رقم ١٥٢٠ ص ٦٥٠ .

المدينة . وفى هذا الجزء كان يقوم قصر حاكم المدينة على عهد المسلمين ، وقام ملوك بنى ذى النون بتجديده ، ثم أصبح قصر ملوك قشتالة منذ استولى المسيحيون على المدينة ، وكانت القصبة المتصلة بالقصر مستقر الحامية العسكرية . ويطل سور القصبة على سوق كبير كان يدعى «سوق الدواب» ومازال محتفظاً باسمه العربى محرفاً فى صورة Zocodover ..

والجزء الشمالى الشرقى من المدينة وهو المحيط بالقصر الملكى كان هو الحى الذى يقطنه كبار رجال الدولة ، فكانت منازله تتميز بالفخامة ، أما الجزء الجنوبى فهو الذى توجد فيه الاحياء الشعبية ، ومنها حى الدَّباغين الذى كان بحكم طبيعة هذه المهنة ملاصقاً لضفة النهر الجنوبية .

ولما كانت المدينة محاطة بأسوار تقتضيها ضرورة الدفاع فقد تخللت الأسوار عدة أبواب ، أهمها فى الشمال «باب المردوم» (ويدعى الآن Valmardom) وهو يطل على رَبَض (أى ضاحية) ألحق بالمدينة بعد توسعها شمالاً ثم أدير حوله سور آخر، وفتح فى هذا السور باب يدعى باب شقرا Puerta de Bisagra وهو الذى أصبح مدخل المدينة الرئيسى من جهة الشمال والشمال الغربى . وإلى الغرب من هذا الباب آخر يدعى «باب اليهود» لأنه كان مطلا على الحى اليهودى . وفى أقصى الجنوب بابان آخران هما باب الدباغين وباب الحديد .

وكان لكل حى من أحياء المدينة مرافقه الخاصة من أسواق وحمامات ومساجد . ومن المؤكد أن كل كنائس طليطلة القائمة اليوم كانت هى مساجدها بعد نقض بنائها ، وإن كانت بقايا البنايات القديمة ماثلة فى عدد منها ، بل احتفظ بعضها بطابعه المسجدى سليماً إلى حد بعيد مثل مسجد باب المردوم الذى يدعى الآن كنيسة مسيح النور Cristo de la Luz ومسجد الدباغين الذى أصبح الآن كنيسة سان سباستيان San Sebastian..

التكوين السكانى للمدينة :

يظهر من الوثائق أن المسلمين الذين ظلوا فى المدينة بعد استيلاء ألفونسو السادس عليها كانوا يقيمون منتشرين فى كل أنحاء طليطلة معايشين لمن قدم عليها من المسيحيين دون أن ينفردوا بأحياء معينة ، على العكس من اليهود الذين تجمعوا فى حيهم الخاص . فإذا تأملنا تكوين سكان طليطلة بحسب ماتكشف عنه الوثائق أمكن لنا أن نتبين منهم أربع طوائف :

الأولى المسلمون وكانوا يؤلفون غالبية السكان فى بداية الفتح المسيحى ، ولكنهم أخذوا فى التناقص بالتدريج بسبب هجرة الكثيرين منهم إلى المناطق التى ظلت فى أيدى المسلمين من شبه الجزيرة ، ومع ذلك فقد بقى منهم عدد كبير إلى نهاية القرن الثالث عشر . ولما كان المسيحيون المستعربون يستخدمون أسماء عربية فقد اقتضى التمييز بينهم وبين المسلمين أن تضاف صفة « المسلم » إلى اسم من كان على هذا الدين ، فنجد مثلا « ابن طورينه المسلم » الذى كان أمين الفخارين سنة ١١٣٥ (٥٢٩هـ .) [٨] .

وكان بعض هؤلاء يتمتع بقدر كبير من الجاه والثروة ، مثل ورثة الأمير سيف الدولة ابن هود الذى تدل الوثائق على كثرة أملاكه فى مختلف أحياء طليطلة [٩] ، ورجل يدعى « الموّاق » يتردد ذكره فى الوثائق لكثرة ما كان يمتلكه هو ثم أبناؤه من بعده من بيوتٍ وحوانيت ، وكانت داره فى أرقى أحياء المدينة بجوار

(٨) انظر المجلد التمهيدى لكتاب بالنثيا ص ٢٣٥ ، وقد عثرنا على ترجمة لفقيه من بلنسية يدعى أحمد بن عبد العزيز الأنصارى ويلقب بابن (فى الأصل أبى) طورينه وكان يعيش فى القرن السادس الهجرى (الثانى عشر الميلادى (الذيل والتكملة لابن عبد الملك ، السفر الأول ، ترجمة رقم ٣١٦ - ٢٤٢/١) ونرجح أن تكون هناك صلة قرابة بين هاتين الشخصيتين .

(٩) المجلد التمهيدى لكتاب بالنثيا ص ٥٥ ،١٥٢ والوثيقة ١٣٠ - المجلد الأول ص ٩٣ - ٩٤ . وتاريخ هذه الوثيقة سنة ١١٧٧ (٥٧٢ - ٥٧٣ هـ .) .

الكنيسة العظمى والقصر الملكى مرجعاً لكثير من الوثائق ، بل أصبح الشارع الذى توجد فيه تلك الدار يعرف باسمه : «درب المواق» [10] ويظهر أن بعض من ينحدرون من ذرية هذا الرجل قد آثروا بعد ذلك فى زمن لانستطيع تحديده الهجرة إلى غرناطة [11] . وذلك لأننا نجد فى بعض مصادرنا العربية عن تاريخ غرناطة خلال القرن التاسع الهجرى (الخامس عشر الميلادى) فقيهاً مشهوراً يدعى يوسف بن أبى القاسم العبدرى المواق ، ثم ابناً له كان قاضى غرناطة وكبير فقهائها والمفتين بها فى السنوات الأخيرة من حياتها الإسلامية ، وقد أدرك هذا القاضى وهو محمد بن يوسف المواق سقوط غرناطة فى أيدى الملكين الكاثوليكيين سنة ٨٩٧ (١٤٩٢) [12]. ولابد أن هذه الشخصيات البارزة من مسلمى طليطلة كانت على جانب كبير من سعة الثقافة وأنها لذلك ساهمت فى العديد من ألوان التبادل الثقافى بين المسيحيين والمسلمين ، لاسيما ونحن نعرف أن حالات الزواج المختلط بين المسلمين والمسيحيين لم تكن قليلة فى المدينة [13] .

والطائفة الثانية من سكان المدينة هم المسيحيون المستعربون الذين كان عددهم محدوداً فى البداية حينما استولى ألفونسو السادس على طليطلة ، ولكن سرعان ما تزايدوا فى القرون التالية حتى أصبحوا هم غالبية السكان ، ولهذا فإننا لانجد فى الوثائق النص على مسيحية المثبتين فيها ،إذ كان هذا هو الشائع المتوقع . على أن

---

(١٠) المجلد التمهيدى ص ١٥٢ والوثائق أرقام ١٦٠ ، ٣٠٢ ، ٣١٤ ، ٤١٧ ، ٥٨١ ، ٧٣٨ ، ٧٥١ .

(١١) آخر الوثائق التى تذكر اسم «المواق» هى رقم ٧٥١ المؤرخة فى سبتمبر ١٢١٣ (٦١٠هـ .) حيث يرد ذكر « دار كانت للمواق» . (المجلد الثالث) ص ٢٤- ٢٥ .

(١٢) انظر ترجمة المواق هذا فى نيل الابتهاج بتطريز الديباج لأحمد بابا التنبكتى ، على هامش الديباج المذهب لابن فرحون ، القاهرة ١٣٥٠ ص ٣٢٤ - ٣٢٥ ؛ والضوء اللامع للسخاوى ٩٨/١٠ ؛ ودرة الحجال لابن القاضى ١٤١/٢ .

(١٣) تشهد بذلك وثائق عديدة . انظر مثلا الوثائق ٩٤٥ و ٢٤٢ و٩٣٥ ، وانظر المجلد التمهيدى ص ١٥٣ .

هؤلاء المسيحيين لم يكونوا مجتمعاً واحداً متجانساً ، فقد كان من بينهم أولا المستعربون الذين كانوا مستقرين فى المدينة فى ظل الحكم الإسلامى ، ثم المسيحيون الغزاة القادمون من الشمال ، وكان هؤلاء أكثر خشونة وأدنى فى المستوى الحضارى من الطائفة السابقة ، وكانت معرفتهم بالعربية أقل ، فكان الموثق يحتاج إلى أن يترجم لهم بلغتهم ما يكتبه من وثائق حتى يطمئن إلى فهمهم لها . ويلحق بهؤلاء من شاركوا فى غزو المدينة من الإفرنج (الفرنسيين) الذين عاشوا فى حى خاص بهم (ربض الإفرنج) وكانت هذه الطائفة هى أقل طوائف السكان معرفة بالعربية .

وتكشف عن هوية الأفراد المنتمين إلى هؤلاء النسب الملحقة بأسمائهم والتى تدل أيضا على المواضع التى قدموا منها . فنحن نجد فى أسمائهم : غليام بيطايين Guillaume Pitevin (نسبة إلى بواتييه) ، وأرنالد طلشان Arnaldo (Arnault) Tolosano أى المنسوب إلى طلوشة (تولوز Toulouse) [14].

والطائفة الأخيرة هم اليهود الذين كانوا يساكنون المسلمين قبل الفتح المسيحى ، وكان هؤلاء متشبعين بالثقافة العربية ، ولهذا فقد كتبوا وثائقهم بالعربية وإن كانت بحروف عبرية . وكان بعض هؤلاء اليهود من أصحاب الجاه العريض فى المدينة . إذ نجد أسماءهم مشفوعة بأدعية تشريفية مثل «دام عزه» [15] ، بل نرى أحدهم وهو أبو عمر بن شوشان - وذكره يتردد فى وثائق كثيرة - يوصف بأنه «الوزير الأكمل المشرف الأعز الأفضل» [16] وكان لهم معبد كبير أو «شنوغة» Sinagoga مقامة فى حيهم الخاص بغربى المدينة كانت تدعى فى الوثائق باسم الماليكيم Almaliquim وكان قد اضطلع ببنائها الحاخام داود بن سليمان بن أبى درهم قبل سنة ١٢٧١ (٦٧٠هـ) [17]

ويتضح من الوثائق أن كثيراً من هؤلاء

---

(١٤) انظر على الترتيب الوثيقتين رقم ٥٥٨ - المجلد الثانى ص ١٤٩ ؛ ورقم ٣٦٦ ، المجلد الأول ص ٣٠٦ .

(١٥) الوثيقة رقم ٣٣١ ، المجلد الأول ص ٢٧٢ .

(١٦) الوثائق أرقام ٢٧٦ ، ٢٧٩ ، ٢٨٠ ، ٢٨٢ ، ٢٨٤ ، ٢٩٠ ، ٢٩٧ ، ٣٣٥ ، ٣٤٤

(١٧) الوثيقة رقم ١١٤٤ ، المجلد الثالث ص ٥٨٤ .

اليهود كانوا يمتهنون العديد من الحرف والصناعات ، فمنهم خياطون وحدادون وفرّانون وغير ذلك . ولكن الغريب - كما يذكر جونثالث بالنثيا - هو أننا لا نجد بينهم مرابين أو مقرضين للنقود وهى المهن التى تشيع نسبتها إليهم(١٨).

الوظائف والمهن :

نلاحظ أن كثيراً من أسماء الوظائف والمناصب والمهن تحتفظ فى الوثائق بأسمائها العربية نذكر منها :

- **الحاكم ، القاضى** : حاكم المدينة أو البلدة أو القرية ، ويقابله فى الإسبانية لفظ Alcalde (المأخوذ من لفظ القاضى العربى) .

- **الوزير** : وهو لقب تشريفى نجده فى الوثائق مضافاً إلى كثير من المناصب أو إلى أشخاص لايتولون وظيفة رسمية ، وإنما هو على سبيل التشريف ، وهو يرد بصورة alguacil حينما يترجم إلى العجمية .

- **المستناب** : وهو نائب الحاكم ، وهى وظيفة كثيراً مانراها متوارثة فى نفس الأسرة .

- **صاحب الشرطة** : ومهمته الحفاظ على الأمن فى المدينة .

- **الكاتب** : وهو يعنى الموثق الذى يتولى تحرير الوثائق .

- **الوكيل** : وهو الذى ينوب عن المتقاضين فى الدفاع عن مصالحم وبيان حقوقهم . وهى وظيفة قديمة تميز بها نظام القضاء الإسلامى فى الأندلس ، وهى تقابل المحامى فى نظمنا الحاضرة ، ونجده يسمى فى بعض الوثائق « الثقة » .

- **الخصيم** : وهو محامى الدولة ، ويشبه فى نظامنا الحالى المدعى العام ، ويظهر أن هذه مهنة مستحدثة فى طليطلة فى عهدها المسيحى ، إذ لانراها فى النظام القضائى الأندلسى .

- **المشرف** : وهو لفظ انتقل إلى الإسبانية فى صورة almojarife ووظيفته منقولة عن

---

(١٨) انظر المجلد التمهيدى ص ١٤٣

تلك التى كانت قائمة فى الأندلس الإسلامية ،ويسند إلى متوليها الإشراف على الجبايات . وكثيراً مايضاف إلى القائم بها لقب « الوزير » التشريفى .

– **المحتسب** : وكان يدعى أيضا فى الأندلس الإسلامية صاحب السوق ، وقد ظلت وظيفة المحتسب فى طليطلة المسيحية كما كانت فى عصرها الإسلامى ، وانتقل اللفظ إلى الإسبانية فى صورة almotacén ومهمة المحتسب هى مراقبة الأسواق والحرص على صحة الموازين والمكاييل .

– **الأمين** : ويطلق أحيانا على المحتسب .

– **الناظر** : ويدعى أيضا « الرائى » وهو الذى يعهد إليه بالإشراف المالى على مؤسسة ما ، وكثيراً ما نجده فى الوثائق متولياً لتدبير أملاك كنيسة أودير ، كما نرى فى مثل هذه العبارة « الذى له النظر فى جميع ماللإفرايليين » وهذا اللفظ الأخير هو جمع إفرايل (تعريب fraile أى راهب) .وأحيانايطلق على متولى هذه الوظيفة الاسم العجمى « ميردوم » (تعريب mayordomo) ، كذلك يطلق عليه أحياناً لقب « الخازن » ، وهو مأخوذ من النظام الإسلامى القديم فى الأندلس ، وكان فى البداية يطلق على الوزير المكلف بشئون المال ، ثم أصبح يستخدم للدلالة على المدير أو المفتش المالى فى مؤسسة ما ، ومن الطريف أن نذكر أن اسم هذه الوظيفة قد ترجم فى العصور التالية ترجمة حرفية إلى الإسبانية ، فأصبح لقب veedor (اسم الفاعل من ver أى نظر) .

– **المتصرفة** : وهى مديرة منزل أو دير .

– **القائد** : وهى رتبة عسكرية رفيعة ، وكان الطبيعى أن يكون من يلونها من المسيحيين المقربين إلى الملك ، غير أننا نرى أحد من تصرفوا فى هذه الخطة يحمل اسماً عربياً هو «شبيب بن عبد الرحمن » الذى يتردد ذكره فى الوثائق ، وكان اسمه يطلق على درب فى الكدية فى أرقى أحياء المدينة . ومن الطريف أن نجد وثيقة وصية أوصى بها أحد أعيان الإفرنج وهو أرنالدسقين Arnald Çequin ويقول فى

آخرها : « وجعل تنفيذ وصيته إلى القائد دون شبيب بن عبد الرحمن » واثنين آخرين « لما علم من فضلهم وديانتهم »[19] .

– الدليل : وهى كذلك وظيفة عسكرية رفيعة ، إذ هو الذى يوكل إليه توجيه حركة الجيش ، وقد انتقل اللفظ مع الوظيفة نفسها إلى النظام العسكرى الإسبانى فى صورة adalid . وكان معظم من تولوا هذا المنصب من المسيحيين ، غير أننا نجد أيضا عدداً ممن كانوا يتولونه يحملون أسماء عربية ، منهم من يدعى بيطره مورُ Pedro Moro (أى العربى أو المسلم) وآخر يدعى رذريق بن أبى زيد[20] .

– الرائس : وظيفة عسكرية بحرية ، انتقلت إلى إسبانيا المسيحية بلفظها Arráez ، ويقابل متوليها قائد الأسطول أو القبطان ، ويكاد كل من ولوا هذه الوظيفة يكونون ممن يحملون أسماء عربية أو مختلطة : عبد الملك ، جوان بن خلف ، حسن بن فرج ، فرج بن إسحاق .

أما المهن والحرف فنجد معظم من يقومون بها يلقبون بصفات عربية ، ومعظم هذه الصفات انتقلت إلى الإسبانية نذكر منها : العريف alarife وهو رئيس المشتغلين بحرفة معينة ؛ البناء albañil؛ الفخار : صانع الأوانى الفخارية alfarero ؛ القرّاق : صانع الأقراق (أى الأحذية الفلينية) ، الرامى أو القواس أى صانع القِسىّ ، الحمّار أى المكارى ، الحمّامىّ صاحب الحمام أو العامل فيه ، الحجّام (بالإسبانية alfageme) وهو الحلاق بلغتنا العصرية ، الطرّاز أى المطرز ، الرقّامة أى المطرزة التى تقوم برقم الثياب ، النحّاس أو الصفّار أى صانع الأوانى النحاسية أو بائعها ، الصرّاف أو الصيرفى ، والحجار أو القطاع ويدعى أيضا قاطع الحجر ، الجيّار الذى يبيّض بالجير ، الكمّاد الذى يقوم بتلميع الأوانى ، النجّار بدلالتها المعروفة ، الشعّار أى بائع الشعير ، الشمّاع أى بائع

(١٩) الوثيقة رقم ١٠١٣ المؤرخة فى مايو ١١٥٦ (ربيع الثانى ٥٥١ هـ .) ، المجلد الثالث ص ٣٧٩ .

(٢٠) المجلد التمهيدى ص ٢٢٧ – ٢٢٨ .

الشمع ، الجرَّاح بدلالتها الحالية ، القلَّاس أى صانع القلانس أو بائعها ، الدبَّاغ بدلالتها الحالية ، الحصَّار أى صانع الحصر أو بائعها ، الدَّقاق بائع الدقيق ، الفرَّان صاحب الفرن ، الجنَّان أى البستانى ، الماشطة بدلالتها الحالية ، الحوات أى بائع الحوت وهو اللفظ الأندلسى الذى يطلق على السمَّاك ، القزَّار بائع القزّ أى الحرير ، السراج صانع السروج أو بائعها .

لغة الوثائق :

الوثائق كلها مكتوبة بالعربية فقط ، فيما عدا بعض الوثائق التى ترجع إلى تاريخ متأخر ، إذ أرفقت بنسخها العربية ترجمات باللاتينية أو الرومانسية (عجمية أهل الأندلس أى اللاتينية الدارجة التى أصبحت هى الإسبانية) . وتتميز الوثائق المبكرة التى كتبت فى زمن قريب من فتح المسيحيين للمدينة بأنها سليمة اللغة فصيحة التعبير إلى حد بعيد . وذلك لأن صيغ الوثائق كانت منقولة عن الكتب العربية المؤلفة فى هذا المجال . ومن الطريف أن نذكر أن تحرير الوثائق كان من أهم ما عنى به الفقهاء الأندلسيون ، وكان من أحسن الكتب التى ألفت فى هذا المجال كتاب لفقيه طليطلى مشهور هو أبو جعفر أحمد ابن مغيث الصدفى يقول ابن بشكوال فى ترجمته : « من جلة علمائها (علماء طليطلة) عالم بالحديث وعلله وبالفرائض (أى المواريث) والحساب واللغة والإعراب والتفسير وعقد الشروط (أى كتابة الوثائق) وله فيها كتاب حسن سماه « المقنع » . توفى فى صفر سنة ٤٥٩ (يناير ١٠٦٧) ومولده فى ٤٠٦ (١٠١٥) » [٢١].

ومن حسن الحظ أن مخطوطة هذا الكتاب قد سلمت من غوائل الزمن فهى محفوظة فى مكتبة المجمع التاريخى الملكى بمدريد برقم ٤٤ . وقد أتاح ذلك الفرصة لناشر وثائق المستعربين أنخل جونثالث

(٢١) الصلة لابن بشكوال ، الترجمة رقم ١٢٤ ص ٦٣ .

بالنثيا أن يقارن بين الصيغ المستعملة فى الوثائق وبين تلك الواردة فى كتاب ابن مغيث فرأى تطابقاً كاملًا يصل إلى حد النقل الحرفى بين هذه وتلك ، مما يدل على أن كتاب الوثائق المستعربية اتخذوا من كتاب ابن مغيث مرجعًا لهم ومن الصيغ التى أوردها نماذج يحتذونها ، وأورد أمثلة لذلك فى وثائق البيوع ، وهو ما يوجد أيضا فى كثير من الوثائق الأخرى الخاصة بالإجارات والحوالات والهبات والوصايا والمعاوضات وغيرها . ومما يلفت النظر أنه كانت توجد فى إسبانيا المسيحية وثائق قوطية قديمة كما كانت هناك وثائق حررت فى الممالك والإمارات المسيحية الشمالية ، ولكن موثقى طليطلة أعرضوا عن كل هذه المادة واستخدموا كتب الوثائق العربية التى ألفها المسلمون ، وكان السبب فى ذلك هو تميز هذه الوثائق بدقتها البالغة وتحديدها الواضح وهما سمتان تخلو منهما وثائق إمارات الشمال [٢٢] . ولم يكن ذلك غريباً فابن مغيث فقيه طليطلى توفى قبل فتح المسيحيين للمدينة بأقل من عشرين سنة ، وكان كتابه ذائع الصيت فى الأندلس ، فرأى فيه موثقو طليطلة ضالتهم ، ولم يحل اختلاف الدين بينهم وبين الاعتماد الكامل عليه فى تحرير وثائقهم .

ومن الواضح أن العربية التى كتبت بها الوثائق كانت مفهومة ولاسيما بين الأجيال الأولى للمستعربين المسيحيين ، ولكن هذه المعرفة تناقصت بمضى الزمن ، فكان على الموثق أن يشرح للمتعاقدين ماكتبه بالعربية ويفهمهم إياه . ونضرب على ذلك الأمثلة التالية :

(٢٢) انظر المجلد التمهيدى ص ٣٦٠ - ٣٦١ . وقد أورد بالنثيا فى ص ٣٦١ صيغة شراء منزل واردة فى كتاب المقنع لابن مغيث (الورقة ٣٦) ناصاً على أنها نفس الصيغة التى تستخدمها المجموعة فى الحالات المماثلة .

- فى وثيقة مبايعة رقم ١٠٩٨ :

« . . .بعد أن قرئ الكتاب على المبتاعين المذكورين بمحضر الشهود وفسرت معانيه إليهم بلسان فهموه فاعترفوا بذلك » (بتاريخ ١١٦٩/ ٥٦٤ هـ .) [٢٣] .

- فى وثيقة مبايعة رقم ١١٠٠ :

« . . . وبعد أن قرىء عليهم وفسرت معانيه إليهم بلسان فهموه فاعترفوا بفهمه» (بتاريخ ١١٩٣/ ٥٨٩هـ .) [٢٤] .

- فى وثيقة اتفاق معقود بين رجل إفرنجى وزوجته وابنه ، رقم ٩٨١ :

« وبعد أن فهم ذلك عليهم بلفظ عجمى واعترفوا بفهمه كله » (بتاريخ ١٢٠٦/ ٦٠٢) [٢٥] .

- فى وثيقة مبايعة رقم ١١٠٤ :

« وفسر عليهم نصه بلفظ أعجمى فهموه واعترفوا به » (بتاريخ ١٢١٦/ ٦١٢ هـ .) [٢٦] .

- فى وثيقة اتفاق بين رئيسة دير للراهبات وإحدى الأسر ، رقم ٩٨٤ :

« بعد أن قرئ عليها هذا الكتاب المذكور أعلاه حرفا بحرف بالعربى والعجمى وفهم عليها معانيه كلها » (بتاريخ ١٢١٧/ ٦١٣ هـ .) [٢٧] .

وتدلنا هذه العبارات على أنه كان من واجبات الموثقين الذين كانوا يحررون هذه الوثائق بالعربية أن يفسروا ماتضمنته الوثائق والعقود للمتعاقدين وأن يترجموها لهم باللغة العجمية التى يفهمونها ، وقد يستعينون على ذلك بمن لهم القدرة عليه . ومعنى ذلك أنه وجدت فى طليطلة طائفة لابد أن تكون كبيرة ممن يجيدون العربية واللاتينية أو الدارجة . ولسنا نشك فى أن هذه المعرفة اللغوية المزدوجة تجاوزت ميدان الوثائق والعقود إلى مجالات معرفية أخرى ، إذ إن ذلك يتفق مع ما أثبتته دراسات أخرى من تحول طليطلة منذ

---

(٢٣) المجلد الثالث ٣/ ٥١٧ .
(٢٤) المجلد الثالث ٣/ ٥٢٠ .
(٢٥) المجلد الثالث ٣/ ٣٢٢ .
(٢٦) المجلد الثالث ٣/ ٥٢٣ .
(٢٧) المجلد الثالث ٣/ ٣٢٥ .

استيلاء ألفونسو السادس عليها فى سنة ١٠٨٥ (٤٧٨ هـ .) إلى مركز انتشرت منه الثقافة العربية إلى باقى أنحاء إسبانيا المسيحية ، بل وإلى القارة الأوربية بأسرها . فقد ازدهرت فيها وبصفة خاصة خلال القرن السادس الهجرى (الثانى عشر الميلادى) حركة ترجمة واسعة النطاق نقلت كثيراً من كتب العلوم والفلسفة العربية إلى اللاتينية ، وكان يرعى هذه الحركة المعروفة باسم « مدرسة مترجمى طليطلة Colegio de traductores toledanos » الأسقف رايموندو مرتين Raimundo Martin الذى كان كبير مستشارى ملك قشتالة ألفونسو السابع (الذى حكم بين سنتى ١١٢٦ و١١٥٧/ ٥٢٠ - ٥٥٢ هـ .) . وقد اضطلع اليهود الذين نرى من الوثائق أنهم كانوا كثيرين فى طليطلة بدور كبير فى أعمال الترجمة بحكم إجادتهم للعربية (٢٨) .

ونعود إلى لغة الوثائق ، فنلاحظ أنه بمرور الزمن قد دخلها الفساد بالتدريج فأصبحت ولاسيما فى الوثائق المتأخرة تكتب بلغة قريبة من العامية الأندلسية الدارجة . وهذه ظاهرة على جانب كبير من الأهمية ، لأنه من خلال لغة الوثائق يمكن لنا أن نرصد بعض ملامح اللهجة الأندلسية ، وبخاصة فى منطقة وسط شبه الجزيرة .

- ومنها على سبيل المثال النبر الشديد على مقطع الكلمة الأخير أو السابق للأخير ، مما يحيل الكسرة مثلا إلى ياء أو الضمة إلى واو . فنحن نجد مثلا « أومها » بدلًا من « أمها » ، و «مؤمين » مكان « مؤمن » ، وداخيل (داخل) ، والبوحيرة (البحيرة) ، وتسكون (تسكن) ، وشاهيد (شاهد) ، وهوم (هم) ، والجيهة (الجهة) والهيبة (الهبة) ، ويذكوروا (يذكروا) . وهذا ظاهرة عامة

---

(٢٨) حول مدرسة مترجمى طليطلة انظر ماكتبه جونثالث بالنثيا فى « تاريخ الفكر الأندلسى » (ترجمة الدكتور حسين مؤنس) ص٥٣٦ - ٥٤٢ .

فى كثير من اللهجات الأندلسية ، وعليها شواهد كثيرة فى ديوان ابن قزمان وغيره من النصوص المكتوبة بالعامية ، بل نجد لها امتداداً فى كثير من اللهجات المغربية الحديثة .

– ونجد فى الوثائق عكس الظاهرة السابقة ، أعنى حذف بعض حروف اللين : «الدر» (الدار) ، رحها (روحها) .

– الخلط بين بعض الأصوات المتقاربة المخارج : فمثلا بين التاء والطاء : فطقوا (فتقوا) ، قتع (قاطع) ، وبين السين والصاد : صفلى (سفلى) .

– الاستعاضة عن الإضافة باسم يدل عليها ، مثل متاع أو متع ، إذ يرد مثلا « البيت متاع فلان » أى بيت فلان ، وهذه ظاهرة نجدها بكثرة فى نصوص عامية أخرى أندلسية ، ولفظ متاع الدال على المِلْك هو الذى تحرف فى العامية المصرية إلى «بتاع » بل نجد الوثائق تستخدم أحيانا حرف الجر العجمى الدال على ضمير الملك وهو دى ، وذى ،ودِ (de) .

– استخدام السابقة « حرف الكاف » المتصل بالفعل المضارع للدلالة على الحاضر أو المتصل أو المتكرر الحدوث فى مثل « حيث كتدبح الكباش » أى حيث تجرى العادة بذبح الكباش ، وهى صيغة كانت شائعة فى عامية الأندلس ، ومازالت مستخدمة فى العامية المغربية .

– وأغرب من ذلك إقحام نون الوقاية بين الاسم وضمير المتكلم مثل « أمامنى » فى موضع « أمامى » . ويبدو أن هذه من ظواهر اصطناع المبالغة فى التحذلق أو التفاصح .

والحقيقة أن الظواهر اللغوية التى يمكن أن تستخلص من الوثائق كثيرة جدا ، وهى تحتاج إلى دراسة مفصلة يمكن أن تكشف لنا عن كثير من خصائص اللهجة الأندلسية وتطورها على مدى نحو ثلاثة قرون (٢٩)

★ ★ ★

(٢٩) جمع الباحث ألباروجالميس دى فونتيس بعض الملاحظات الطريفة حول لغة مستعربى طليطلة الدارجة فى مقال قيم منشور فى مجموعة الدراسات التى قدمت فى « ملتقى طليطلة الإسبانية العربية » وهى التى أشرنا إليها من قبل :
Alvaro Galmés de Fuentes : La lengua de los mozárabes de Toledo, en Simposio Toledo hispanoárabe, Salamanca, 1986, pp. 135 -151.

مشهد إنسانى مؤثر فى نموذج للوثائق :

وبعد ، فإنه على الرغم من الانطباع الذى توحى به هذه الوثائق لأول وهلة من جفاف أو رتابة فإن الفوائد التى يمكن أن تستخلص منها بالغة الغزارة والقيمة ، وقد أشرنا إلى أهميتها اللغوية ، ولكنها إلى جوار ذلك تلقى أضواءً كاشفة على حياة تلك المدينة التى كانت أشبه ببرج بابل فيما كانت تموج به من أجناس ولغات وثقافات وديانات مختلفة تعايشت فى جو من الوئام على مدى ثلاثة قرون بعد أن زالت عنها دولة الإسلام . وما عرضناه فى الصفحات السابقة ليس إلا لمحة سريعة تصور لنا ذلك الجو من التعايش .

ونختم هذه الدراسة بمشهد إنسانى مؤثر تصوره لنا إحدى هذه الوثائق إذ تنقل لنا حواراً دار بين دائن وامرأة مدينة فى فبراير سنة ١١٩٧ (ربيع الأول ٥٩٣ هـ .) . وسنورد النص كما جاء فى هذه الوثيقة (٣٠) .

« الذى يشهد به دون سبريان بن دون عبد الملك الشعّار ودون لب بن بيطره مرتين ، وذلك أنهما حضرا فى شهر ينير الناجز الأقرب لتاريخ هذا الكتاب بمقربة من البير المر بداخل مدينة طليطلة حرسها الله ، ورأيا لشنجه يوانش مقبلة من ناحية الحمام ، ورأيا وسمعا لدمنقه . . . تلبيبه قائلاً لها :

- شنجه يوانش ، أنصفى من السبعة مثاقيل والأربعة الدا التى لى قبلك ، فإنى إليها محتاج ! . . .

فراجعته دونة شنجه المذكورة قائلة :

---

(٣٠) الوثيقة رقم ١٠٠١ ، المجلد الثالث ص ٣٥٣ - ٣٥٤ .

– اعلم بأنى ننصفك منها معجَّلاً حرسك الله !

وقال لها دون دمنقه المذكور :

– ومتى يكون ذلك ؟ فإنك قد محجتى عن ذلك كثيراً !

فقالت له :

– فى آخر هذه الشهر ننصفك . (الذى كان شهر ينير المذكور) .

فقال لها :

– وإن لم تنصفى ؟

قالت له شالجة يوانش :

– هذا مانتى بيدك . خذه وبعه ، وانتصف من السبعة مثاقيل وقطاعك .

فقال لها :

– مَلّكيهِ لى .

فجرت حينئذ مانت إشكرلاته وأعطته له بيدها . فقال لها دون دمنقه المذكور :

– البسى مانتك من يدى حتى إلى المدة . فإنك إن لم تنصفى نخذه منك ونبعه كالذى أشرطت على نفسك .

فقالت له :

– نعم ، دون حكم حاكم . خذه وبعه وانتصف من جميع مالك قبلى دون قلونية يلزمك عن ذلك . وإن لزمت فى ذلك قلونية فلايلزمك شىء منها بل يلزم ذلك لى.

فأشهدهما بذلك دون دمنقه المذكور عليها – أعنى للشاهدين المشهورين .

هذا ما شهداه به ، وقيدت شهدتهما . . . وذلك فى شهر فبرير سنة خمس وثلاثين وألف للصفر .

لب بن ميقايل السقلى ، دمنقه بن بيطره شاهد ، وبيطره بن يوان بن طوما ابن يحيى بن بلاى .

ودون دمنقه رمان يشهد بمثل شهادة الشاهدين المذكورين »

ملاحظات :

عربية الوثيقة كما نرى تشتمل على عدد من الظواهر اللغوية التى تكشف عن

التـأثر بلغـة الكلام التى كـانت خليطا من العامية الأنـدلسية والرومانسية أى عـجمية أهل الأندلس . ونسجل فيما يلى أهم هذه الظواهر :

- استـخـدام حـرف اللام مع الفـعل المتعدى بـنفسه : « رأيا وسمعـا لدمنقه ، رأيا لشنجـه ، مـا يلـزم ذلك لى ، أعنى للشاهدين » .

- استـخـدام الفـعل المسند لجـماعـة المتكلمين مع ضمير المتكلم المفرد « : بأنى ننصـفـك مـنهـا ، فى آخـر هذا الشـهـر ننصـفك ، نخذه منك ونبـيعـه » . وهذه ظاهرة شائعة فى العامـية الأندلسية ، وهى مـوجودة أيضـا فى لغـة الكلام لدى أهل الإسكندرية حتى اليوم .

- استـخدام حرفى جـر يؤديان نفس المعنى : « حتى إلى المدة » .

- استـخدام الثلاثى المـزيد فى موضع الثلاثـى المجرد : « كالذى أشـرطت على نفسك بدلا من « شرطت » .

- تعـدية الفعـل اللازم : « مـاشهداه به » فالمقصود « شهدا » .

- إلحاق اليـاء بتـاء الـمخـاطبـة : « مَحَجْـتِى » . ولايعد هذا من الخطأ ، إذ نجد عليه شواهد من النصوص الفصيحة ، ولكنه استعمال شـائع فى معظم اللهجات العربيـة الدارجة فى عصرنا الحـاضر وذلك للتـمييـز بين ضـميـرى الخطاب للمذكـر والمؤنث .

- مـن الناحـيـة الإمـلائيـة نجـد فى الوثيـقـة إهمـالًا لـكتـابة بعض الحـروف المهـمـوزة أو حـروف اللين : نـخـذه (نأخذه) ، وشهدتهما (وشهادتهما) ، نبعه (نبيـعه) والاسم الأعجمى شـانجه Sancha يكتب مرة بألف ومرة بدونها .

- استعمال اختـصارات شائعة فى لغة الكـلام الأندلسية ، فنحن نجد هذه العبارة « أنصفـىّ مـن السـبعة مثاقـيل والأربعة الدا » ، فلفظ الدا فى المصطـلح الأندلسى هو اخـتصـار للفظ الدراهم ، والدرهم وحـدة نقـدية هى جـزء من المثقال وهو عملة ذهبية .

- استعمال ألفاظ أندلسية شائعة مثل « قطاع » ، وهو جمع قطعة ، والمقصود بذلك قطع النقد الصغيرة أى الدراهم الأربعة .

- أسماء الشهور المستخدمة فى النص : ينير وفبرير هى التى شاع استعمالها فى الأندلس ، فقد كان المسلمون يستخدمون التقويمين الهجرى والميلادى بنفس الصورة التى نراها فى الوثيقة ، وهى نفسها الشائعة فى المغرب العربى اليوم .

- استخدام ألفاظ عجمية ، أولها لقب « دون » (Don) ، و« دونة » (Doña) وهما يعنيان السيد والسيدة ، وكذلك لفظ « مانت » فى قول المرأة « هذا مانتى بيدك » وقول الدائن : « البسى مانتك » ، فهذا اللفظ هو تعريب manto الإسبانى ويعنى المعطف . ونرى بعد ذلك لفظ «قلونية» وهو تعريب Caloña ويعنى ضريبة كانت تفرض على المبيعات ، وقد انقرض هذا اللفظ فلم يعد مستعملا . ثم يأتى لفظ « إشكرلاته » صفة للمعطف ، وهو تعريب اللفظ العجمى escarlata ويعنى الأحمر القرمزى . وقد استخدم الأندلسيون المسلمون هذا اللفظ للدلالة على لباس من الصوف الأحمر القرمزى . يقول المقرى نقلا عن ابن سعيد فى حديثه عن زى الأندلسيين : « وكثيراً ما يتزيا سلاطينهم وأبناؤهم بزى النصارى المجاورين لهم ، فسلاحهم كسلاحهم ، وأقبيتهم من الإشكرلاط وغيره كأقبيتهم »[٣١] .

وعلى الرغم من كون لغة الوثيقة أقرب إلى العامية فإنه مما يفاجئنا فيها استخدام بعض الألفاظ الممعنة فى الفصاحة إلى درجة الإغراب ، نرى ذلك فى هذه العبارة « وسمعا لدمنقه . . . تلبيبه » ، فالتلبيب استخدام مجازى يقصد به المطالبة الملحة الشديدة ، وهو مصدر « لبَّب » ،

---

(٣١) نفح الطيب ، بيروت ١٩٦٨ - ١/٢٢٣ ؛ وانظر تكملة المعاجم العربية لدوزى ترجمة سليم النعيمى ، بغداد ١٩٧٦ - ١/١٤٥ .

يقال لببت الرجل إذا جمعت ثيابه عند صدره ونحره ، ومنه التعبير الشائع « أخذت بتلابيبه » أى ضيقت عليه فى المطالبة واستبلغت فى الإلحاح عليه . كذلك نجد هذه العبارة « فإنك قد محجتى عن ذلك كثيراً » ، واظن أن الكاتب قصد « ماحجت » ، والمماحجة هى المماطلة ، وهو لفظ لايكاد يستعمل الآن ، ولو استعمل لبدا غريباً غير مفهوم .

ونعمد بعد هذا التحليل اللغوى إلى شرح موضوع الوثيقة :

نحن الآن أمام واقعة يسجل عدد من الرجال شهادتهم عليها ، وهم.

- سبريان بن عبد الملك الشعّار (أى بائع الشعير) . . . Cebrian

- لب بن بيطره مرتين

Lope b. Pedro Martin

- لب بن ميقايل السقلى (كذا ، والمقصود الصقلى) Lope b. Miguel

- بيطره بن يوان بن طوما بن يحيى ابن بلاى

Pedro b. Juan b.

Tomas b. Yahya b. Pelayo

- دمنقه رومان Domingo Román

والمشهد هو الموقف الذى جمع بين رجل دائن هو السيد دمنقه . . . وامرأة مدينة هى شانجه يوانش Sancha Juanes وكان لقاؤهما بمقربة من موضع مشهور فى طليطلة هو البير المر (Pozo Amargo) ، وذلك فى شهر يناير سنة ١١٩٧ . وكانت المرأة مقبلة من ناحية الحمام - ولابد أنه حمام يعيش المشهور والكائن فى حى « البيرالمر » ، فتوجه إليها الرجل مطالبًا بأداء دينه ،وهو سبعة مثاقيل وأربعة دراهم . وتعده السيدة شانجة بأن تؤدى إليه دينه فى آخر الشهر ، ولكن الرجل يتشكك فى مدى وفائها بوعودها ، فيسألها كيف يكون الأمر لو أخلفت . فما كان من المرأة إلا أن عرضت عليه المعطف الذى كانت تلبسه لكى يبيعه ويتقاضى ماله من

ثمنـه ، إلا أن الدائن لا يشق فى كـلام شانجـه ، ويظهر أن تجـاربه السابقـة معـها علمـته سوء الظن بـها ، فطلب إليـها أن تدلل على جِـدِّها بأن تملكه المعطف . ولم تتردد المرأة ، فـإذا بها تخلع عنها معطفـها الصوفى الأحمر وتدفـعه إليه . وهنا تدرك الرجل الشـهامـة ويغلبه التـأثر والحيـاء ، لاسيما إذا ذكرنا أن المشهد فى شهر يناير ، والـبـرد فى شـتاء طليطلـة قارس شـديد الوطأة . ولهذا يرد الرجل عليها معطفها . غير أنه - وهو الحريص على استرجاع حقه يناشدها أن ترد الدين فى آخـر الشهر كـما وعـدت ، وإلا لم ير بدأ من بـيع المعطف بحسب ما شرطت على نفسها .

والذى نعرفه من نهاية الوثيقة المؤرخة بعد هذا المشـهد بشهـر أن المرأة عادت إلى المماطلـة ، فلم تؤد الدين فى نهاية شـهر يناير كما وعدت ، وواصل الرجل مطالبته إلى مدى لانعـرف نهايتـه ، وكان السـيدة الطليطلية صـاحبة كعب بن زهيـرالتى قال فيها بيته الخالد :

صارت مواعيد عرقوب لها مثلا

وما مواعيده إلا الأباطيل

محمود على مكى

عضو المجمع

★★★

قوانين المقابلات الصوتية فى اللغات السامية

للأستاذ الدكتور محمود فهمى حجازى

أولاً - تقديم :

القوانين الصوتية من أهم ما توصل إليه علم اللغة المقارن ؛ وفى هذا السياق تعد هذه القوانين أدق محاولة علمية لتفسير التغير فى الوحدات الصوتية فى اللغات المنتمية إلى فصيلة لغوية واحدة . وقد بحثت هذه القوانين أول الأمر فى اللغات الهندية الأوروبية، ثم فى اللغات السامية [١]. ومع تقدم البحث فى لغات كثيرة أخرى بدأ التفكير - فى إطار علم اللغة العام - فى تعرف القوانين العامة المفسرة للتغير فى بنية اللغة عند الإنسان بصفة عامة ، وهذا الموضوع جزء من البحث فى " كليات اللغة " أو " عموميات اللغة " [٢] ، وهو مجال جديد نسبياً يدرس السمات المشتركة فى اللغة الإنسانية ، بنيتها وتغيرها . وهذا البحث دراسة للتغيرات التى حدثت للوحدات الصوتية الجزئية فى العربية ولهجاتها فى ضوء اللغات السامية وعموميات اللغة .

إن التغير الصوتى يحدث على نحو دائم فى إطار تعدد أشكال الأداء اللغوى ، ولكن النظم الصوتية أكثر ثباتاً . قد يكون تغير صفات أداء الصوت غير مؤثر فى التمييز بين الوحدات الصوتية فى تلك اللغة ، فيظل النظام الصوتى قائما دون تعديل [٣] .وليس لدينا من اللغات التى وصلت إلينا مدونة ما يدل على أشكال الأداء النطقى، ولكن الباحثين توصلوا إلى وحدات النظام الصوتى لكل لغة من هذه اللغات .

---

(١) انظر : Th . Bynon, Historical Linguistics, Cambridge University Press, 1993, P.23-56

(٢) انظر كتاب جرينبرج : J . H . Greenberg, Language Universals, The Hague 1966

(٣) الوحدة الصوتية = الفونيم Phonem ، الوحدات الصوتية الجزئية Segmental Phonems وهى الوحدات الصوتية للأصوات المفردة ، أما العلاقات التركيبية الصوتية لها مثل النبر والتنغيم والمقاطع فتسمى Suprasegmental Phonems أى الوحدات الصوتية فوق الجزئية

أمـــا الكتب الحـــديثـة التـى تناولت الأصوات العربية ، فقــد اقتصرت - بصفة عــامــة - على الدراســة الوصـفيـة لهــذه الأصوات فى نطقها الحديث مع الاعتماد - أيضا - على وصف سـيبويه لهـا والإشارة إلى نطقهـا عند القراء ، ولكنها - بصـفة عـامـة - لـم تتـضـمن بحـثـا للأصـول السـامـية (٨) ومن الجـانب الآخـر ، اهتم المتـخـصـصـون فى الـدراسات السـامـيـة بالجامعـات العربية بقضايا الـبحث فى بنية الكلمـة وفى المعجم ، ولما يشـغلوا بقضايا عـــلم الأصـــوات المقارن فـى اللغـــات السامـية (٩) . ولعل الاسـتـثناء الوحـيـد للإفادة من اللغـات السامـية يتمـثل فى ما كتبه اللغوى الفرنسى جان كانتينو (١٩٥١) فقد صدر فى كـتابه فى الأصوات العربيـة عن معرفة عميقة باللغات السامية (١٠) .

وقـــد أفـــاد هذا البـــحـث من هذه الدراسات كلها ، وأعاد النظر فى الموضوع فى ضـوء البـحوث الكـثيـرة فى اللغـات السـاميـة المفردة ، وفى مـقدمـتـهـا كـتب فـون زودن فى نحـــو الأكـــاديـــة (١١) وجـوردون فى نحو الأجـريتيـة (١٢) ،

---

(٨) انظر : إبراهيم أنيس ، الأصوات اللغوية ، القاهرة ١٩٦١ ؛ محـمـود السعران ، علم اللغة ، القاهرة ١٩٦٢ ؛ تمام حسان ، اللغة العربية معناها ومبناها ، القاهرة ١٩٧٩ .

(٩) انظر : السيد يعقوب بكر ، دراسات مقارنة فى المعجم العربى ، بيروت ١٩٧٠ .

(١٠) عن حياته ومؤلفاته كتب وليام مارسى مقدمة لكتاب يضم دراسات فى علم اللغة العربية من تأليف كانتينو :

J . Cantineau, Etudes de Linguistique Arabe, Paris 1960 .

(١١) عنوانه كتابه :

W . Von Soden, Grundriss der Akkadischen Grammatik, Analecta Orientalia 33 / 47 , Rome 1969

(١٢) عنوان التحرير الأخير من عمل جوردون : C . H . Gordon, Ugaritic Textbook, Roma 1965

وفردريخ ورروليج وفى نحو الفينيقية [١٣] ومـاير فى نحو العبرية [١٤] وبيستون فى نحو عربيـة النقوش الجنوبية [١٥] . وأفاد البـحث - أيضاً - مـن الدراسات المفـردة الكثيرة فى اللهجات العربية الحديثة [١٦] . وهذا كله يجعل المادة اللغوية المتاحة للمقارنة أكبر بكثير مما كان متاحا للباحثين الذين تناولوا الموضوع فى أوائل القرن العشرين .

لا تقتصر أهمية هذا الموضوع من الدراسة على كشف هذا الجانب المهم لتأصيل الأصوات العربية فى ضوء الأصوات فى اللغات السامية ، وهو موضوع يوضح لنا أن أكثر الوحدات الصوتية المكونة للنظام اللغوى للعربية أقدم بنحو عشرين قرنا من الشعر الجاهلى ، فأكثرها استمرار مباشر للوحدات الصوتية فى اللغة السامية الأم ، قبل بداية الهجرات من مهد الساميين نحو سنة ٢٥٠٠ قبل الميلاد . ولكن أهمية تأصيل الأصوات العربية ومعرفة نظائرها فى اللغات السامية ترجع - أيضا - إلى أن هذه القوانين أداة الإفادة من هذه اللغات فى تأصيل مفردات المعجم العربى [١٧] . والمعرفة بها ضرورية - أيضاً - لحسن قراءة التأصيل السامى فى " المعجم الكبير " الذى يصدره مجمع

---

(١٣) عنوان كتاب ماير : R . Meyer, Hebräische Grammatik, Berlin 1966 .

(١٤) عنوان كتاب فردريخ ورروليج : Friedrich and Röllig, Phonizisch Punische Grammatik, Roma 1970 .

(١٥) عنوان كتاب بيستون : A . F . L Beeston, A Descriptive Grammer of Epigraphic South Arabian, London, 1962 .

(١٦) عن هذه الدراسات ، انظر : H. Sobleman, Arabic dialect studies, Washington D . C 1962 .
M . H Bakalla, Bibliography of Arabic Linguistics, London Mansell, 1975 .

(١٧) فى مقدمة معجم الأصول السامية الذى ظهرت منه حتى اليوم فصلتان ، جدول فى صفحة واحدة بالنظائر الصوتية فى اللغات السامية ، انظر :
D . Cohen, dictionaire des Racines sémitiques, Paris 1970 - , Fascicule, 1 . 2 -

اللغة العربية بالقاهرة وفيه يظهر التأصيل فى أول كل مادة لغوية موضحا الكلمات المشتقة من المادة نفسها فى اللغات السامية المختلفة ، الأمر الذى يثبت - بمراعاة قوانين النظائر الصوتية - أصالة هذه المادة بكونها موروثة من اللغة السامية الأولى فى حالة تكررها فى اللغات المختلفة مع المطابقة للقوانين الصوتية المطردة لهذه النظائر ، أو عدم أصالتها فى العربية بمخالفتها لتلك القوانين المطردة لأسباب يحاول البحث اللغوى إيضاحها . هذا البحث محاولة لإيضاح موضوع المقابلات الصوتية فى اللغات السامية ، ونظراً إلى طبيعة المادة التى وصلت إلينا من هذه اللغات ، ولإمكانات البحث فيها فإن مصطلح "الصوت" يستخدم هنا بمعنى الوحدة الصوتية الجزئية . أما مصطلح "حرف" فيدل على الصورة المدونة المرئية التى وصلت إلينا .

ثانيا : - المجموعة الحنجرية :

احتفظت اللغة العربية بالمجموعة الحنجرية[18] التى افترض الباحثون وجودها فى اللغة السامية الأم. تضم هذه المجموعة صوتين ، هما : الهمزة والهاء[19] . أثبتت مقارنة العربية واللغات السامية الأخرى أن الصوتين قديمان قدم اللغة السامية الأم ، لم تستحدث العربية منهما صوتا ولم تفقد صوتا . أما ما يظهر

---

(١٨) عدلنا هنا عن المأثور فى التراث اللغوى العربى عندما وصفت هذه الأصوات بأنها "حلقية" ، ويدل مصطلح "الحلق" عند الخليل بن أحمد (انظر : كتاب العين تحقيق عبد الله درويش ، بغداد (١٩٦٧ ، ٦٥٩) على عدة مناطق ، يصنفها القدماء إلى أقصى الحلق وأوسط الحلق وأدنى الحلق (انظر : سيبويه ، الكتاب ٢/ ٤٠٥) يصنفها المحدثون إلى عدة مناطق أيضا وهى : الحنجرة Larynx والتجويف الحلقى Pharynx واللهاة Uvula وأقصى الحنك الأعلى Velum (= الحنك اللين soft Palate) ، انظر : محمود السعران ، علم اللغة ١٤٣- ١٤٤ . Haffner, General phonetics ,

(١٩) مخرج الهمزة الحنجرة ، والمقصود همزة القطع ، وهى وقف حنجرى Glottal stop ، ويتم نطقها بأن ينطبق الوتران الصوتيان انطباقا تاما ، فتسد الفتحة الموجودة بينهما ولا يسمح للهواء بالنفاذ من الحنجرة ، ثم ينفرج الوتران فينفذ الهواء من بينهما فجأة محدثا صوتا انفجاريا (محمود السعران ، علم اللغة ١٧١) ، أما نطق الهاء فيتكون بأن يمر الهواء خلال الانفراج الواسع الناتج عن تباعد الوترين الصوتيين محدثا صوتا احتكاكيا (المرجع السابق ١٩٦) .

من فروق بين العربية وبعض اللغات السامية الأخرى ، فيرجع إلى تغير حدث فى أصوات مفردة بأعيانها فى بعض اللغات السامية ، بينما حافظت العربية على الموروث .

كادت التغيرات فى المجموعة الخنجرية تقتصر على الأكادية ، لا تميز الأكادية بين الهمزة والهاء وأصبحا وحدة صوتية واحدة [٢٠] ، لم يكتب الأكاديون الهمزة الواقعة فى أول الكلام ، إلا إذا كانت لها وظيفة مثل همزة الفعل الحاضر الدالة على المتكلم المفرد . وعرف الخط الأكادى إظهار تضعيف الهمزة على نحو واضح متميز يجعل الهمزة الأولى فى مقطع والثانية فى المقطع التالى . أما الهمزة فى آخر الكلمة فلا تدون . وحلت الهمزة محل الهاء ، وظهرت فى أمثلة كثيرة داخل الكلمة ، وثمة أمثلة أخرى طرأ على الهمزة فيها تخفيف فلم تعد محققة وحلت محلها حركة طويلة ، يتضح هذا من كلمة نهر بتحويل الهاء إلى همزة ، ثم أخذت الهمزة تخفف وتختفى ونتج عن حذفها مد الحركة القصيرة السابقة ، فظهرت صيغة (nâ ru) .

أما أكثر لغات المجموعة الكنعانية الأرامية والفرع الجنوبى من اللغات السامية فقد احتفظ بصوتى الهمزة والهاء . وأهم تغيير طرأ على مكان هذين الصوتين فى النظم اللغوية لهذه اللغات يتصل بتخفيف الهمزة فى وسط الكلام وآخره من جانب ، وضعف النطق فى العبرية بصوت الهاء من الجانب الآخر . كأن الهمزة والهاء فى العبرية صوتين متميزين ، ثم

---

(٢٠) انظر :

Von Soden, Grundriss, S. 24 - 26

Brockelmann, Grundriss 1/128

Ungnad - Matous, Grammatik des Akkadischen, s. 14 , 21 , 22 .

فقد الصوتان قيمتهما بعد ذلك . وعندما آخذ علماء العبرية القديمة يضعون - بعد ذلك بقرون - الضوابط النطقية لقراءة العهد القديم ابتكروا رموزًا إضافية لبيان النطق الصحيح [٢١] لكل صوت توخيا لعدم الخلط بينهما ، أما النقوش الفينيقية التى وجدت فى منطقة ساحل الشام فكانت تميز الهمزة والهاء . كما يتضح - أيضا - من نظام الكتابة الأبجدية الفينيقية . وكان بعض الباحثين المحدثين قد شك فى تمييز الفينيقية لأصوات الحنجرة والتجويف الحلقى ، واستدل على ذلك ببعض الكلمات الفينيقية التى دونها اليونان بالحروف اليونانية دون أن يرمزوا لأصوات الحلق برموز متميزة دالة عليها ، وهذا الرأى فيه نظر ، فاليونان لم يهدفوا إلى تدوين الفينيقية على نحو صوتى دقيق . ولم يكن فى حروف الأبجدية اليونانية ما يفيد فى تدوين الأصوات الفينيقية غير الموجودة فى اليونانية [٢٢] .

---

(٢١) انظر ما كتبه ماير عن نطق العبرية القديمة :

R . Meyer, Hebräische Grammatik, I, 63-64, 92.

وقد لاحظ ماير أن الضبط النهائى للنص العبرى للعهد القديم بالحركات كان محاكاة لضبط النص العربى للقرآن الكريم فالمصاحف كانت قد دونت فى وقت لم يكن علماء اليهود قد انتهوا فيه من ضبط ماعندهم من أسفار . وقد قاموا بهذا العمل على مدى زمن طويل ، ولكنه تم - على أية حال - فى وقت كانت فيه اللغة العبرية قد انتهت من الاستخدام الفعلى منذ قرون ، حاول العلماء ضبطها فى ضوء معرفتهم بها ، فاختلف أحبار الشام (طبرية) عن الربانيين فى العراق (بابل) فى طرق الضبط الهادف - أيضا - تأكيد أن الحاء والعين والهاء بوصفها صوامت وليست حركات .

(٢٢) انظر فى هذا رأى الباحث الألمانى شرودر Schröder المذكور عند بروكلمان Brockelmann, Grundriss, I , 125

وكذلك ما كتبه سبرير عن الكلمات العبرية المدونة بحروف لاتينية ويونانية :

A . Sperber, Hebrew based upon Greek and Latin transliterations. Hebrew Union College Annual 12/13 (1938) P . 103 - 104 .

ثالثاً - مجموعة التجويف الحلقى :

تضم مجموعـة التجويف الحلقى التى افترض الباحثون وجودها فى اللغة السامية الأم صـوتين ، همـا : الحـاء والعـين ، ويخـتلفان من حـيث الهـمس والجهـر ، فالحاء مهموس والعين مجهور (٢٣) . وقد احتفظت اللغة العـربية بكلا الصوتين دون تعديل .

تقـتصـر التـغـيرات فى مـجـموعـة التجويف الحلقى على الأكادية والأمهرية . لم تعـرف الأكاديـة صـوتا متـميزاً للهـاء أو للعـين ، فقـد ضـاع كلا الصـوتين ، وحلت محلهمـا الهمزة . ويميز البـاحثون المحـدثون فى تدويـن الأكـادية لأغـراض البحث العلمـى على أساس اشتـقاقى بين الهمزة التى كانت فى اللغة السامية الأولى حاء والهمزة التى يقابلهـا فى اللغة السامية الأولى صورت العـين ، فيرمـز إلى الحاء القـديمة برمـز الهمـزة مع رقم (3) وإلى العين القديمة برمز الهمزة مع رقم (4) .

تميز النقوش الفينيـقية التى وجدت فى منطقة ساحل الشام تمييزاً واضحا بين الحاء والعين، ولكل صوت منهما رمز متميز(٢٤).

---

(٢٣) مخرج الحاء العـربية فى الفراغ الحلقى أعلى الحنجرة ، يضيق المجرى الهوائـى فى هذا الموضع بحيث يحدث مروره احتكاكا (محـمود السعران ، علم اللغة ١٩٤) ، أمـا صوت العين فهو النظير المجـهور للحـاء ، يتكون على نحو ما يتكون صوت الحاء ، إلا أنه عند النـطق بالعين تصحبه نغمة مـوسيقية نتيجة لاهتـزاز الوترين الصوتيين (المرجع السابق ١٩٥) .

(٢٤) انظر فى بنية الفينيقية والبونية :

Friedrich, Phönzisch Punische Grammatik, S . 8 - 41 .

أما فى اللغـة البونيـة فقد أخـذ نطق الحاء والعين يضعف شيئاً فشيئاً ، كما يتضح من الأخطاء الإملائية فى تلك النقوش . وبعد ذلك اختفى نطق أصوات التجويف الحلقى . فى بداية هذا التغيـر نطقت الحاء نطق الهاء وكتبت بهـا ، ثم نطقت هذه الهاء (والهاء القديمة أيضاً) نطق الهـمزة ، ثم اختفت هذه الهـمـزة . وعندمـا حاول البـونيـون المحدثون - بعد أن هزمهم الرومان - تقليد المتمصرين بتدوين الحركات بحروف مستقلة ، أفـادوا من الحروف التى لم يـعد لهـا نطق واضح فاستخدموها للدلالة على الحركات . وهكذا أصبح على سبيل المثال الحرف الذى كان يدل على صوت العين يستخدم لتدوين الفتحة ، وهكذا باقى الحروف .

تتفق الآرامـية بلهجـاتها القـديمة فى الاحـتفاظ بصـوتى الحـاء والعين . يستثنى مـن هــذا مـا حـدث فى لهجـة المـندعيين (المنداثيين = المندئيـين) الآراميـة ، فقـد فقدت صوت العـين وتحولت كل عين إلى همزة [٢٥] . وهذا التغير نـفسه حدث فى عدد من اللغات الساميـة الجنوبية الحديثة ، وفى مـقـدمـتـهـا : المهـرية فى إحـدى محافظات اليمن ، والأمهرية فى الحبشة . ويعـد وجود العـين أو عدم وجـودها من السمات الفارقة بين لغة وأخرى فى اللغات السامية الجنوبية الحديثة .

يتـضح من هذا كله أن صـوتى الحـاء والعـين، وإن كانا قـد فـقدا من عـدد من اللغـات السامـية فى مـراحل متأخـرة من تاريخها، فإنهمـا موجودان فى أقدم مراحل أكثـر اللغات الســاميـة الأولى. وقد ورثت العبرية كلا الصوتين وحافظت عليهما .

(٢٥) انظر ما كتبه نولدكه فى النحو المندعى :

Nöldeke, Mandäische Grammatik, Halle (1975) , S . 57 - 66

رابعاً – مجموعة الأصوات الرخوة من أدنى الحلق واللهاة :

تضم هذه المجموعة صوتى الغين والخاء ، وكلاهما صوت رخو يبدو أن مخرجه الأقدم كان فى منطقة أدنى الحلق واللهاة ، وهى منطقة تسمح بعدة صور صوتية لكل وحدة منهما [٢٦] . ونقتصر هنا على بيان الوحدتين الصوتيين فى النظم اللغوية للعربية واللغات السامية الأخرى . يكاد يكون ثابتا أن الصوتين موروثان عن اللغة السامية الأم ، ولكن ثمة تغيرات حدثت لهما فى عدد من اللغات السامية المفردة .

فقدت الأكادية صوت الغين وحلت الهمزة محلها ، ويرمز الباحثون المعاصرون للهمزة الناتجة فى الأكادية عن الغين بعلامة الهمزة مع رقم ٥ . وقد احتفظت الأكادية بصوت الخاء ، وكادت هذه الخاء تحل فى حالات بأعيانها محل أصوات أخرى كثيرة ، وذلك فى إطار الخلط بين الأصوات الحنجرية والحلقية واللهوية ، ومن أمثلة هذا الخلط كتابة الكلمة المقابلة لكلمة "برعم" ، كتبت تارة بالهمزة وأخرى بالخاء ، وكذلك الكلمة المقابلة لكلمة "نبح" كتبت بالخاء . وهكذا حلت الخاء فى تدوين بعض الكلمات الأكادية محل العين ومحل الحاء فى السامية الأولى ، وهذه أمثلة محدودة . ولكن تبقى الملاحظة العامة بأن العين والحاء الساميتين تحولتا إلى همزة فى الأكادية ، وهذه الهمزة اختلطت فى التدوين فى أمثلة بأعيانها بالخاء .

---

(٢٦) عند سيبويه (٢/٤٥٣) أنهما من أدنى الحلق ، وصنفهما كانتينو بأنهما تكونان مجموعة « الحروف الرخوة اللهوية » (انظر : جان كانتينو ، دروس فى علم أصوات العربية ، تونس ١٩٦ ، ص ١١٣) . ويبدو أن لكل تحديد منهما جانبا من الصواب ، وقد أثبت العانى تجريباً أن الوحدة الصوتية (غ) لها فى النطق صورتان صوتيتان ، إحداهما : لهوية Uvular الثانية من أدنى الحلق Velar (انظر : -

S . Al-Ani, Arabic Phonology, Mouton The Högue 1970, P . 34 - 35 .

لم تحتفظ بصوت الخاء من بين اللغات السامية إلا الأكادية والأجريتية من جانب والعربية الشمالية والعربية الجنوبية والجعز من الجانب الآخر . ومعنى هذا أن الخاء استمرت فى أقدم لغتين فى الشرق والشمال ، وهما : الأكادية والأجريتية ، وفى أقدم لغات الفرع الجنوبى ، وهى : العربية الشمالية والعربية الجنوبية ولغة الجعز . ولهذا يمكن القول بأن هذا الصوت وحدة صوتية موروثة عن اللغة السامية الأولى . وقد تحول صوت الخاء إلى حاء فى اللغات العبرية والفينيقية والآرامية ، وحدث التحول نفسه فى لهجة عربية واحدة وهى المالطية - وربما كان التحول فى المالطية بتأثير الأساسى اللغوى البونى (٢٧)- وحدث هذا التحول - أيضاً - فى لغة عربية جنوبية حديثة وهى السقطرية . أما اللغات السامية الحديثة فى الحبشة فلم تحتفظ بصوت الخاء الذى تحول فى اللغات المختلفة إلى حاء أو إلى هاء أو حدث له اختفاء تام (٢٨) .

---

(٢٧) انظر : كانتينو ، دروس فى علم أصوات العربية ١١٥ ، وبرجشتراسر :

Bergsträsser, Einführung 177 - 179 .

وفيه نص مالطى مع تدوينه بالخط الصوتى وترجمته إلى الألمانية وإيضاح الأصل القديم فى العربية الفصحى ، فكلمة خبز العربية يقابلها ما يكتب فى العربية المالطية المحلية hopz وبالخط الصوتى hops ، وكلمة خرج يقابلها ما يكتب محليا hareg وبالخط الصوتى hare . وفى المثالين نجد الحاء قد حلت محل الخاء .

(٢٨) انظر ما كتبه كانتينو عن الأصوات فى اللغات السامية وذلك فى J . Cantineau, Etudes, P . 287 وما كتبه أولندروف عن الأصوات فى اللغات السامية فى الحبشة E.ullendorf, The semitic Languages in Ethiopia: وفيه دراسة مفصلة للبنية الصوتية فى اللغات السامية المختلفة فى الحبشة وأثبت أن الأمهرية أقل اللغات السامية

أما الغين ، وهى المقابل المجهور للخاء ، فقد ورثتها العربية والأجريتية والعربية الجنوبية عن السامية الأم . وتحولت فى باقى اللغات السامية إلى عين وهكذا التقى فى هذه اللغات صوتا العين فى تلك اللغات تقابل العين والغين معا فى اللغات السامية الأخرى . وقد أثار موضوع قدم صوت الغين فى اللغات السامية عدة تساؤلات ، وشك البعض فى وجود الغين فى السامية الأم (٢٩) يقول أصحاب هذا الرأى - وفى مقدمتهم الباحث التشيكى روتشيكا - بأن هذا الصوت صورة صوتية للعين ، أو بعبارة أخرى : العين والغين معا وحدة صوتية واحدة لها صورتان صوتيتان . يستدل أصحاب هذا الرأى بأمثلة بينها علاقة دلالية ، وفى العربية (عميق وغميق) ، ويجعل هذا الرأى العين أصلا ساميا موروثا ، ثم حدث فى اللغة العربية انقسام لهذه الوحدة الصوتية إلى وحدتين صوتيتين اثنتين . وقد أثبت كانتينو أن العين والغين وحدتان صوتيتان متميزتان فى اللغة السامية الأولى ، بدليل تميزهما فى العربية

الحبشية محافظة على الأصوات الموروثة على عكس لغتى التجرى والتجرينا ، وانظر - أيضا - ما كتبه المؤلف نفسه عن اللغات فى كتابه عن الأحباش :

E . Ullendorf, The Ethiopians, London 1960, P.116 - 135 .

وما كتبه ليتمان عن اللغة الحبشية فى :

E . Littmann, Die äthiopische Sprache, in : Handbuch der Orientalistik, (ed. Spuler) , Leeden 1954 , S . 354 ff .

(٢٩) انظر البحوث المتابعة فى هذا الموضوع :

R . Ruzicka, Über die Existenz des ġim Hebräischen, in : Zeitschrift für Assyriologie XXI 1908, S . 293 - 340 .

—————, Zur Frage der Existenz des g im Ursemitischen, in : WZKMXXCC 1912, S . 96-106, XXVIII 1914 S . 21 - 45 .

—————, L' atternace de - g en Arabe d'après les temoignages des grammairiens et lexicographes arab-s, in : Journal Asiateique, CCXX , 1932, P . 67 - 115 .

وفى بعض الأبجديات السامية القديمة ومنها الأبجدية العربية الجنوبية ،التى جعلت للعين رمزاً متميزاً عن الرمز الخاص بالغين . ووجود هذا التمييز بين العين والغين فى الأجريتية والعربية الجنوبية (٣٠) والعربية الشمالية يشهد بكون كل صوت منهما وحدة صوتية متميزة موروثة عن اللغة السامية الأولى .

خامساً – مجموعة الأصوات الشديدة من أقصى الحنك واللهاة :

تضم هذه المجموعة فى اللغات السامية ثلاث أصوات شديدة (٣١) ، وهى الكاف المهموسة والجيم المجهورة والقاف اللهوية (٣٢) . وقد تغير نطق هذه الأصوات تطورات مختلفة ولكنها لم

---

(٣٠) انظر :

A . Beeston, P . 11 - 12 .

J . Cantineau, P . 287 .

(٣١) مصطلح المحدثين Stop وقف ، أو :Plosive انفجارى يعنى شديد بمصطلح سيبويه (طبعة بولاق ٢/ ٤٠٥) ، وفى مصطلح تعريف المحدثين لهذا الصوت : تتكون الأصوات الانفجارية بأن يحبس مجرى الهواء الخارج من الرئتين حبسا تاما فى موضع من المواضع ، وينتج عن هذا الحبس ، أو الوقف أن يضغط الهواء ، ثم يطلق سراح المجرى الهوائى فجأة – فيندفع الهواء محدثا صوتا انفجارياً (محمود السعران ، علم اللغة ١٦٦) .

(٣٢) مخرج الكاف والجيم المجهورة الحنك اللين Velum ، وهو القسم اللين الخلفى من سقف الفم ، ويوصف الصوتان بأنهما Velar . أما مخرج القاف فى نطق العربية الفصحى ، فهو اللهاة Uvula ، وتوصف بأنها Uvular .

تختلط وفى هذه المجموعة احتفظت العربية الشمالية بصوتى الكاف والقاف من اللغة السامية الأم ، ولكن الجيم المعطشة كما تعرفها الفصحى ليست امتدادا لصوت سامى قديم ، بل هى ثمرة تطور فى العربية ، فلا تعرف أية لغة سامية سوى العربية الفصحى الجيم المعطشة . فى العربية الجنوبية كانت الجيم تنطق مثل الجيم فى لهجة القاهرة . وقد ثبت عند المتخصصين فى العربية الجنوبية القديمة أن الجيم كانت صوتا شديداً ، ولم تكن صوتا احتكاكيا أو مركباً احتكاكياً . وقد أشار بيستون إلى اختلاط كتابة الجيم فى العربية الجنوبية القديمة بالقاف لأن كليهما كان صوتا شديداً (٣٣) . ويعد بروكلمان هذا الصوت الشديد كما عرفته العربية الجنوبية استمرارا للصوت نفسه فى اللغة السامية الأولى ، ويرى أن الجيم المعطشة هى ظاهرة ناتجة عن تحويل الجيم الشديدة إلى مركب احتكاكى (الجيم الفصحى). ويشير بروكلمان فى هذا إلى تحول مواز وهى الكاف الشديدة إلى مركب احتكاكى (٣٤) ، نعرفه فى بعض لهجات الخليج العربى . أما الكاف الشديدة فهى ذلك الصوت الذى نعرفه فى العربية الفصيحة .

---

(٣٣) المرجع السابق لبيستون A . Beeston P . 12

(٣٤) بروكلمان

Brockelmann, Grundriss I / 123 .

وقد أشار بعض الرحالة والباحثين إلى وجود هذا النطق الشديد للجيم فى مناطق من الجنوب العربى وعمان ، انظر المقدسى " أحسن التقاسيم " ص ٩٦ والإشارة المذكورة عند بروكلمان ١/١٢٢ . وتنطق هذه الجيم حتى اليوم .

أما القاف فقد كان سيبويه دقيقاً فى وصفه لنطق هذا الصوت بالجهر ، وما تزال القاف تنطق عند البدو فى كل أنحاء العالم العربى كما تنطق فى لهجات الخليج العربى نطقاً مجهوراً ، يجعلها فى بعض المناطق أقرب إلى الجيم المصرية وفى مناطق أخرى أقرب إلى الغين[٣٥] ، وكلاهما صوت مجهور . أما القاف فى الأكادية فقد اختلطت فى الكتابة أحيانا بالغين ، والغين صوت مجهور ، فقد أحس الأكاديون بالغين والقاف صورتين صوتيتين لفونيم واحد ، مما يشهد بأن القاف الأكادية كانت صوتا مجهوراً[٣٦] . ومن كل هذا نخرج بأن القاف فى السامية الأم وفى الأكادية وفى العربية كما وصفها سيبويه كانت صوتا مجهورا ، وأما النطق الحالى المهموس للقاف فى الأداء المعاصر للعربية الفصحى فهو شىء حادث جاء بعد تغير صوتى .

وثمة ملاحظة حول الكاف والجيم فى الفرع الكنعانى كما يتضح فى العبرية ، وفى الفرع الأكادى من اللغات السامية . فالوحدة الصوتية الكاف تنطق فى العبرية والآرامية فى صورتين صوتيتين ، إحداهما شديدة أى مثل الكاف العربية والأخرى احتكاكية أى مثل الخاء العربية . والوحدة الصوتية الجيم تنطق فى العبرية والآرامية فى صورتين صوتيتين ، إحداهما شديدة أى مثل الجيم العربية الجنوبية القديمة والجيم فى لهجة القاهرة ، والأخرى احتكاكية مثل الغين فى العربية . والتمييز بين الصورتين الصوتيتين المذكورتين لكل وحدة من الوحدتين الصوتيتين المذكورتين هو أمر حادث ، ولا يعكس

(٣٥) قانون تفصيل ذلك عند كانتينو ، دروس فى علم أصوات العربية ، الترجمة العربية ص ١٠١ – ١٠٣ ، وجونستون : . Johnstone, Eastern Arabian Dialects, London

وكذلك عند عبد العزيز مطر ، خصائص اللهجة الكويتية ، الكويت ١٩٦٩ ، ص ٣٧ – ٤٤ .

(٣٦) أنظر : Von Soden, Grundriss, s. 27 - 28

لاحظ فون زودن الخلط بين الكاف والجيم فى الكتابة الأكادية مع أن وجود الأخطاء فيها نادرا جداً ، ويمكن تفسير هذا باختلاف الكاف المهموسة عن الجيم المجهورة . انظر المرجع السابق ص ٢٨ .

النطق الموروث عن اللغة السامية الأولى[٣٧] . وقد حدث تمييز النطقين الشديد والاحتكاكى للكاف والجيم فى الآرامية أول الأمر ، ثم تأثرت به العبرية ابتداء من القرن السادس قبل الميلاد ، واستقر هذا الأمر فى القرن الثالث قبل الميلاد[٣٨] ، وينبغى هنا أن نلاحظ أن العبرية والآرامية لا تعرفان وحدة صوتية للخاء ولا وحدة صوتية للغين . وأن الصوتين قد ظهرا فيها فى هذه الفترة فى إطار جديد ، وهو تعدد الصور النطقية أو الصور الصوتية للكاف والجيم على الترتيب ، ولا صلة لهما من حيث مكانهما فى النظام الصوتى بغير هاتين الوحدتين الصوتيتين .

وقد احتفظت اللغات السامية فى الحبشة بالقاف والكاف والجيم بوصفها وحدات صوتية متميزة ، وإن تغير نطق هذه الأصوات . وقد وصف بروكلمان نطق هذه الأصوات فى الجعز والامهرية والتيجرينية بأنه يحدث باستدارة الشفتين[٣٩] ، وفسر هذا التغير النطقى بتأثير اللغات الكوشية المحيطة باللغات السامية فى الحبشة . والملاحظ هنا أن هذه اللغات لا تعرف وحدة صوتية متميزة للخاء ، ومن ثم فهم يكتبون الألفاظ الدخيلة فى لغتهم من العربية مستخدمين الحرف الخاص بالكاف الحبشية لنقل صوت الخاء فى العربية[٤٠] .

---

(٣٧) حول التمييز فى الكتابة بين الصورتين الصوتيتين والعلامات الإضافية المبينة لذلك إنظر ماكتبه ماير :

R . Meyer, Hebräische Grammatik , s. 45 .

(٣٨) عن رموز الضبط النطقى التى أضافتها كل من مدرسة طبرية ومدرسة بابل R . Meyer , s. 92.

(٣٩) انظر : C. Brockelmann, Grundriss, 1/124

(٤٠) وعلى هذا فهم يكتبون الكلمات العربية خدم ، خلص ، خسارة رخام ، تاريخ مستخدمين حرف الكاف الحبشية ليعبر عن الخاء العربية .

سادساً : الأصوات الأسنانية :

١) عرفت اللغة السامية الأولى - فى رأى علماء المقارنات - ثلاثة أصوات أسنانية[٤١] هى : التاء والدال والطاء .

٢) احتفظت العربية بهذه الأصوات الثلاثة ، كما احتفظت بها كل اللغات السامية الأخرى . وتتقابل أصوات هذا الثالوث على النحو التالى : التاء صوت مهموس غير مطبق ، والدال مجهور وغير مطبق ، والطاء صوت مطبق .

أما الجهر والهمس فى الطاء فموضوع نظر ، فالطاء تنطق فى كل اللغات السامية الحديثة نطقا مهموسا ، وهى بهذا تعتبر المقابل المطبق للتاء المهموسة . ولكن سيبويه[٤٢] جعلها بالنسبة للعربية فى القرن الثانى الهجرى من الأصوات المجهورة .

ولاحظ فون زودن[٤٣] أن الطاء كانت تنطق فى اللغة البابلية القديمة فى جنوب العراق نطقا مجهوراً أيضا ، واستدل على ذلك بأنها كثيرا ما كتبت هناك بالرمز الخاص بالدال عندما ضعف الإحساس بالتمييز بين المطبق وغير المطبق . وعلى هذا كانت الطاء القديمة ، كما تشهد بذلك العربية والأكادية صوتا أسنانيا مجهوراً مطبقا .

سابعاً : الأصوات بين الأسنانية :

أ - كانت اللغة السامية الأولى تضم كما اتضح من المقارنات اللغوية ثلاثة أصوات بين أسنانية ، هى : الثاء والذال والظاء . وقد احتفظت اللغة العربية بهذه الأصوات . أما فى اللغات السامية الأخرى[٤٤] فقد تغيرت هذه الأصوات فى عدة اتجاهات . يلاحظ أن العربية الشمالية.

---

(٤١) يطلق عليها بروكلمان وغيره مصطلح Dentale ويسميها كانتينو وغيره "Les apicales "a pointe haute انظر بروكلمان ١/١٢٨

J. Cantineau, le Consonantisme du semitique, en: Etudes de Linguistique Arabe, P.282. وكانتينو

(٤٢) قال سيبويه فى « الكتاب ٢/٤٠٧ ما نصه : لولا الأطباق لصارت الطاء دالا »

(٤٣) Von soden, Grundriss, s. 29

(٤٤) C. Brockelmann Grundriss,1/128 Syrische grammatik s. 15

G . Bergsträsser, Einführung in die Semitischen Sprachen s. 4.

وهناك اختلاف فى الرموز المستخدمة عن كل من بروكلمان وبرجشتراسر للدلالة على صوت الظاء ، رمزها عند برجشتراس (d) جعل هذا الصوت مجهوراً مطبقا بين أسنانى ، وهذا صحيح فالظاء صوت مجهور فى العربية ، وقد رمز برجشتراس فى مواضع أخرى للظاء فى العربية برمز مخالف (Z) ، وهو فى هذا يتابع العرف السائد عن كثير من المستشرقين فى النقل الحرفى للظاء العربية إلى الخط الصوتى ، وفى هذا العرف قصور فى الدلالة على كون الظاء فى نطقها فى العربية الفصحى صوتا بين أسنانى ، ويرمز للإصوات بين الاسنانية بخط صغير تحت الحرف كما جاء فى الجدول المذكور .

تتفق مع اللغات العربية الجنوبية فى هذه المجموعة[٤٥] . ولعل أهم تحول طرأ على هذه المجموعة فى العربية هو ماحدث لصوت الظاء ، فقد كانت فى السامية الأم - كما يفترض بروكلمان وفيشر - صوتا مطبقا بين أسنانى مهموسا ، أى أنها كانت المقابل المطبق للثاء فى السامية الأم فأصبحت المقابل المطبق للذال [٤٦] . وهذا الرأى يجعل من الممكن تفسير تغير هذا الصوت المطبق المهموس بين الأسنانى إلى طاء فى الآرامية ، وذلك بتغير سمة واحدة من سمات الصوت- وهى المخرج - من بين أسنانى إلى أسنانى على نحو ما حدث لباقى الأصوات بين الأسنانية .

وقد لوحظ بالنسبة لصوتى الذال والظاء فى العربية الجنوبية مايأتى :

١) وجد ليتمان حرف الذال فى تدوين الكلمتين الجنوبيتين : (ذ ك ن م) (ق ر ذ) وهما تقابلان فى العربية الشمالية : دكين وقرد ، واستنتج من هذا أن الحضرمية كانت تنطق الذال نطقا مشابها للدال ، ومن ثم حدث خلط بينهما فى

---

(٤٥) رمز بيستون A.F.L . Beeston فى :

A descriptive Grammar Epigraphic South Arabian P . 12 , 13 , 15

للثاء كما رمزنا لها وللذال كما رمزنا لها ولكنه رمز للظاء بالرمز Z كما فعل برجشتراسر بالنسبة للعربية .

(٤٦) انظر مقال فيشر : ض W . D. Fischer, Die Position von

im Phonem system des Gemeinsemitischen, Wiss . Z . Universität Halle, XVII 68 G . H . 2/3 s. 55 - 63

كتابة الكلمتين المذكورتين(٤٧)، ويرى بيستون أن المثالين المذكورين لا يشكلان ظاهرة عامة فى الخلط بين الدال والذال (٤٨) .

٢) هناك نقوش كثيرة يبدو فيها خلط بين حرف الصاد وحرف الظاء فى رأى بعض الباحثين(٤٩) . ومن الصعوبة بمكان أن يميز الباحث بين الحرفين للشبه الكبير بينهما فى الكتابة العربية الجنوبية القديمة (٥٠)

٣) جعل التغير فى الأكادية والكنعانية مجموعة الأصوات بين الأسنانية تتحول إلى مجموعة أصوات الصفير . كان هذا التحول قد تم فى الأكادية منذ وقت طويل ، ولكن اللغة الأجريتية لم تعرف هذا التغير فى كل جزئياته ، فقد احتفظت الأجريتية بالثاء السامية القديمة ، ويتضح هذا من الكلمة الدالة على الرقم ثلاثة فقد كتبت بالأجريتية بالثاء . وظلت الذال كذلك فى الأجريتية ثم بدأ تحول الثاء إلى شين ، والذال إلى دال فى النقوش الأجريتية المتأخرة(٥١) .

---

(٤٧) E . Littmann, in ZDMG , 101 s , 377 .

(٤٨) A . Beeston, P . 13 .

(٤٩) يقول بيستون ، المرجع المذكور ص ١٥ . إن عدد أمثلة الخلط (بين الصاد والظاء) يشكل نسبة عالية جدا من كل الكلمات التى تدخل الظاء فى حروفها الأصول ، وهناك أسباب للاعتقاد أن الحرفين لم يكونا فى منطقة من البيئة اللغوية العربية الجنوبية وحدتين صوتيتين متميزتين .

(٥٠) انظر قائمة الرمز العربية الجنوبية فى الكتب التالية :

M. Höfner, Altsüdarabische Grammatik (Porta linguarum Or ., 25) Leipzig,(1943)

D Brockelmann, Grundriss, 1 . 128 - 129 .

(٥١) A . Beeston , P . 15

J . Friedrich, Phöizisch-Punische Grammatik, s . 8 .

ويوصف التحول الذى أصبح مطردا فى العبرية والفينيقية والذى كان من شأنه أن تحولت الثاء السامية القديمة إلى شين والذال السامية القديمة إلى زاى والظاء إلى صاد بأنه « التحول الصوتى الكنعانى » .

وبهذا اختلفت اللغات الكنعانية عن اللهجات الآرامية من هذه الناحية ، نجد شينا فى الكنعانية يقابلها فى الآرامية تاء بدلا من الثاء العربية ، ونجد طاء بدلا من الظاء العربية ، ودالا بدلا من الذال العربية. وبهذا حدث فى الآرامية تحول صوتى تكرر فيما بعد فى اللهجة العربية فى مصر إذ تحولت الثاء إلى تاء تلاتة) و (ذا : ده) أما الفعل الآرامى (نظر) فيقابل تأصيليا الفعل العربى (نظر) . وقد اللغة العربية في منطقة الشام ثم فى دخل المناطق الأخرى فهم يتحدثون عن الفعل (نطر) وعن (الناطور). وهذه الكلمات بهذه الصيغ ذات الطاء مأخوذة عن الآرامية مباشرة ولو كانت عربية لاحتفظت بالظاء .[٥٢]

ثامنا : صوت الضاد :

١) ليس هناك وصف دقيق لنطق الضاد يوضح خصائصها دون لبس[٥٣] وعلى الرغم من هذا فقد استطاع الباحثون تتبع الأصوات المقابلة للضاد فى اللغات السامية المختلفة[٥٤]

---

(٥٢) انظر : المعرب للجواليقى ٣٣٤ ، ٦٨ ، وعلم اللغة العربية لمحمود حجازى ، الكويت ١٩٧٣ ، ص ٢١١ - ٢١٢ .

(٥٣) انظر : سيبويه ، كتاب سيبويه ، طبعة بولاق ٢/ ٤٠ ، طبعة القاهرة ١٩٧٥ ، بتحقيق عبد السلام هارون ٤/ ٤٣٢ .

(٥٤) R . Meyer, Hebräische Grammatik, 1/25 92.

وكذلك

W . Fisher, Die Position von im Phonem system des Gemeinsemitiochen, Wiss . Z . Universitat Halle,. 1968, 55 - 63

ظلت الضاد السامية القديمة فى كل لغات المجموعة الجنوبية وهى العربية الشمالية والعربية الجنوبية والحبشية ، أما فى الأكادية والكنعانية فقد تحولت الضاد إلى صاد ، كما تحولت فى الآرامية إلى عين .

ويرى جان كانتينو أن الضاد كانت فى اللغة السامية الأولى ضمن مجموعة أصوات أطلق عليها مصطلح Les Latéralisées الأصوات الجانبية . وبهذا خالف كانتينو الرأى القائل بأن النطق الجانبى لهذه الأصوات هو تغير حدث فى العربية الجنوبية الحديثة[٥٥] ورأيه أن الضاد السامية القديمة كانت صوتا يتسم بالإطباق والنطق الجانبى emphatique latéralisée .

(٢) يتفق الباحثون على أن اللغات السامية الجنوبية قد احتفظت بالضاد السامية القديمة وهناك خلاف كبير حول نطق الضاد العربية القديمة ، فقد ترك وصف سيبويه لها بعباراته غير الواضحة مجالاً كبيراً للتفسير. أما فى اللغة العربية الجنوبية فأمثلة وجود الضاد فى النقوش القديمة كثيرة[٥٦] . وتنطق هذه الوحدة الصوتية فى اللهجات العربية الجنوبية الحديثة نطقا يختلف من لهجة لأخرى (السقطرية والمهرية والشحرية) . تنطق الضاد فى النطق التقليدى للحبشية لا يعكس النطق الجعزى القديمة لها ، فهم ينطقونها صاداً أو طاء [٥٧] للحبشية نطقاً يعكس النطق الجعزى القديم لهـا ، فـهم ينطقـونهـا صـاداً أو طاء [٥٧]

---

(٥٥) J . Cantineau, Etudes de Linguistique Arabe, P . 233 - 284

ورفض كانتينو ص ٢٨٥ كذلك الرأى القائل بأن الصوت السامى القديم الذى نتجت عنه الضاد العربية كان مهموسا على عكس الصوت السامى القديم الذى نتجت عنه الظاء العربية المجهور ، واعتمد كانتينو فى رفضه لذلك على أنه لا توجد أية لغة سامية قديمة تميز فى داخل الأصوات المطبقة عن طريق الهمس والجهر ، ففى العبرية والحبشية وربما كذلك فى الأكادية كل الأصوات المطبقة مهموسة .

(٥٦) هناك أمثلة بين الضاد والطاء من جانب والضاد والصاد من الجانب الآخر . وليس من الصواب أن نتفق مع رأى الباحث Stehle فى كون تبادل الضاد والصاد فى الكتابة فى تلك الأمثلة القليلة دليلا على أن الرمزين كانا لصوت واحد وقد اعتبر بيستون هذه الأمثلة شاذة ونادرة ولاتعكس ظاهرة عامة .

(٥٧) انظر بروكلمان Grundriss, 1/134

E. Mittwoch, Die traditionelle aussprache des Athiopischen, Berlin (1926)

وكذلك Handbuch der Orientalistik , Semitistik s . 135 - 136.

٣) ينبغي أن نميز في الآرامية بين صوتين مختلفين تحولت إليهما الضاد السامية الأولى ، ففي النقوش الآرامية القديمة نجد صوت القاف في مقابل الضاد السامية[٥٨] ولكن كل اللهجات الآرامية عرفت العين في مقابل الضاد السامية القديمة ، وهناك محاولات كثيرة غير مقنعة لتفسير تطور نطق الضاد إلى قاف[٥٩] ، وليس من الصعب تفسير تحول القاف إلى عين ،إذا تصورنا هذه القاف ذات نطق مماثل لنطق الغين كما في الكويت والسودان عندما تحولت كل غين إلى عين في الآرامية انطبق هذا أيضاً على ذلك الصوت . وبصفة عامة كان الآراميون ينطقون العين في مقابل العين والغين والضاد في السامية الأولى[٦٠] .

تاسعاً : أصوات الصفير :

١) تعرف كل اللغات السامية أربعة صوامت من أصوات الصفير هي السين والصاد والزاى والشين[٦١] . وأضاف إليها البحث المقارن في اللغات السامية صوتا خامسا بائداً هو السين الجانبية أو الشجرية وتوجد أصوات الزاى والصاد والسين والشين في كل اللغات السامية . والزاى صوت مجهور غير مطبق ، والسين صوت مهموس غير مطبق ،والصاد صوت مهموس غير مطبق . أما الشين نهى صوت مهموس غير مطبق أما في اللغات الكنعانية والعربية الجنوبية فكان يوجد صوت آخر[٦٢] ، وعبروا عن ذلك في الخط بحرف مستقل[٦٣] .

(٥٨) انظر :

N . Yousmanov, la correspondance du arabe au araméen comptes-rendus de L'Académie des sciences de l' V. R . S . S. (1926) p . 41 .

(٥٩) انظر بحث فيشر .

(٦٠) انظر قائمة الألفاظ السامية عند بر برجشتراس

G.Bergstrasser, Einfuhrung S.182 - 192

(٦١) اطلق جان كانتينو على مجموعة السين والصاد والزاى مصطلح : Les sifflantes وخص الشين بمصطلح آخر هو Le chuintante

(٦٢) انظر بروكلمان : C . Brockelman, Grundriss, 1/128

(٦٣) عرف الخط الإجاريتى رموزا مستقلة لكل صوت من هذه الأصوات ، كما يميز الخط العبرى بين الشين ذات الأذرع الثلاثية والسين ذات الأذرع الثلاثية والسامح والزاى والصاد ، كذلك في الخط الفينيقي ، أما في الخط العربى الجنوبى القديم فهناك بجانب الصاد المطبقة والزاى المجهورة ثلاثة رموز أخرى ، تدل علي سين وشين وعلي صوت ثالث .

F. A . Schaeffer, RRV II, 184

R . Meyer, Hebräiche Grammatik, 192

F . Friedrich, Phöizisch- Punische Grammatik,s.6 .

A . Beeston, A Descriptive Grammar of Epigraphic south Arabian, P . 4 .

C . Brockelmann, Grundriss, 1/128

D . Stehle, Sibilants and Emphatics in South Arabic Journal of the American Oriental society 60 (1440) PP . 507- 43 .

J . Cantineau, Mutation des sifflantes, in Melanges . Gaudefroy - Demombynes 1939 - 46, PP 313 - 323 .

وقد لاحظ بيستون (٦٤) أن اللهجات العربية الجنوبية الحديثة مثل المهرية والسقطرية والشجرية تتفق من هذا الجانب مع اللغة العبرية ، فالشين فى العبرية تقابل اشتقاقيا الشين فى العربية الجنوبية الحديثة والسين تقابل السين وأما ما يرمز إليه فى العبرية بحرف السامخ فهو يقابل السين الشجرية فى اللهجات العربية الجنوبية الحديثة ،ووجود هذا الاتفاق فى أطراف متضادة من عالم اللغات السامية جعل بيستون يميل إلى القول بأن هذا يعكس العلاقات التى كانت قائمة فى اللغة العربية الجنوبية ومعنى هذا أن تغيرا ما قد حدث فى العربية الشمالية .

وبذلك يمثل صوت السين العربية صوتين اثنين كانا مختلفين فى اللغة السامية الأولى وفى الكنعانية وفى العربية الجنوبية القديمة ولا يزالان متميزين فى اللهجات العربية والجنوبية الحديثة . وبينما يقابل صوت الشين فى العربية صوتاً واحداً فى كل من الكنعانية والعربية الجنوبية القديمة والحديثة . (٦٥)

---

(٦٤) A . Beeston , A . Descriotive Grammar of Epigraphic South Arabian, P . 13.

(٦٥) يقابل الرمز s1 عن بيستون الشين نطقا وذلك بدليل أنه يعبر عن الحرف العربى الجنوبى الذى كتبت به الشين فى الكلمات ذات الشين التى دخلت من اللغة السريانية العربية الجنوبية القديمة . أما الرمز s2 فيعبر بالنسبة للعربية الجنوبية الحديثة عن السين الشجرية . ويعبر الرمز s3 عن صوت السين وهو نقل للحرف العربى الجنوبى الذى كتبت به السين فى الكلمات الدخيلة من اليونانية فى العربية الجنوبية القديمة . وهناك خلاف بعيد حول القيمة الصوتية للحروف العربية الجنوبية القديمة الدالة على هذه الأصوات الثلاث ، قارن ماسبق ببحث ماريا هوفنر .

Maria Höfner, Des Südarabische der Inschriften und der Lebenden Mundarten, in : Handbuch der Semitistik, s . 318 .

عاشراً : أصوات الذلاقة :

١) توجد فى كل اللغات السامية أصوات الراء واللام والنون ، ويطلق على الراء واللام مصطلح الأصوات المائعة[٦٦] Liquides بينما تعد النون صوتا شفويا [٦٧] وهذه الأصوات الثلاثة من اللغة السامية الأولى .

وهناك أمثلة فى العربية للتغير بين أصوات الذلاقة . وقد تحولت الميم النهائية إلى نون فى العربية ، وعلى هذا فقد تحولت الميم إلى نون فى أداة الشرط ، «إن» وتوجد هذه الأداة فى كل اللغات السامية الأخرى بالميم ، ففى العبرية im ، كما أن نون التنوين متحولة وفق نفس القانون عن ميم التميم التى توجد فى الأكادية ، ولكن المواد ذات الميم مثل قوم فى قام يقوم احتفظت بهذه الميم النهائية دون تعديل .

---

(٦٦) A . F . L. Beeston, Phonology of the Epigraphic south Arabian Unvoiced Sibilants (Transactions of the philological Society (1951) .

J . Cantineau, Etudes, P . 286 .

Von Soden Grundriss, s. 31 - 32 .

(٦٧) أفدنا هنا من وصف الخليل بن أحمد لها بأنها ذليقة أو ذلقة (كتب العين ، تحقيق عبد الله درويش ، بغداد ١٩٦٧ ، ٥٧) و وقد أطلق بركلمان مصطلح Sonorlaute للدلالة على أصوات الراء واللام والنون والميم ، ويدل المصطلح على الأصوات الصامتة ذات الوضوح السمعى القوى ، وهذه الأصوات موجودة بوصفها وحدات صوتية متميزة في كل لغة من اللغات السامية ، وسماها برجشتراسر « الحروف الصوتية المحضة » التطور النحوى ١٣ . وترجع تسميتها بالأصوات المتوسطة إلى أنها أكثر وضوحا فى السمع من باقى الصوامت وأقل وضوحا من الحركات

وفوق هذه التغيرات فى الكلمات الوظيفية والنظام اللغوى هناك أمثلة لكلمات وردت فى العربية من الناحية المعجمية منتهية بالميم أو النون[٧٥] منها : الحزم = الحزن ، بمعنى الأرض الغليظة ، قاتم = قاتن ، بمعنى أسود .

حادى عشر : الأصوات الشفوية :

١) عرفت اللغة السامية الأولى ثلاثة أصوات شفوية هى الباء المهموسة والباء المجهورة والميم . وقد تطورت الباء اللغات السامية إلى فاء ، ومعنى هذا أن الباء فيالمهموسة فى لغات الفرع الجنوبى من الأكادية والكنعانية والآرامية تقابل الفاء فى العربية الشمالية والعربية الجنوبية والحبشية، ويتضح هذا من مقارنة الكلمات العربية والعربية الجنوبية : فرق ، نفس ، ألف من جانب بالمقابل للاشتقاقى فى باقى اللغات السامية من الجانب الآخر نجد الفاء فى العربية والعربية الجنوبية والحبشية تقابل الباء فى العبرية والأكادية والآرامية .

---

(٧٥) الأمثلة المذكورة من كتاب القلب والإبدال لابن السكيت فى الصفحات ١٧ ، ١٨ ، ٢٠ ومن كتاب الإبدال والمعاقبة والنظائر للزجاجى ص ١٠٠ – ١٠١ ومن كتاب الإبدال لأبى الطيب اللغوى ص ٤٢٣ وما بعدها .

C . Brockelman , Grundriss, 1 / 136 .

J . Cartineau , Etudes, P . 280 .

A . Beeston , A descriptive Grammar of Epigraphic South Arabian, P , 15 - 16 .

Von doden, Grundriss der Akkadischen Grammatik , s 26 - 27 .

٢) وقد أثار بعض الباحثين قضية وجود صوت مطبق شفوى فى اللغة السامية الأولى [٦٩] ، واستدلوا على هذا بلغة الجعز ، وهناك فرق بين الرأى القائل بوجود الباء المهموسة التى يرمز إليها عادة بحرف P وبين وجود الباء المطبقة المجهورة التى يرمز إليها بحرف b . فالصوت P مهموس أما والصوت b وكذلك b فهما مجهوران ، لقد عرفت اللغة السامية صوت الباء المهموسة واحتفظت به اللغات السامية الشمالية وتغيرت هذه الوحدة الصوتية فى لغات المجموعة الجنوبية إلى فاء . أما وجود صور صوتية مختلفة للباء (أو للفاء أو للميم أو للام أو للراء) بالتفخيم أو بالترقيق ، فيبدو أنه لا يدل على اللغة السامية الأولى بل هو ثمرة تحول تال فى لغة أو أكثر من اللغات السامية ، ففى عدد من اللهجات العربية نجد باء مفخمة وأخرى غير مفخمة [٧٠] ، ولكن كليهما فى العربية وحدة صوتية واحدة ، ومثل هذا يقال بالنسبة للباء المهموسة فقد تحولت إلى الفاء العربية وهذا لا ينفى وجود الباء المهموسة فى بعض اللهجات العربية لا بوصفها وحدة صوتية متميزة بل باعتبار أنها صورة صوتية للباء وعلى هذا لا يمكن اعتبار وجود الباء المهموسة فى الحبشية دليلا على وجود صوت شفوى مطبق فى اللغة السامية الأولى .

---

(٦٩) انظر :

H . Möller, Semitisch and Indogermanisch, I (Kopenhage, 1906) , p . 33 , 105 ff,

Die Semitischen P- Laute, in ZDMC LXX (1916) s . 145 - 163 .

H . Grimme, Semitische P - Laute, in ZDMC, LXVIII (1914) s 259 - 269 .

(٧٠) J . Cantineau, Etudes sur quelques parles de nomades arabes d' Orient, 1 P. 12 - 16.

Le dialecte arabe de Palymre, I , P, 44 - 48, Etudes , P . 281 .

R . S. Harrell, The Phonology of Collognial Egyptian Arabic , P. H .

ثانى عشر : الثوابت والمتغيرات .

١) هناك ثوابت ومتغيرات فى تطور النظم الصوتية للغات السامية ، والمقصود هنا بالثوابت تلك الوحدات الصوتية التى تجدها فى اللغات السامية كلها من أقدمها إلى لهجاتها الحديثة ، ونفترض أيضا أنها كانت مع هذا النحو فى اللغة السامية الأم

وقد اتضح من العرض السابق أن الوحدات الصوتية التالية تعد من الثوابت فى بنية اللغات السامية :

أ- وحدات الأصوات الشفوية . ب م

ب- وحدات أصوات الذلاقة. ر ل ن

ج - وحدات أصوات الصفير: س ز س

د - وحدات الأصوات الأسنانية: ت د ط

هـ - الوحدات الصوتية للوقف الحنجرى : همزة .

٢) هناك تغيرات لم تنشأ إلا فى ظروف تأثيرات قوية من لغات أخرى ، لها سمات صوتية مخالفة لبنية اللغات السامية وهى الوحدات الصوتية التالية :

أ - الوحدتان الصوتيتان من الأصوات اللهوية الرخوية : الغين والخاء .

ب - الوحدتان الصوتيتان من أصوات التجويف الحلقى : العين والحاء .

جـ - الوحدات الصوتية من أصوات الحنجرة : الهاء .

٣) هناك تغيرات أخرى حدثت فى مناطق جغرافية متباعدة ، تمثل الظاهرة اللغوية نفسها فى داخل اللغات السامية .

وأهمها التخلص من الأصوات بين الأسنانية ، واتخذ هذا التحول اتجاهين اثنين :

أ - تحوّل الوحدات الصوتية بين الأسنانية إلى المقابل الأسنانى :

ث ت

ذ د

ظ زاى مطبقة)

حدث هذا التغير فى اللغة الآرامية فى الشام والعراق قبل الإسلام ، ثم حدث بعد ذلك اللغة العربية فى مصر وصقلية .

ب - تحوّل الوحدات الصوتية بين الأسنانية إلى المقابل الشفوى أو الأسنانى

ث ف ،

ذ د

ظـ ضاد

حدث هذا التغيير فى بعض لهجات الجزيزة العربية القديمة ، ويلاحظ اليوم فى بعض لهجات ريف البحرين .

٤) تغيرات بعض الأصوات فى أكثر اللغات السامية تغيرات بعيدة المدى ، الأمر الذى يثبت قضية الصعوبة النطقية لهذه الأصوات ، وأهم الوحدات الصوتية التى طرأ عليها تغيرات :

أ - أصوات الإطباق :

الظاء ، الطاء ، الضاد .

ب - أصوات أقصى الحنك :
القاف ، الجيم ، الكاف .

٥) اتجاهات التغير فى اللغات السامية ولهجاتها ليست مقصورة عليها ، وقد لوحظ عدد كبير من هذه التغيرات فى لغات أخرى لاتمت للغة السامية بصلة قرابة لغوية أو مكانية ، وأهم هذه الاتجاهات ما يأتى :

أ - تحول الباء المهموسة (p) إلى فاء (F) حدث هذا التغير بين اللغة السامية الأولى واللغة العربية ، وهو أشهر هذه التغيرات التى حدثت عند تكون النظام الصوتى للعربية ، وحدث التغير نفسه فى الأسرة الهندية الأوربية ففى اليونانية Pater تقابل Fadar فى القوطية (٧١) وهنا نجد (P) قد تحولت إلى (F) ، وفى كلتا الحالتين نجد التغير واحدا ، وهو تحول الصوت شفوى (P) إلى صوت شفوى أسنانى (F) .

ب - تحول الكاف (K) إلى صوت الكشكشة المركب (TČ) . حدث هذا التغير فى العبرية الفصحى ولهجات الخليج ومنطقة شرق الجزيرة العربية ، وهذا ما حدث أيضاً في الأسرة الهندية الأوربية ، فى تاريخ اللغة الإنجليزية فى رحلتها المبكرة عندما ظهر هذا الصوت إلى جوار الحركات الأمامية : pic Pitch . (٧٢)

جـ - تحول الكاف (K) إلى صوت الكشكشة الاحتكاكى (Č) .حدث هذا التغير فى العربية ، وهو المقصود - فى أرجح الآراء - بالكشكشة عند اللغويين العرب ، وهذا التغير ملاحظ اليوم أيضاً في بعض لهجات البدو فى شرق الجزيرة العربية وهذا ما حدث فى الأسرة الهندية الأوربية ، فمثلا فى اللغة اللاّتينية نجد Camera يقابلها chambre فى الفرنسية(٧٣)

د - تحويل الجيم الشديدة إلى مركب احتكاكى حدث هذا التغير بين اللغة السامية الأولى واللغة العربية الفصحى . وحدث التغير نفسه بين اللاّتينية واللغات الرومانية المختلفة (٧٤) .

---

(٧١) انظر حول هذا التغير - مثلا :
W . P. Lehmann, Historical Linguistics, 164 - 165 .

(٧٢) انظر مثلا L . Bloomfield, Language 378

(٧٣) انظر L . Bloomfield, Language P . 377

(٧٤) انظر L . Bloomfield P. 378.

هـ - انقسام المركب الاحتكاكى (dg) إلى عنصرين وحذف أحد العنصرين .

حدث هذا التغير فى العربية الفصحى ولهجاتها ، ففى لهجات عربية حديثة نجد الجيم مركبًا احتكاكيا وفى لهجات أخرى نجد الجيم صوتا احتكاكيا ، وفى لهجات ثالثة نجد مقابل ذلك صوت الدال ، وهذا بالتغير نفسه حدث فى الأسرة الهندية الأوربية [٧٥] .

و - تحول الجيم إلى ياء حدث هذا التغير داخل العربية ولهجاتها وحدث التغير نفسه فى الأسرة الهندية الأوربية وهو من التحولات المميزة للغة الانجليزية داخل اللغات الجرمانية فى أقدم المراحل (g) وفى الإنجليزية الحديثة (y) . geldenyield.

ز - تحول الثاء إلى فاء حدث ذلك داخل اللغة العربية ، وفى أمثلة قديمة وفى لهجات حديثة فى البحرين ، وحدث التغير نفسه فى الأسرة الهندية الأوربية ، ففى اليونانية نجد الثاء (th) تقابل (f) فى الآتينية[٧٦] .

٦ - العربية الفصحى احتفظت بين اللغات السامية بأكثر الوحدات الصوتية الموروثة عن اللغات السامية الأولى ، والتى تغير قدر منها فى اللغات السامية المفردة . وتقتصر التغيرات بين اللغة السامية الأولى واللغة العربية على مايأتى :

أ - تغير الباء المهموسة فى السامية إلى الفاء فى العربية .

ب - تغير نظام أصوات الصفير ، فاختفت الشين الشجرية فى العربية .

أما باقى الوحدات الصوتية فى العربية فترجع إلى اللغة السامية الأولى ، أى إلى ما قبل أول هجرة سامية إلى أرض العراق نحو سنة ٢٥٠٠ ق . م ومعنى هذا أنها تشكل وحدات فى النظام الصوتى للعربية منذ أكثر من خمسة وأربعين قرنا .

محمود فهمى حجازى

الخبير بالمجمع

---

(٧٥) انظر : L . Bloomfiled, Language 378.

(٧٦) انظر تفصيل ذلك فى :

L . Bloomfield, Language, London 1979 , P . 348

L . Bloomfield 377

من التراث اللغوي المفقود

« مع كتابين مفقودين للفراء »

للأستاذ الدكتور أحمد علم الدين الجندى

(١)

ألف الفراء (ت ٢٠٧ هـ) كتبا كثيرة وأغلبها مفقود [1] ومن هذه الكتب المفقودة :

أولا : كتاب (لغات القرآن) الفهرست لابن النديم ٥٩ . وقد أشار إليه أبوحيان فى تفسيره (البحر المحيط ٣/ ١٩٣) وورد ذكره فى حاشية الشيخ عبادة على شذور الذهب ١٤٨/١

ثانيا : (كتاب اللغات) وهو مفقود كسابقه) ، وقد عزاه له ابن النديم (الفهرست ١٠٦) والسيوطى فى بغيته (٤١١) ومزهره (٩٦/١) .

وقد ألف كثير من العلماء فى الفن الأول ، منهم هشام بن محمد بن السائب الكلبى ٢٠٤ هـ وأبو زيد الأنصارى ٢١٥ هـ ، وابن دريد ٣٢١ هـ والقطيعى ٥٥٤ هـ ، والبيهقى ٥٥٤ هـ ، وغيرهم. كما ألف فى الفن الثانى يونس بن حبيب البصرى ١٨٢ هـ ، وأبو عمرو الشيبانى ٢٠٦ هـ ، وأبو عبيدة ٢١٠ هـ وأبو زيد الأنصارى ٢١٥هـ ، والأصمعى ٢١٦هـ ، وابن دريد وغيرهم. وجميعها مفقودة إذا استثنينا كتاب اللغات لأبى عمرو الشيبانى٢٠٦هـ، والمعروف بكتاب (الجيم).

ولقد جمعتُ هذه الكتب المفقودة فى هذين الفنين حيث تعقبت كتب العربية على اختلاف نحلها جردا وبحثا حتى وضعت يدى على المادة التى أرجح أن هذه الكتب الضائعة قد اشتملت عليها لهؤلاء الأعلام .

فرصدت الروايات والسماعات والنقول الخارجية المبثوثة فى كتب علوم القرآن والشعر والنحو والعربية والطبقات والأمثال والتى كان مصدرها هؤلاء العلماء الذين ألفوا هذه الكتب . وأعرض الآن هيكلا لكتابى الفراء فى (اللغات) (ولغات القرآن) ، وهما مفقودان

وقد وضعت على الجانب الأيسر رمز (غ) إشارة إلى أن النص

(١) انظر قائمة مؤلفات الفراء ، الموجود منها والمفقود فى كتاب (أبو زكريا الفراء ومذهبه فى النحو واللغة ص ١٦٩ - وما بعدها للدكتور أحمد مكى الأنصارى . والمعجم العربى ، نشأته وتطوره الجزء الأول . الدكتور حسين نصار)

- على ما أرجح - من كتاب اللغات) ، ورمز (ق) إشارة إلى أن النص من كتاب (لغات القرآن) .

١ - المستوى الصوتى ويشمل (علم الأصوات العام وعلم الأصوات التنظيمى أو علم التشكيل الصوتى)

أولا : حركية الكلمة :

١ - فاء الكلمة :

الفـــراء ١ - يقـــال فـــيه غِـلظة وغُلظة [1]،ويقـال رِفقة ورُفقة) ، لغة قيس وتميم . إصلاح المنطق ١/ ١١٥ (غ) .

٢ - وسمعت من بعض كلب : وِجنة ووَجنة ،لبعض العرب بكسر الجيم وفتح الواو . إصلاح المنطق ١/ ١١٧ (غ).

وحكى الفــراء عن الكســائى وُجنة وأُجْنة ووَجْنة عن أهل اليمـامة . إصلاح المنطق ١/ ١١٦

٣ - هو يأكل الحِينـة ، والحيْنة لأهل الحجار[2](غ) .

٤ - قـــال الفـــراء فـــى قـــوله تعالى (ونمارق مصفوفـة) هى الوسائد واحدها نُمرُقة .

قـال سمـعت بعض كلب يقـولون : نمرقة بالكسر. لسان العرب١٢/ ٢٣٩ (ق).

٥ - الجهد - بضم الجيم لغـة أهل الحجاز ، والوجد ، ولغة غيرهم ، الجهد و الوجد بالفتح.

معانى القرآن للفراء ١ / ٤٤٧[3] (ق)

٢ - عين الكلمة :-

١- ويقـــال: مخّ ريـر ورار. وزعم الفــراء قـــال: لغـــة القنانـى ريْر بفـــتح الراء. وأنشد: (والساق منى باردات الرّيْر) إصلاح المنطق ١ / ٨٩[4] (غ) .

٢ - قال صاحب العباب ، قال الفراء فى نوادره[5] : الحلقـة بكســـر اللام لغـة للحـارث بن كـعب فى الحـلقـة بالسكون وأورد شاهدا (غ) .

٣ - حـــكى الفـــراء عن بـنـــى أســـد : هل رأيت عينا فـــى معنـــى (أحـــد) يروى بسكون الياء وفتحها .

---

(١) وحكى أبو عبيدة وابن الاعرابى : غلظة : إصلاح المنطق ١/ ١١٧ وعزيت فى الإتحاف ٢٤٥ بالفتح لغة لأهل الحجاز . وفى البحر المحيط بالكسر لغة أسد وبالضم لغة تميم : البحر المحيط ٥/ ١١٥ .

(٢) أى وجبة فى اليوم . إصلاح المنطق ١/ ١١٧ والمخصص ٥/ ٢٤. .

(٣) بمناسبة قول الله (إلاجهدهم) سورة براءة آية :٧٩ .

(٤) الحركة البسيطة تحولت إلى حركة مركبة فى لغة القنانى .

(٥) يظهر أن كتب اللغات والنوادر كانت تسير فى فلك واحد .

كنز الحفاظ ٢٧٣ (غ) .

٤ - قال الفراء : البُخلُ[1] مثقلة لأسد ، والبخل خفيفة لتميم ، والبَخل لأهل الحجاز ، ويخففون أيضا فتصير لغتهم ولغة تميم واحدة ، وبعض بكر بن وائل يقولون : البَخْل . البحر ٣/٢٤٧ ومختصر الشواذ لابن خالويه : ٢٦ (ق) .

٥ - أهل الحجاز يقولون : أعطها صَدُقتها بضم الدال ،

وتميم تقول : صُدْقتها بسكون الدال : معانى القرآن للفراء٢/٥٩ (ق).

٣ - المماثلة فى الحركات :

١ - حكم هاء التنبيه الفتح عند أكثر العرب ، ويجوز ضمها وهى لغة عربية حكاها الكسائى والفراء .قال الفراء : هى لغة بنى أسد : إبراز المعانى ٢٠٠ · وقرأ بها ابن عامر فى (أيُّهُ المؤمنون)[2] يا أيه الساحر - بضم الهاء . إرشاد المريد على إبراز المعانى ٢٠٠ (ق) .

٢ - سيبويه[3] والفراء : ناس من بكر بن وائل يكسرون الكاف من نحو : منكم وأحلامكم . وهى لغة رديئة جدا ، حكاها سيبويه والفراء ، الهمع ١/٥٩(غ) .

٣ - ذكر الفراء فى (كتاب لغات القرآن) له : أن الصلب وهو الظهر على وزن قفل - هو لغة أهل الحجاز . ويقول فيه تميم وأسد الصلب : بفتح الصاد واللام قال : وأنشدنى بعضهم : (وصلب[4] مثل العنان المؤْدَمِ) .

قال : وأنشدنى بعض بنى أسد .

(إذا أقوم أتشكّى صلبى) البحر المحيط ٣/١٩٣(ق) .

٤- فى قوله تعالى « الحمد لله » أما أهل البدو فمنهم من يقول : الحمدَ لله ، ومنهم من يقول الحمدِ لِله ، ومنهم من يقول الحمدُ لُله فيرفع الدال واللام[5] معانى القرآن للفراء ١/٣ (ق) .

(١) فى القرآن : « ويامرون الناس بالبخل » : سورة النساء آية :٣٧

(٢) وفى البحر المحيط ٦/ ٤٥٠ ، ١/٩٣ عزاها لغة لبنى مالك (رهط شقيق بن سلمة). وبنو مالك من بنى أسد

(٣) اشترك الفراء مع سيبويه فى حكاية اللهجة عن العرب .

(٤) والبيت فى اللسان (صلب) للعجاج يصف امرأة وهو :

ريًا العظام فخمة المخدّم ∴ فى صلب مثل العنان المؤدم ...... ويقال للظهر :

صُلْب ، وصَلَب ، وصالب ،اللسان مادة (صلب)

ولعل نص الفراء الذى ذكر أنه فى كتابه (لغات القرآن) كان بمناسبة قوله تعالى «من أصلابكم» سورة النساء آية ٢٣ ، أو قوله « من بين الصلب » سورة الطارق آية ٧

(٥) علل الفراء صوتيا لكل قراءة ، إلا أنه أهمل العزو ، فالحمد لله ، بكسر الدال واللام لغة تميم وبعض غطفان ، الإتحاف ١٢٢ هامش ، نزهة الألبا ٣٦٤ · والحمد لله - بفتح اللام اتباعا لنصب الدال وهى لغة بعض قيس النشر ١/٤٨ ·

٥ - فـى قوله تعالى

« مـا أنـــا بمصــرخـــكـــم ومـا أنتـــم بمصــرختــىّ إنــى . . . . . » سورة إبراهيم آية ٢٣ . حكى الفراء كسر الياء ، لغة بنى يربوع [١] النشر ٢/ ٢٩٨ ، إتحاف ٢٧٢ (ق) .

وفى التـصريح ٢/ ٦٠ أن هذه اللغـة حكاها الفراء وقطرب . وفى معانى القرآن للفراء ٢/ ٧٥ «قال الفـراء ولعلها من وهم القراء طبـقة يحيى فـإنه قلّ من سلم منهم من الوهم . انظر البحر المحيط ٥/ ٤١٩ ، والنهر الماد ٥/ ٤١٨ .

ثانيا : ظاهرة التقريب

١ - الإمالة والفتح :

أهل الحجاز يفتحـون ما كان مثل شاء وخاف وجاء وكاد ومـا كان من ذوات الياء والواو . قال : وعـامة أهل نجـد من تميم وأسد وقيس يُســرُّونَ إلى الكسر من ذوات الياء فى هذه الأشياء ، ويفتحون فى ذوات الواو مـثل : قال وجـال . شرح المفـصل ٩/ ٥٤ والأشمونى ٤/ ٢٢١ (غ) .

٢ - الإدغام والإظهار :

١- وسمعت بعض بنى أسد يقولون: قد اتَّغر [٢] . وهذه اللغة كثيرة فيهم خاصة وغيـرهم قد اثّغَر . مـعانى القـرآن للفراء ١/ ٢١٥ (غ) .

٢- وسمعت بعض بنى عـقيل يقول: عليك بأبوال الظباء فـاصعّطْها فإنهـا شفاء للطَّحَل [٣]. معـانى القرآن : ١/ ٢١٦ (غ)

٣ - فى (مذّكر) ومدكر فى الأصل مذتكر - فصيـرت الذال وتاء الافتعال دالا مشددة . قال : وبعض بنـى أسـد يقول : (مذَّكر) لسان العرب ٥/ ٣٧٦ (ق) .

ثالثا : الهمز والتسهيل

١ - روى الأزهـــــرى بإسـناده عــن الفراء قال : سمعت أعـرابيا من بنـى سليم ينشد :

(فإنها حِيَل الشيطان يَحْتَيِلُ) .

قال : وغيره من بنى سليم يقول (يحتال) بلاهمز . اللسان : ١٩٨ - ١٩٩ (غ) .

---

(١) وعقب ابو عمرو بن العلاء على هذه القـراءة بأنها «جائزة وحسنة» ولا التفات إلى إنكار النحاة لها . الدر اللقـيط ٥/ ٤١٩ ووصفها الزجاج بأنها « عند جـميع النحويين رديئـة مرذولة . الخزانة ٢/ ٢٥٩إبراز المعـانى ٣٦٩ ، كما أنكرها أبو حـاتم (البحر المحـيط ٥/ ٤٢٠) ورماها الزمخشرى بالضـعف (الخزانة ٢/ ٢٥٩) وزاد فى إضعافها وتوهينهـا بأن الشاهد الشعرى عليها لرجل مجـهول . والحق أن الشاهد للأغلب العجلى ورآه أبو شـامة فى أول ديوانه (حاشيـة زين الدين على التصريح ٢/ ٦٠) وقـال القاسم بن معن عن هذه القراءة (إنـها صواب) النشر ٢/ ٢٩٩ وكان القاسم بن معن ثقة بصيرا، إبراز المعانى ص ٣٦٩

(٢) وصيغـة (اتغر) أسهل ، لأن اللسان قد يسـهل عليه الاصطدام بالحنك والالتقاء به التقـاء محكما ينحبس معه النفس . وهو ما يكون مع الأصوات الشديدة – من أن تقف حركته عند مـسافة قصيرة من الحنك ، ليـكون بينهما مجرى يتسرب منه الهواء ،كما يحدث فى الأصوات الرخوة .

(٣) مرض ، (اصعطها) اتعل من الصعوط وهو لغة فى السعوط وهى : مايستنشق فى الأنف .

٢- سمعت امرأة من طيئ تقول (١) . رثأت زوجي بأبيات معاني القرآن للفراء ٤٥٩/١ ونقل اللسان عن الفراء أنه قال سمعت امرأة من غنيّ تقول : رثأت زوجي بأبيات . اللسان ١/ ١٠ (غ).

٣ - ونسأ الله في أجلك : أي زاد الله فيه ، ولم يهمزها أهل الحجاز ولا الحسن معاني القرآن للفراء ٢/ ٣٥٦ (غ) ومثلها : وقد ترك همز (التناوش : سورة سبأ آية ٥٢) أهل الحجاز وغيرهم جعلوها من نشته نوشا وهو التناول . . . وقد يجوز همزها. معاني القرآن للفراء ٢/ ٣٦٥ (ق).

رابعا : مدارج اللهجات في إبدال الحروف

١ - والتُّفتر لبني أسد . (وهي لغة في الدَّفتر) إبدال أبي الطيب ١٠٩/١ (غ)

٢ - بنو أسد يقولون : المغْشور وغيرهم بالفاء . إبدال أبي الطيب١/١٨٦ معاني القرآن للفراء ٤١/١ (غ) .

٣ - كل ياء مشدودة للنسبة وغيرها فإن بعض العرب يبدلها جيما . وزغم الفراء أنها لغة طيىء . إبدال أبي الطيب ٢٥٨/١ (غ) .

وقال الفراء أيضا : وهم يقلبون الياء الخفيفة أيضا إلى الجيم . وذلك في بني دبير من بني أسد خاصة . الإبدال لأبي الطيب ١/ ٢٦٠ (غ) .

٤ - يقال سكران مُلْتَخٌ وملْتَكٌ . حكاها الفراء عن امرأة من بني أسد . الإبدال لأبي الطيب ٣٤٣/١ (غ) .

٥ - أهل الحجاز أكثر شيء قولا : الفيعال من ذوات الثلاثة فيقولون للصّوّاغ : الصيّاغ[٢]معاني القرآن للفراء ١/ ١٩٠ (ق) .

٦ - ومَرْضُوّاً[٣] لغة أهل الحجاز . معاني القرآن للفراء : ٢/ ١٧٠(ق).

٧ - وقيس تقول : طين لاتب . معاني القرآن للفراء ٢/ ٣٨٤ في قوله تعالى «طين لازب » الصافات آية ١١ (ق)

خامسا : الوقف

١ - حكي عن بعض العرب أنهم يسكنون حركة الهاء[٤] إذا كانت بعد

---

(١) وبعضهم يغلّط العرب في مثل هذا ، ويرى الفراء أنه من همز التوهم وهو همزهم ما لاهمز فيه إذا ضارع المهموز : المزهر ٢/ ٢٥٢،٤٩٦

(٢) في الحديث عن قول الله (القيوم : آل عمران آية :٢) وقراها عمربن الخطاب وابن مسعود (القيّام) .

(٣) بمناسبة قوله تعالى «مرضيا» سورة مريم الآية : ٥٥

(٤) ولقد سمعها الكسائي من أعراب عقيل وكلاب : يقولون : « لربه لكنود » بالجزم وغير أعراب عقيل وكلاب يوجد في كلامهم اختلاس ولاسكون . البحر المحيط ٢/ ٤٩٩ . وقال أبو اسحق عن الإسكان إنه غلط بين .وقال أبو حاتم إنه غلط : الاتحاف: وانظر البحر المحيط ٣/ ٧١ ، واللسان ٢/ ٣٦٧ . كما رآه بعضهم ضرورة .

الخزانة ٢/ ٤٠١ كما نقل ابن جني في المحتسب والخصائص ، وابن السراج في الأصول أن الظاهرة لغة لأزد السراة . الخزانة ٢/ ٤٠١ والمحتسب ١/ ٤٠٢ وانظر شاهدا من الشعر على هذه اللغة في الجمهرة ١١٨/٣

متحرك . البحر المحيط ٤٩٩/٢ (ق) .

٢ - جمع التصحيح والمحمول عليه كالهندات والبنات والأخوات . الأفصح الوقف عليه بالتاء . ويجوز الوقوف عليها بالهاء (غ) .

وحكاه الفراء لغة لقوم من طيىء . يقولون فى مسلمات = مسلماه . عبث الوليد ٦٧ ، وفى الهمع ٢٠٩/٢ حيث أضاف قطربا إلى الفراء فى حكاية اللهجة عن العرب .

٣ - والعرب تقف على كل هاء مؤنث بالهاء الإطيئا فإنهم يقفون عليها بالتاء مثل : هذه أمتْ[1] وجاريتْ . لسان العرب ٣٧٠/٢٠ ، شرح السيرافى ٦١/١ (غ) .

٢ - المستوى الصرفى

أولا : التصحيح والإعلال .

المشهور فى لسان العرب تسكين العين إذا كانت غير صحيحة فى مثل : بيضات ، عورات . وقال الفراء : العرب على تخفيف ذلك إلا هذيلا فَتُثَقِّل ماكان من ذوات الواو والياء [2] . البحر المحيط ٤٤٩/٦ ، اللسان ٣٠٣/٦ شرح المفصل ٣١/٥ (ق) .

ثانيا : الممدود والمقصور .

عندما ذكر ابن هشام أن (هؤلاء بالمدّلغة الحجازيين) شذور الذهب : ١٤٧/١

وبها جاء القرآن . وبالقصر لغة تميم - علق صاحب الحاشية بقوله : فى لغة تميم وقيل وأسد وربيعة ، ذكر ذلك الفراء فى كتابه (لغات القرآن) ولم يخصه بتميم . (حاشية عبادة على الشذور ١٤٨/١ ، كما ساق صاحب التصريح ١٢٨/١ هذا النص السابق وعزاه إلى الفراء فى كتابه (لغات القرآن) (ق) .

ثالثا : الأفعال .

١ - (المهموز) أبو زيد والفراء ، رويا : اسل زيدا ، لغة عبد القيس حكاها أبو زيد والفراء يريدون : اسأل فنقلوا حركة الهمزة إلى السين وأسقطوا الهمزة [3] . ليس فى كلام العرب ص١٢ (ق) .

٢ - (تداخل) لغة الحجاز : دام يدوم . وتميم : دمت يدوم (بكسر الدال) فى الماضى . فيجتمعون فى المضارع (ق) .

---

(١) وفى المصباح ٩٩٧/٢ عزاها لحمير .

(٢) قال أبو حيان فى البحر المحيط ٥١٥/٧ : ولم يقرأ أحد ممن علمناه بلغتهم، والصحيح أن الأعمش قرأ « ثلُث عورات لكم » سورة النور آية : ٥٨ وقد عزاها ابن خالويه إلى تميم . مختصر الشواذ لابن خالويه ص١٠٣

(٣) وبلهجة عبد القيس قرأت فرقة من القراء . البحر المحيط ١٢٦/٣ .

وقرأ أبو عبد الرحمن السلمى ويحيى بن وثاب والأعمش : دمت بكسر الدال وهى لغة تميم فى (مادمت عليه قائما)[1] س ٣ آية ٧٥ . مختصر شواذ القرآن: ابن خالويه :٢١

٣ - (باب نصر وضرب من الصحيح) فى قوله تعالى : « وإذا قيل انشزوا فانشزوا» سورة المجادلة آية : ١١ قال الفراء . قرأها الناس بكسر الشين ، وأهل الحجاز يرفعونها . قال وهما لغتان . لسان العرب ٧/ ٢٨٥ (ق) .

٤ - (الأجوف) ضمّت العامة الصاد فى قول الله (فصرهن إليك س٢ آية: ٢٦) وكان أصحاب عبد الله يكسرونها [2] ، وهما لغتان . فأما الضم فكثير ، وأما الكسر ففى هذيل وسليم قال : وأنشد الكسائى :

(وفرع يصير الجيد وَحْف كأنه) اللسان ٦/ ١٤٨ ومعانى القرآن للفراء ١/ ١٧٤ (ق) .

٥ - (لغتان فى الصحيح من غير باب نصر وضرب) : عجزت عن الشىء بفتح الجيم (ماتلحن فيه العامة للكسائى ص ٢٤) هامش والكسر لغة حكاها الفراء قال ابن القطاع (إنه لغة لبعض قيس) : ما تلحن فيه العامة ٢٤ هامش(غ) .

٦ - (المبنى للمجهول) فى نحو قيل وبيع ثلاث لغات :

١ - إخلاص الكسر وهو لغة قريش ومن جاورهم من بنى كنانة . البحر المحيط ١/ ٦٠

٢ - وإخلاص الضم وهو لغة هذيل ، وبنى دبير وبنى فقعس[3]

(أسرار اللغة : تيمور ص ١١١ والروض الأنف ٢/ ٦٦ ، الأشمونى ٢/ ٦٢ .) وقد حكى الفراء إخلاص الضم إلى بنى أسد ، وأورد شاهدا (وقُول لاأهل له ولامال)[4] اللسان ١٤/ ٩٣ (ق) .

رابعا : المشتقات

١ - إذا جاءك فعل مما لم يسمع مصدره فاجعله فَعْلا للحجاز وفعولا لنجد[5] شرح الشافية ١/ ١٥٢ (غ) .

٢ - فى قوله تعالى « من ماء دافق» مدفوق . قال : وأهل الحجاز

---

(١) وقال أبو إسحق : دمت تدام مثل : نمت تنام وهى لغة . البحر المحيط ٢/ ٥٠٠

(٢) والمعنى : قطعهن : من صَرِيتُ أصْرِى أى قطعت فقدمت ياؤها . الأضداد لابن الأنبارى ص ٢٩ .

(٣) من فصحاء بنى أسد .

(٤) ولغة قيس وعقيل ومن جاورهم . الإشمام فى ذلك . اتحاف ١٢٩ كما حكى إخلاص الضم عن ضبة . التصريح ١/ ٢٩٤ - ٢٩٥ ، وقد قرىء بهذه اللغات فى « قيل ، سىء ، غيض ، حيل » البحر المحيط ٧/ ١٥١

(٥) قياس أهل نجد أن يقولوا فى مصدر مالم يسمع مصدره من فعل المفتوح العين : فعول ، متعديا كان أو لازما . وقياس الحجاز بين فيه : فَعل ، متعديا كان أولا .

أفعل لهذا من غيرهم أن يفعلوا المفعول فاعلا إذا كان في مذهب نعت كقول العرب : هذا سرّ كاتم ، وهمّ ناصب . ثم قال : وأعان على ذلك أنها وافقت (رؤس الآيات التى هى معهن . اللسان ١١/ ٣٨٧ (ق) .

٣ - يقولون : هو مسكِن ، قال عنها الفراء : هى لغة يمانية فصيحة[١] البحر المحيط ٧/ ٢٦٩ (ق) .

٤ - أهل الحجاز يقولون : مرفقا بفتح الميم وكسر الفاء فيما ارتفقت به ويكسرون مرفق الإنسان (البحر ٦/ ١٠٧)[٢] . (ق)

٥ - ذكر لى أن بعض العرب يسمون مأوىَ الإبلِ مأوى بكسر الواو - قال : وهو نادر لم يجيء فى ذوات الواو والياء مفعل بكسر العين الإحرفين مأتِى العين ومأوى الابل وهما نادران واللغة العالية فيها مأوى . اللسان ١٨/٥٤ ، شرح الشافية ١/ ١٨٢(غ) .

٣ - الظواهر العامة فى لهجات القبائل

أولا : فعل وأفعل :

١- العرب تقول .. أعصفت الريح ، وعصفتْ ، وبالألف لغة لبنى أسد ، وأنشدنى بعض دبير[٣](حتى إذا أعصفتْ ريح مزعزعة) معانى الفراء : ١/ ٤٦٠ (ق) .

٢ - أهل الحجاز يقولون : «ماأنتم عليه بفاتنين»[٤] وأهل نجد : «بمفتنين» اللسان ١٧/ ١٥٦ معانى الفراء ٢/ ٣٩٤ (ق) .

٣ - ينع الثمر وأينع : أحمر . وفى البحر ٤/ ١٨٤ بفتح الياء فى لغة الحجاز وبضمها لغة لبعض نجد ،وقرىء بها فى الأنعام آية ٩٩ « وينعه » مختصر شواذ القرآن ابن خالويه ٣٩ (ق) .

ثانيا : التذكير والتأنيث :

١ - الهُدىَ مذكر ، إلا أن بنى أسد يؤنثونه[٥] المذكر والمؤنث للفراء ص ٢١ (ق) .

٢ - الأصابع إناث كلهن إلا الإبهام فإن بنى أسد أو بعضهم يقولون : هذا

---

(١) واهمل أبو زيد عزوها . المخصص ١٤/ ٢٠٤ ، اللسان ١٧/ ٧٤

(٢) لعل هذا فى قوله تعالى (ويهيء لكم من أمركم مرفقا) الكهف آية ١٦

(٣) ودبير : بطن من بطون أسد بن خزيمة من العدنانية معجم كحالة ١/ ٣٧٤

(٤) الصافات آية ١٦٢

(٥) فى التذكير والتأنيث للسجستانى ص١٠ خط تيمور رقم ٢٦٤ والمخصص ١٧/ ١٧ (بعض أسد)

إبهام . المذكر والمؤنث للفراء : ١٥ - ١٦ والبحر ١/ ٨٤ [١] (ق) .

٣ - الذراع أنثى . وقد ذكّر الذراع بعض عكل . المذكر والمؤنث للفراء ١٥ ، عبث الوليد ١٣٤ (غ) .

٤ - والقِدْر :أنثى ويذكرها بعض قيس . المذكَر والمؤنث للفراء ١٨ (غ).

٥ - الرياح كلها إناث . وشاهد من بنى أسد على التذكير . ويقول الفراء : أنشدنيه عدة من بنى أسد . المذكر والمؤنث للفراء ٢٧ (غ) .

٦ - (رأيت بعض بنى تميم وسقط ابن له فى البيبر - والله ما أخطأ الرَّكِىّ - فوحده بطرح الهاء فإذا فعلوا ذلك ذهبوا به إلى التذكير كأنه اسم للجمع[٢] ، وهو موحّد . المذكر والمؤنث للفراء : ٣٠ ، والمخصص : ١٧/ ١٠ (غ) .

٧ - ذكرت كتب اللغة أنه يقال للرجل (زوج) ولامرأته أيضا (زوج) وذلك فى لغة الحجاز ، ولغة تميم وكثير من قيس وأهل نجد يقولون (هى زوجته) البحر ١/١٠٩ . المخصص ٢٤/١٧ . وأبى الأصمعى لهجة تميم وقال (زوج لاغير) لسان ١١٧/٣ .

ويقول ابن منظور وكانت من الأصمعى فى هذا شدة وعسر . اللسان : ١٠٧/٣ .

أما الفراء فقد وصف لهجة نجد فى الظاهرة السابقة (زوجة) بأنها (أكثر) ولهجة الحجاز بأنها (أفصح) المذكر والمؤنث للفراء : ٢٦ . وفى كل ذلك يستشهد الفراء ويحتج بالقرآن والشعر . (ق) .

ثالثا : القلب :

١ - تميم تقول :صاقعة فى صاعقة وأنشد لابن أحمر :

ألم تر أن المجرمين أصابهم .
صواقع لابل هُنَّ فوق الصواقع[٣] (ق) .

٢ - لغة أهل الحجاز عميق ، وبنو تميم يقولون : معيق[٤] اللسان ١٢/ ١٤٣ البحر ٦/ ٣٤٧ (ق) .

٣ - من العرب من يتم (حاش) وفى لغة الحجاز (حاش لك) وبعض العرب حشى زيد - كأنه أراد : حشى لزيد ، وهى فى أهل الحجاز . البحر ٥/ ٣٠ (ق) .

(١) يتصل بـ (يجعلون أصابعهم) البقرة .
(٢) والفراء يشير إلى أن من أسباب اجتماع التذكير والتأنيث فى الكلمة : الجمع والإفراد : مثل ركيّة وركىّ.
(٣) وفى القرآن : من الصواعق : البقرة ، وقرأ الحسن : الصواقع ، وهى لغة تميم وبعض ربيعة . الإتحاف ١٣٠ هامش. . .
(٤) فى قوله تعالى « من كل فج عميق » الحج . ويقال : معيق .

٤-سمعت بعض قضاعة يقول : اجتحى ماله، واللغة الفاشية اجتاح ماله. وشاهد لها. معاني الفراء٢/ ١٢٤(غ).

رابعا : التشديد والتخفيف.

روى الفراء وأبو عبيد : يقال : اجلس ههنا أى قريبا - قال : وهَهِنّا أيضا تقوله : قيس وتميم. اللسان ٢٠/ ٣٧٤ (غ).

خامسا: مطل الحركات والحروف وانتقاصها فى لهجات القبائل.

١ - أجاز الكوفيون حذف الياء المفتوح ماقبلها مثل اخشين ياهند فتقول على لهجتهم : اخشن ياهند بحذف الياء. وحكى الفراء أنها لغة لطيئ. الأشمونى ٣/ ٢٢٣، الهمع ٢/ ٧٩، الخزانة ٤/ ٥٨٠ (غ).

٢ - وقد تسقط العرب الواو وهى واو جماعة، اكتفى بالضمة قبلها فقالوا فى : ضربوا قد ضربُ. وهى فى هوازن وعليا قيس[1] معانى الفراء ١/ ٩١ (غ).

٣ - ويقال للمنْخُر : مُنْخور[2] وهم طيىء. معانى القرآن للفراء ٢/ ٥٢ (غ).

٤ - المستوى النحوى

أولا : الإعراب والبناء.

١ - وحكى الفراء عن كثير من أهل نجد أنهم يجرون الخبر بعد (ما) بالباء وإذا أسقطوا الباء رفعوا. الخزانة ٢/ ١٣٣(ق).

وفى ابن عقيل ١/ ٢٦٦ أن سيبويه والفراء (رحمهما الله تعالى نقلا زيادة الباء بعد (ما) عن بنى تميم - فلا التفات إلى من منع ذلك.

٢- عزا الفراء فتح لام كى إلى تميم[3]، معانى القرآن للفراء ١/ ٢٨٥ (غ).

٣ - حكى الفراء أن فتح لام الأمر لغة معزوة إلى قبيلة سليم. وقد نقل ذلك ابن مالك. البحر المحيط ٢/ ٤١، والنهر الماد ٢/ ٤١ (غ).

٤ - بعض العرب يجرى (كلا وكلتا) مع الظاهر مجراهما مع المضمر فى الإعراب بالحرفين وحكى (رأيت كلى أخويك) وعزاهما الفراء إلى كنانة. ارتشاف الضرب ١/ ٦٤ مصور بالدار رقم ٦١٥٦، الهمع ١/ ٤١ (غ).

٥ - عزا الفراء فتح نون المثنى مع الياء

---

(١) وأورد شواهد ثلاثة على هذه اللهجة.

(٢) ولعل السبب فى وجود صيغة (مُنخور) اختلاف موقع النّبر.

(٣)وزعم يونس أن ناسا من العرب يفتحون اللام التى فى مكان (كى) وزعم خلف الأحمر أنها لغة لبنى العنبر. خزانة ٤/ ٣٧٦. وفى حاشية الأمير ١٨٥ : أن عكلا وبلعنبر يفتحون لام الجر بشرط أن تدخل على فعل منصوب بأن مضمرة

لغة لبنى أسد[1]. ارتشاف الضرب ١/ ٦٤(غ)

٦ - بعض العرب يجرى (بنين وباب سنين) وإن لم يكن علما مجرى غسلين فى لزوم الياء والحركات على النون منونة غالبا على لغة بنى عامر ، وغير منونة على لغة بنى تميم حكاه عنهم الفراء[2] . التصريح ١/ ٧٧ ، الهمع ١/ ٤٧ (غ) .

٧ - الجر بـ (لعل) لغة عقيلية حكاها أبو زيد والأخفش والفراء[3] . الهمع ٢/ ٣٢ لسان ١٣/ ٥٠٢ (غ) .

٨ - كما روى عن الفراء على المستوى النحوى مايتصل بالاستثناء عند القبائل . معانى القرآن للفراء ١/ ٤٨٠.

٩ - بعض بنى أسد وقضاعة[4] ينصبون (غيرا) إذا كانت فى معنى (إلاّ) تم الكلام قبلها أو لم يتم .

يقولون :

ماجاءنى غيرَك ، وماأتانى أحد غيرَك (غ) .

التصريح ١/ ٣٦١ . اللسان ٦/ ٣٤٤ معانى القرآن للفراء ١/ ٣٨٢

١٠ - فى نقل عن الفراء نصب الجزئين بـ (ليت) وهى لغة تميم . الخزانة : ٤/ ٢٩١(غ)

١١ - وكنانة يقولون :(اللذون)[5] معانى القرآن للفراء ٢/ ٧٨ (غ) .

١٢ - وقال الفراء فى (لغات القرآن) وربما قالوا : هذان ذوا تعرف . وهؤلاء ذوو تعرف (التصريح ١/ ١٣٨) (ق) .

١٣ - وقال الفراء فى (لغات القرآن) سمعنا أعرابيا من طيئ يسأل فى المسجد الجامع ويقول (بالفضل ذو فضلكم الله بهْ ، والكرامةِ ذاتُ أكرمكم الله بَهْ) التصريح ١/ ١٣٨ .

فبنى (ذات) - على الضم ونقل حركة الهاء الأخيرة إلى ما قبلها وحذف الألف فسكنت الهاء (٦) (ق) .

---

(١) وقال الكسائى هى لغة لبنى زياد بن فقعس . التصريح ١/ ٧٨.

(٢) وإعراب هذا النوع : إعراب الجمع لغة الحجاز وعلياء قيس . الهمع ١/ ٤٧

(٣) وسمع أبو زيد من عقيل (لعل زيد قائم) .

(٤) وقد أضاف الجوهرى إلى هاتين القبيلتين بنى شَهْل . المصباح ٢/ ٧٠٤

(٥) عزيت هذه الصيغة لبنى عقيل . النوادر لأبى زيد ٨٩٠ وعزاها الأشمونى ١/ ١٤٩ لهذيل أو عقيل . ثم يقول : وأو : للشك (التصريح ١/ ١٣٣) وابن عقيل : ١/ ١٢٥ يعزوها لهذيل فقط ، وابن الشجرى فى الأمالى ٢/ ٣٠٨ يعزوها كذلك لهذيل ، وذكر ابن مالك أنها لغة طيئ : الارتشاف ١/ ١٣٦

(٦) أثيرت أمثلة لهذه الظاهرة فى كتب علوم القرآن (البحر ٢/ ٣٣٨) وكتب الأدب والأمثال (الأمثال للميدانى ١/ ٦٨) وكتب اللغة (نوادر أبى زيد ٦١ ، الكامل ٢/ ١٣٨ ، آمال الشجرى ٢/ ٣٠٦ ، المزهر ١/ ٥٣٦ ، ٢/ ٤٣٨) ومؤلفات الشعر (شرح الحماسة ٢/ ٥٩١) والمعاجم العربية (المخصص ١٤ / ١٠٢ اللسان : ٢٠/ ٣٤٨) ومصادر النحو العربى (شرح السيرافى على سيبويه ٤/ ٤٣ . الإنصاف ١/ ٢٣٥ . ابن يعيش : ٣/ ١٤٨ . الشذور ١/ ٦٥ التصريح ١/ ١٣٨) كما أثير لها أمثلة فى كتب التاريخ القديمة (الإكليل ٨/ ٢٣٨ للهمدانى) ونلخص الاتجاهات التى فى هذه المصادر : ذو = استعملت بمعنى الذى عند طيىء وعند غيرهم تكون بمعنى صاحب ، ويظهر أن ذو - الطائية كانت مضطربة عند قبائل طيىء ، فبعض طيىء وهم أكثرهم تكون عندهم بلفظ واحد للمذكر والمؤنث مفردا ومثنىً وجمعا ، كما أنها تكون للعاقل وغيره .والفريق الآخر من طيىء كان يعربها بالواو رفعا وبالألف نصبا وبالياء جرا - ومعنى هذا أنها كانت مثل (ذى) بمعنى صاحب كما أن بعض طيىء قد اتجه ناحية مخالفة للماضى فهو يثنيها ويجمعها . كما وجدنا بعض طيىء يجعل مكان الذى - ذو - ومكان التى - ذات ويرفعون التاء على كل حال . .وإذا كان المعروف فى طيىء أنها لاتثنى ولاتجمع كلمة (ذات) وأنها تبقى مبنية على الضم ، فقد حكى عن بعضهم تثنيتها وجمعها وقال أبو حيان (حكى لى شيخنا الأمام بهاء الدين الحلبى أن بعضهم حكى إعرابها إعراب ذوات- بمعنى صواحب ثم عقب على ذلك بقوله : وهو نقل غريب (الارتشاف ١/ ١٣٧ مصور) وقد ورد صدى لبعض هذه الظواهر فى كل اللغات العربية الجنوبية ، وكذلك فى اللهجات العربية القديمة كالثمودية والصفوية واللحيانية

٥ – التراكيب الأثرية فى لهجات القبائل

قال الفراء وسمعت بعض بنى سليم يقول فى كلامه : كما أَنْتَنِي ومكانَكَنِي – يريد : انتظرنى فى مكانك[١] . معانى القرآن للفراء ٣٢٣/١ (غ) .

٦ – المستوى الدلالى

١ – سمعت أعرابيا يقول:بع لى تمرا بدرهم – يريد:اشتر لى تمرا . وقيل لجرير من أشعر الناس ؟

قال الذى يقول :

ويأتيك بالأخبار[٢]من لم تبع له . بتاتا ولم تضرب له وقت موعد

أراد من لم تشتر له،والبتات : الزاد (الأضداد لابن الأنبارى ٦١) وفى معانى الفراء ٥٦/١ أن هذه اللغة فى تميم وربيعة . وكان الفراء يفسر قوله تعالى « بئسما اشتروا به أنفسهم» البقرة آية ٩٠[٣] (ق) .

٢ – يعزو إلى بنى أسد كقوله: الحاتب فى لغة بنى أسد[٤] القاتل (الأضداد لابن الأنبارى ١٤٦).

ولعله كان يتحدث فى تفسير قول الله « إنه كان حوبا كبيرا» النساء آية ٢. وفى مكان آخر يقول ورأيت بنى أسد يقولون .... معانى القرآن للفراء ٢٣٥/١ (ق)

٣ – قال الفراء والكسائى فى (هيت) [٥]هى لغة وقعت لأهل الحجاز فتكلموا بها . النشر ٢٩٥/٢ (ق) . قال الفراء ، ويقال إنها لغة لأهل حوران * ، سقطت إلى أهل مكة فتكلموا بها . لسان (هيت) .

٤– الهون فى لغة قريش : الهوان، وبعض بنى تميم يجعل الهون مصدرا للشىء الهين . معانى الفراء[٦]١٠٦/٢

..(١) والمعروف فى العربية أن العرب تأمر بالظروف وحروف الجر ، مثل : عليك ، ودونك ، وإليك ، يقولون : إليك إليك،يريدون : تأخر .

(٢) فى معانى القرآن للفراء ٥٦/١ أنشده بعض ربيعة .

(٣) وقال قطرب : شريت بمعنى بعت،لغة لغاضرة . الأضداد لابن الأنبارى ٦١

(٤) وفى اللسان ٣٢٩/١ : الحوب لأهل الحجاز ، والحوب لتميم ومعناهما : الإثم .

(٥) وقال أبو زيد الأنصارى هى بالعبرانية. وأصله (هَيْتالَجْ) اى تعال . الإتقان ١٤١/١ لسان (هيت) . وعن ابن عباس بالقبطية . وقال الحسن : بالسريانية وقال عكرمة هى بالحورانية . الإتقان ١٤١/١ وفى المتوكلى للسيوطى ١١ بالنبطية ، ومعناها : هلم لك . وقرىء (هِئْتُ لك) ومعناها : تهيأت لك وانظر تعليق أباعمرو على هذه القراءة : مجاز القرآن لابى عبيدة ٣٠٥/١ .وقرا على رضى الله عنه : ها أنالك . شواذ القرآن لابن خالويه ص ٦٣ .وقرئ هُيِّئْتُ لك – فعل صريح مبنى للمفعول : البحر ٢٩٤/٥

(٦) بمناسبة قوله تعالى «أيمسكه على هون» النحل آية ٥٩

*.يراد بالحورانية أو النبطية – اللغة الآرامية عند اللغويين المسلمين كما أشار إلى ذلك نولدكه فى ZDMG ١٢٢/٢٥

٧ - المنهج الذى سار عليه الفراء من خلال الروايات والنقول والنصوص الخارجية الّتى نقلت عنه

١ - يلاحظ أن الفراء كان يعزو كثيرا إلى قبائل أسد وبطونها ، فقد قمت بإحصائية عن اللهجات فى معانى القرآن له ، وشملت الكتاب كله وكانت حصياتها كما يلى :

أزد عمان ١	بكر ١	مكة ١
كلب ١	أسد ١٤	تميم ١٣
ربيعة ٢	هوازن ١	بعض قيس ٦
قريش ٢	هذيل ٣	سليم ٥
الحجاز ٢١	عكل ٣	عقيل ٢
العالية ٢	قضاعة ٤	عمان ١
طيىء ٣	فزارة ١	كلاب ١
عامر ٢	حوران ١	نجد ٥
النَّخَع ١	كندة ١	بنو إنسان ١
الأنصار ١	الحارث بن كعب ١	كنانة ٢
حضرموت ٢	اليمن ٣	تهامة ١
نمير ٣	عليا قيس ٢	

وتشير الإحصائية إلى أن قبيلة أسد لم يتقدم عليها فى الكثرة إلا لهجة الحجاز وحدها ، مما يحسم الخلاف بين المؤرخين حين اختلفوا فى نسب الفراء هل هو مولى لبنى أسد أم مولى بنى منقر ؟ فهو إذن أسدىّ وقد رجح هذا الدكتور / أحمد مكى الأنصارى فى كتابه (أبو زكريا الفراء) ص ٤٢ ، ولا غرو إذا فتن بقبيلته ولغتها (وإنما يدافع عن أحسابهم أنا أو مثلى) .

٢ - والحديث عن معانى القرآن للفراء ، يدعونا إلى الحديث عن كتاب آخر صنوه وهو كتاب (المجاز) لأبى عبيدة ، وحسبنا أن نذكر إحصائية للهجات القبائل فى كتاب (المجاز) حتى نقف على مدى اهتمام الفراء بتسجيل لهجات القبائل وروايتها عن العرب . وكان ميدان هذا الإحصائية كما سبق فى معانى القرآن للفراء وهى :-

تميم	أكلونى البراغيث	نجد
١	١	١

الحجاز	العالية	كنانة	بعض المكيين
١	١	١	١

وهذا الخلاف بين الرجلين فى رواية اللهجات يوضح إلى حد كبير الخلاف بين المدرستين البصرية وهى التي ينتمى إليها أبو عبيدة ، والكوفية وهى التى ينتمى إليها الفراء . كما أننى أرجح أن كتابى الفراء كانا أعظم قدرا ، وأوفى نصيبا من كتابى الأصمعى فى (اللغات) و(لغات القرآن) ولعل السبب فى ذلك يرجع إلى الاختلاف بين المدرستين التى ينتمى إليها كل منهما . فالأصمعى البصرى كما يروى أبو حاتم لم يقل (ديّار ولا ديّور ، لأن ديّارا فى القرآن : الجمهرة ٣/ ٤٨٣) ويقول ابن دريد (ورغا اللبن وأرغى وسرى وأسرى ، ولم يتكلم فيه الأصمعى ؛ لأنه من القرآن) . الجمهرة ٣/ ٤٣٤ . وسحته وأسحته . . . ولم يتكلم فيه الأصمعى الجمهرة ٣/ ٤٣٦) لأن فى القرآن (فيسحتكم) ولعله كان يخاف أن يزلّ فى القرآن . كما كان الأصمعى ينكر لهجات عربية مثل : تميم (المصباح ٢/ ١٠٣٨) ونجد (اللسان ١٧/ ١٩٤) كما أنه لم يتكلم فى «عصفت الريح» و «أعصفت» ، لأن فى القرآن (ريح عاصف) ، الجمهرة ٣/ ٤٣٥ . لكن الفراء المتحرر عزاها إلى بنى دبير ، وهم بطن من أسد ، وأورد شاهدا لها . معانى القرآن للفراء : ١/ ٤٦٠ . كما كان الفراء يحتج للهجات العربية بالقراءات القرآنية توجيها وتنظيرا (انظر نصوص الكتابين) .

٣ - إن كتابى الفراء كانا معينين استقيا منهما اللغويون والمفسرون (البحر ٣/ ٢٤٧ ، ٣/ ١٩٣)، اللسان ٧/ ٢٨٥)، (التصريح ١/ ٧٧) ، (الهمع ١/ ٤٧) .

٤ - بعض الظواهر الصوتية كان سيبويه يراها ضرورة ويراها الفراء لغة عن العرب (عبث الوليد ٢٢٥) وكثيرا ماكانت اللهجة تشتجر مع الغلط أيضا ، ولكن الفراء يحكيها لهجة عربية: المزهر - ٢/ ٢٥٢ ، ٤٩٦ البحر ٢/ ٤٩٩ . وهذا يوضح اعتداده للهجات القبائل وتقديره لكل ماسمع من العرب .

٥ - أنه كـان يؤكد لهجات القبائل بالسماع والسند وتسلسله ليحيطها بسياج من التوثيق ، حماية لها من الوضع والتدليس - وهذا يؤكد تأثره بمنهج المحدِّثين وبالنزعة السلفية (انظر معانى القرآن للفراء ١ / ٤١ ، ٥٦ ، ٩١ ، ٢١٢ ، ٢١٦ ، ٢٥٣ ، ٣٢٣ ، ٤٥٩)٢/ ٣٢ ، ١٥٠ ، ٦٤ ، ٢٤٩ كما كـان يوثق اللهجة بالرؤية وهى ملاحظة مباشرة . معانى القرآن للفراء ١/ ٢٥٣ .

٦ - كما كان دقيقا فى عزوه اللهجات فيستعمل (الكثرة) كقوله (وهى كثيرة فى أسد وتميم وعامر . معانى القرآن للفراء ٢/ ٩٢) (وكثير من أهل نجد : الخزانة . ٢/ ١٣٣) ويستعمل كلمة (بعض) : كقوله (سمعت بعض بنى عقيل) . معانى القرآن للفراء ١/ ٢١٦) أو كلمة (خاصة) كقوله (وذلك فى بنى دبير من بنى أسد خاصة) الإبدال لأبى الطيب ١/ ٢٦٠ .

٧ - ويسم لهجة الأنصار بأنها من (المرفوض)(معانى القرآنن للفراء ٢/ ١٥٣) أو يصف اللهجة بـ (العالية) اللسان ١٨/ ٥٤ . أو أنها (أفصح) أو (أكثر) المذكر والمؤنث للفراء ص٢٦ : ويصف لهجة تميمية بأنها لا تصلح فى الكتاب . أى فى القراءة (معانى القرآن للفراء : ٢/ ١٦٤) .

٨ - كثرة الاستعمال وأثرها فى حذف جزء من الكلمة فى لهجة بنى فزارة : معانى القرآن للفراء ٢ / ٩ .

٩ - كثرة الشواهد التى يحتج بها لتوثيق اللهجة . اللسان ٦/ ١٤٨ معانى القرآن للفراء ١/ ٤٦٠ ، ٩١ ، المذكر والمؤنث للفراء ص ٢٦٠ .

١٠ - ومن أولياته أنه سمع نصا لهجيا من قبيلة بنى إنسان[1] . معانى القرآن للفراء : ٢/ ١٠٧ .

١١ - كما كان الفراء أمينا ثقة لايتورع أن يقول (لاأعرف) فقد عقب على قراءة (صللنا) بالصاد فى (ضللنا) السجدة آية ١٠ بقوله : ولست أعرفها إلا أن تكون لغة لم نسمعها ! معانى القرآن للفراء ٢/ ٣٣١ .

١٢ - ويظهر أن لغات القرآن - للفراء لم تكن مقصورة على لهجات القبائل العربية وحدها بل شملت لغات أخرى غير العربية يؤكد هذا قوله فى سورة المؤمنين

(١) وهى اسم قبيلة عربية . نهاية الأرب للقلقشندى : ٨٨

آية ١١ (الفردوس) قال الكلبي : هو البستان : الفردوس[1] (معانى القرآن ٢/ ٢٣١) وتعليق الفراء يوضح لنا مذهبه فى المعرب .

١٣ - وكان الفراء فى حالات نادرة يشترك فى حكاية اللهجة مع غيره كقطرب (الهمع ٢/ ٢٠٩) وأبى زيد (ليس فى كلام العرب ١٢) وأبى عبيد (اللسان : ٢٠/ ٣٧٤) والأخفش (الهمع ٢/ ٣٣) والكسائى (النشر : ٢/ ٢٩٥) .

وبعد : فإن بعث كتب (لغات القبائل) و (لغات القرآن) المفقودة :

أولا : تسدُّ ثغرة فى تاريخ الجانب اللغوى والقرآنى ، لأنها تعتبر أمًّا فى توثيقها للهجات القبائل .

وثانيا : تحمل فى بطونها بذورا للعربية فى تاريخها الطويل ، فهى حقل غنى ومعلمة زاهرة فى الدراسات الصوتية والنحوية والدلالية .

وأخيرا : فإن استخلاص ماسبق من غضون حقل العربية الشتيت على قدر استطاعتى بعد أن بوّبته ونسّقته وعلقت عليه - يعتبر عملا خطيرا ؛ لأنه بعث إلى الحياة مرة أخرى - تراثا قد اختفى ، ونورا كاد يخبو .

احمد علم الدين الجندى

الخبير بالمجمع

«للبحث بقية»

(١) وفى المتوكلى : فيما ورد فى القرآن باللغة الحبشية والفارسية والهندية والتركية والزنجية والنبطية والقبطية والسريانية والعبرانية والرومية والبربرية (دمشق ١٣٤٨ هـ . للسيوطى) وردت : الفردوس مرتين الأولى ذهب إلى أنها رومية ص ٨، والثانية إلى أنها : الكرم بالنبطية ص ١١ ، وأصلها (فرداسا) .

التحقق من تحقيق « كتاب العين »

للأستاذ الدكتور شربل داغر

حظ تحقيق « كتاب العين » ،
به الباحثان العراقيان ، الدكتور
ہدى المخزومي والدكتور إبراهيم
، بما يستحقه من عناية المتابعين
النقاد والعلماء ، على الرغم من
الحدث الكبير فى تاريخ اللغة

تملك العربية اليوم معجمها

، وصلنا فعلاً كتاب الخليل
» فى نسخته الجديدة المطبوعة ؟

، تنهى عملية التحقيق هذه
لذى شارك فيه العلماء القدامى
، حول نسبة هذا الأثر الفريد ؟

الغ إذا قلنا : إن « كتاب العين »
ـالة سجالية فى تاريخ التأليف
والمعجمى العربى ، منذ الخبر
، تأليفه حتى أيامنا هذه ، وهو

سجال يعود إلى ظروف تأليفه من جهة ، وإلى أسبقيته الحاسمة والمتميزة فى التأليف المعجمى العربى من جهة ثانية . لن نستعيد تفاصيل هذا السجال أو حججه ، فالشواهد القديمة والتآليف الحديثة فى هذا الشأن عديدة [1] ، وسنكتفى بتبيين أسباب الخلاف وبواعثه ، وهى على ما تبينا ، تعود إلى ظروف تأليفه فى المقام الأول .

١ – « كتاب العين » – المشكلة :

قد يكون مفيداً ذكر الرواية التى ساقها ابن النديم فى « الفهرست » عن « كتاب العين » ، وهى التالية : « قرأت بخط أبى الفتح بن النحوى صاحب بنى الفرات ، وكان صدوقاً منقراً بحاثاً – قال أبو بكر بن دريد:وقع بالبصرة «كتاب العين» سنة ثمان وأربعين ومئتين قدم به وراق من خراسان، وكان فى ثمانية وأربعين جزءاً فباعه بخمسين ديناراً ، وكنا نسمع بهذا الكتاب

ـن العودة إلى كتاب « الدراسات اللغوية عند العرب إلى نهاية القرن الثالث » للأستاذ محمد حسين آل ياسين
ـاذ فكرة واسعة ومفيدة عن هذا السجال ، ص ، ٢٣٠ – ٢٤٥ .

أنه بخراسان فى خزائن الطاهرية حتى قدم بـه هذا الـوراق » [1] . يتـضح من هذه الرواية أن الكتاب لم يظهر فى البصرة إلا فى العام ٢٤٨ هـ . ، أى بعد مرور نحو سبعين سنة على وفاة الخليل، (فى ١٧٥ هـ) دون أن يعنى هذا أن أهل البصرة لم « يسمعوا به » سابقاً .

أثار هذا « الظهور » المتأخر الجدال حوله ، وحول نسبته للخليل . ذلك أن لهذا المعجم راوية واحدا ، هو الليث ، تلميذ الخليل ، فكيف حدث أن تلاميذ الخليل الآخرين ، مثل النضر بن شميل ومؤرج ونصر بن على وأبى الحسن والأخفش وأمثالهم ، لم ينقلوه عن الخليل أو لم يتحدثوا به ؟ إلا أن هذا الخلاف يتصل ، على قيمته التاريخية ، بمعرفة ما إذا كان الخليل هو واضع الكتاب برمته، أم أنه « رسم » خطته وحسب ، ووضعه الليث من بعده ، أم أن الخليل وضع رسم الكتاب و « حشا » قسماً من متنه ثم أكمله الليث ؟

هنالك إذن ، مشكلة نسبة الكتاب، ومشكلة أخرى لا تقل قيمة عنها ، وهى مشكلة النسخ والمخطوطات التى وصلتنا من « كتاب العين » . والتى أثارت مصاعب جمة عند المحققين الكثر الذين أقدموا تباعاً على تحقيق هذا الأثر الفريد . تناوب غير محقق على تحقيقه ، من دون أن يفلح منهم أحد غير المحققين العراقيين ، الدكتورين مهدى المخزومى وإبراهيم السامرائى ، فى إخراج الكتاب كاملاً ، ووصوله إلينا . وحكاية تحقيق هذا المؤلف لا تقل تشويقاً وصعوبة عن نسبة الكتاب نفسها .

ففى سنة ١٩١٤ أقدم الأب أنستاس مارى الكرملى على طبع فصلة من « كتاب العين » فى مطبعة « دار الأيتام » ببغداد ، ثم توقف الطبع بسبب قيام الحرب العالمية الأولى . ثم تصدى فى سنة ١٩٦٧ الدكتور عبد الله درويش للمهمة نفسها ، فأصدر الجزء الأول منه فى « مطبعة العانى » ببغداد ، ثم توقف عن إكمال الطبع بعد أن تنبه لبعض المآخذ الواردة فى تحقيقه . بعد ذلك سعى الشيخ محمد حسن آل ياسين إلى تحقيق الكتاب فنشر مقدمته فى سنة ١٩٧٧ ، فى العددين

(١) – ابن النديم : « الفهرست » ص ٦٤ .

التاسع والعاشر من مجلة « البلاغ » ، ثم توقف عن إكمال ذلك بعد تكليف وزارة الإعلام العراقية للدكتورين مهدى المخزومى وإبراهيم السامرائى بتحقيق الكتاب [1]

فما مشكلة الطبعة المحققة ؟

كابد غير محقق مشاكل تحقيق هذا المعجم بسبب تأخر المخطوطات الزمنى من جهة ، واشتمالها على أغلاط وزيادات عدد من النساخ ، من جهة ثانية . فمخطوطات الكتاب ، التى عمل عليها المحققان ، تعود فى أقدمها إلى سنة ١٠٥٤ هـ ، أى أنها مخطوطات متأخرة . كما لاحظ الدكتور الفرطوسى فى دراسته « محاولة جديدة فى دراسة كتاب العين » فى سنة ١٩٨٧ ، وجود مخطوطات أخرى من « كتاب العين » أشار إليها الباحثون فيما مضى ، مثل بروكلمان والدكتور صلاح الدين المنجد ، دون أن تصلنا على ما يبدو ، دون أن يشير إليها المحققان .

وكانت كلما صدرت محاولة لتحقيق هذا الكتاب يتناوب عليها الدارسون بالنقد مبينين أخطاءها وعثراتها ، حتى أن الدكتور درويش توقف عن تحقيقه للمعجم ، كما أسلفنا القول ، بسبب من هذه المصاعب . ماذا بإمكاننا أن نضيف على هذا النقاش حول المشكلتين ؟ هل نقوى على زيادة حجج (أى على دحض بعضها أو تصحيح بعضها الآخر) فى هذا السجال ، الذى أفاض فيه القدماء ولا يخلو منه أى كتاب عربى حديث عن النحو أو المعاجم ؟

يمكننا أن نثير السؤال ، بداية ، ذلك أن هذه الحجج - فيما عدا القليل منها - تقوم على الظن والتخمين ، ليس إلا : فهذا « يربأ » بالخليل أن يقول هذا القول ، وذاك يجد أن « التخليط » (على ما يعتقد وجوده فى المعجم) لا يمكن أن « يُنسب » للخليل ، إلى غير ذلك من « التجاذبات »

---

(١) - استقينا هذه المعلومات من دراسة الدكتور صلاح مهدى الفرطوسى « محاولة جديدة فى دراسة كتاب العين » المنشورة فى « مجلة المجمع العلمى العراقى » ، صص ٢٤٢ - ٢٦٩ .

ونجدها أيضاً فى كتاب آل ياسين المذكور أعلاه وكان الشيخ محمد حسين آل ياسين قد تنبه عند نشره لمقدمة «كتاب العين» لهذه المشكلة ، فشدد فى عنوان دراسته على أنه نشر المقدمة « فى أرجح نصوصها » ، مجلة « البلاغ » بغداد ، العددان التاسع والعاشر فى ١٩٧٧ .

التى أصابت ولا تزال تصيب « كتاب العين » . فما حقيقة الاختلافات هذه ؟

وجدنا ، بعد مراجعة الأجزاء الثمانية من « كتاب العين » المحقق ، والسجال النقدى الدائر حوله قديماً وحديثاً ، أن أصناف الاختلافات ثلاثة :

١ - تبين الروايات المختلفة التى تقع فى أساس ما وصلنا من « كتاب العين » .

٢ - تبين حال المادة اللغوية فى « كتاب العين » .

٣ - تبين نسبة الكتاب إلى الخليل ، أو الليث ، أو لهما ، أو مع غيرهما .

بدا لنا ضرورياً ، قبل الشروع بمراجعة الكتاب محققاً ، أن نعود إلى النسخ والروايات التى عوَّل عليها المحققان العراقيان ، ومقارنتها بما هو معلوم أو متوفر من نسخ وروايات أخرى .

٢ - مراجعة الروايات :

عاد المحققان العراقيان إلى مخطوطات متأخرة ، هى التالية :

- نسخة السيد حسن الصدر ، ويعود تاريخ كتابتها إلى سنة ١٠٥٤ هـ ، وجعلها المحققان « الأصل » ، « لأنها أقدم النسخ الثلاث وأقلهن خطأ أو تصحيفاً » .

- نسخة طهران وهى موجودة فى مكتبة مجلس النواب ، ويعود تاريخ نسخها إلى سنة ١٠٨٧ هـ .

- نسخة مكتبة المتحف فى بغداد ، ويعود نسخها إلى سنة ١٣٥٠ هـ .

النسخ « متأخرة » ، كما أسلفنا القول . كما أن نساخها لا يوردون مصادرها التى نقلوا عنها ، فيما عدا إشارة أوردها ناسخ النسخة الثالثة ، محمد بن الشيخ الطاهر المعروف بالسماوى فى النجف ، ويقول فيها: إنه نقل عن «نسخة كثيرة التحريف والتصحيف قاسيت فيها عرق القربة » ، دون أن يعين تاريخها إلا أننا نجد فى النص المحقق ما يفيد عن رواية المخطوط : « قال أبو معاذ عبد الله ابن عائذ : حدَّثنى الليث بن المظفر بن نصر بن سيار عن الخليل بجميع ما فى هذا الكتاب»[1] . إلا أن الباحث محمد حسين آل ياسين توقف وتبين خمس طرق أخرى وصلت بها رواية « العين » عن الليث ، وهى الطرق التالية :

(١) فى كتاب العين » ، ص ٤٨/١ .

١ - طريق شمر بن حمدويه (-٢٥٥هـ الذى رواه عن محارب، عن الليث) ،

٢ - طريق ابن دستوريه (- ٢٨٥ هـ الذى أخذه عن حفيد الليث،عن الليث) ،

٣ - طريق أحمد بن فارس (- ٣٩٥هـ ، الذى أخذه عن على بن إبراهيم القطان ، عن أبى العباس أحمد بن إبراهيم المعدانى ، عن أبيه إبراهيم بن إسحاق ، عن بندار بن لزة الأصفهانى ومعروف بن حسان ، عن الليث) .

٤ - طريق أبى على الغسانى (الذى أخذه عن الحافظ أبى عمرو بن عبد البر ، عن عبد الوارث بن سفيان ، عن القاضى منذر بن سعيد ، عن أبى العباس أحمد بن محمد بن ولاد النحوى ، عن أبيه ، عن أبى الحسن على بن مهدى ، عن أبى معاذ عبد الجبار بن يزيد ، عن الليث) .

٥ - طريق ابن خير الأشبيلى (- ٥٧٥ هـ ، الذى أخذه عن أبى الحسن يونس بن محمد بن مغيث ، عن القاضى أبى عمر أحمد بن محمد بن يحيى بن الحذاء عن أبى القاسم عبد الوارث بن سفيان بن جبرون ، عن القاضى منذر بن سعيد البلوطى ، عن أبى العباس أحمد بن محمد بن الوليد المعروف بولاد التميمى النحوى ، عن أبيه محمد بن الوليد ، عن أبى الحسن على ابن مهدى ، عن أبى معاذ عبد الجبار بن يزيد ، عن الليث) .

وصلتنا، إذن ، من هذه الروايات [١] الطريق الأولى ، طريق أبى معاذ عبد الله ابن عائذ التى عمل عليها المحققان العراقيان . ولكن ، ألا نجد ، والحالة هذه فى المظان مواد عائدة إلى الروايات الأخرى ؟

وردت فى عدد من المعاجم العربية القديمة نُقُولُ عِدَّةٌ عن « كتاب العين » ، كما فى « التهذيب » للأزهرى أو فى «لسان العرب» لابن منظور وفى غيرها ، وقام المحققان بمقارنة هذه النقول مع النسخ التى اعتمدوا عليها ، ما عزز الثقة بطبعتهما المحققة .

هذا ما قمنا به بدورنا ، مع معجم لم يتناوله المحققان بالمراجعة، وهو « مقاييس

(١) أفاض الباحث فى تبيين سند الرواية فى كتابه الموسوم بـ « الدراسات اللغوية عند العرب » ، ص ٢٣٠ - ٢٣٤ ، كما رسم « شجرة » تبين طرق هذه الرواية .

اللغــة » لابـن فـــارس (- ٣٩٥ هـ) . ووجـدنا أن هذه العـودة نافعـة ، لأن ابن فارس يصرح فى بداية معجمه بتعويله على نسـخة من « كـتـاب العين » وصلتـه عن طريقين آخرين ، من الطرق الستة المعزوفة لـ « العـين » ، وهما طريقـا بندار بن لزة ومـعـروف بن حســان : فـأعـلاها (أى المعـاجم الـعـربية) وأشـرفـها كـتـاب أبى عبد الرحـمن الخليـل بن أحمـد ، المسمى « كـتـاب الـعـين » أخـبـرنـا به على بن إبـراهـيم القطان ، فـيمـا قرأت علـيه ، أخـبـرنا أبو العـبـاس أحـمـد بن إبراهيم المعدانى ، عن أبيه إبراهيم بن إسحاق عن بندار بن لزة الأصـفهـانى ، ومعـروف بن حـسان عن الـليث ، عن الخليـل »[1] . أى أن مـقـارنة مـــادة « مـقايس اللغـة » المأخوذة من « كتـاب العين » بالمادة الواردة فى طبعة « العين » المحققة تمكننا من زيادة الوثوق بهذه الطبعـة ، وتخفف بالتالى من الهوة الزمنية الواقعة بين النسخ « المتأخرة » التى اعتـمد عليـها المحقـقان العراقـيان ، ونسـخة ابن فـارس التى تعود إلى القـرن الهـجرى الرابع على الأقل . فـما كـانت الخطة المعتمدة ؟

عدنا إلى المـداخل اللفظية فى مـعجم ابـن فـــارس ، مكتفين بمـراجعة نقـــول « العـين » الواردة فـى جـزء وحـسب من أجزائه الستة ، هو الجزء الأول ، وقارناها بما يقابلها فى المعجم الخليلى المحقق . فما كانت حصيلة المقارنة ؟

يمكننا القول ، فى صورة إجـمالية ، إن حصيلة المقـارنة أتت إيجـابية . فغالب ما ينقله ابن فـارس عن الخليل مـوجود فى « كـتاب العـين » فى طبعـته المحـققـة . ولتبيان ذلك سنقدم بعض الأمثلة :

- ينقل ابن فارس عن الخليل التعريف التالى : « الألل والألألان : وجها السكين ووجها كل عـريض » (ص ١٩) ، ونقرأ فى « العـين » التعـريف نفسـه : « الألَل واللألان : وجـها السكـين ، ووجهـا كل شىء عريض » (٨/٣٦٢) .

- نقـــرأ فـى المدخل اللـفظى « أمّ » الدلالات التالية المأخوذة من «كتاب العين» حسبـما يوردها معجم ابـن فارس : « قال الخليل : كل شىء يُضَمّ إليـه ما سـواه مما

(١) « معجم مقاييس اللغة » لابن فارس ، تحقيق : عبد السلام محمد بن هارون ستة مجلدات ، طبعة دار الجيل ، بيروت ، ١٩٩١ ، إلا أن تاريخ طبعته الأولى يعود إلى سنة ١٣٦٦ هـ .

يليه فإن العرب تسمى ذلك الشىء أُمّاً. ومن ذلك أُمُّ الرأس وهو الدماغ » (ص٢٢) ، وهو ما نقع عليه فى كتاب الخليل : « اعلم أن كل شىء يضمُّ إليه سائر ما يليه يُسمى ذلك الشىء أمًّا . فمن ذلك : أم الرأس وهو : الدماغ » (٤٢٦/٨) .

يمكننا أن نعدد الأمثلة ، وهى ترد فى ما يزيد على ٢٠٥ مدخلاً لفظياً فى الجزء الأول من « مقاييس اللغة » ، لكن ابن فارس لايورد فى بعض الأحيان المادة المنقولة حسبما نجدها فى طبعة « العين » المحققة ، إلا بعد أن يجرى عليها فى بعض الأحيان شيئاً من التعديل الصياغى ، كما نتبين ذلك فى هذه الأمثلة :

- يفيد ابن فارس فى المدخل اللفظى «أزّ» : « قال الخليل : الأزُّ حمل الإنسان الإنسانَ على الأمر برفق واحتيال » (ص١٣) ، وهو ما نقع عليه فى « العين » على هذه الصورة : « الأزُّ : أن تحمله على أمر برفق واحتيال حتى يفعله كأنه يزين له » (٧ / ٣٩٨) .

- يفيد ابن فارس أيضاً : « قال الخليل : الأزُّ غليان القدر » (ص١٣-١٤) وهو ما نجده فى « كتاب العين » فى القول التالى : « وأزَّت القدر أزيزاً ، واتزت اتزازاً » (٨ / ٣٩٨) .

يمكننا أن نعدد الأمثلة ، إذن ، إلا أنها لا تفيدنا الشىء الكثير ، سوى أن الاختلافات طفيفة للغاية مما لا يحسب له أى حساب فى طرق التأليف القديمة ، حيث كان النساخ لا يتأخرون أحياناً عن استعادة النقول فى صورة صياغية مخالفة بعض الشىء . إلى هذا ، فإن « مقاييس اللغة » لا يستعيد وحسب المتن التعريفى لعدد من الألفاظ ، بل الشواهد الشعرية المتصلة بها فى « كتاب العين » .

كما وجدنا فى الجزء الأول من « مقاييس اللغة » معطيات أخرى تؤكد التشابه (حتى لا نقول التطابق التام) بين روايته عن « كتاب العين » والرواية الأخرى المدرجة فى طبعة « كتاب العين ». يؤكد ابن فارس فى غير مدخل لفظى من المجلد الأول أن هذا اللفظ أو ذاك «مهمل » فى « كتاب العين » ، وهو ما نجده مهملاً فعلاً فى الطبعة المحققة :

- يفيد « مقاييس اللغة » ، على سبيل المثال ، فى المدخل اللفظى « أبث »:

« وهذا البـــاب مـــهـــمل عند الخـليل » (ص٣٣)، وهو مـا لا نجد له أثراً فى طبعة « كتاب العين » .

- يؤكـد ابن فـارس : « أمـا الخليل فذكـر فى بنائه (تور) مـا ليس من أصله، وهو استـــوأرت الوحش » (ص٣٥٧) ، وهو ما نجـده فعـلاً فى طبعة « العين » : « استوأر (. . .) الوحش» (٨/ ١٣٤).

- مثـال آخر : « وذكر الخلـيل كلمة غيرها أصح منها . قـال: التوع كسرُكَ لبأ أو سـمناً بـكسـرة خـبـز ترفـــعـه بهـا » (ص٣٥٩)، وهو مـا نجـده فـى « طبـعـة العـين»: « التوع : كـسـرُكَ لبّاً أو سـمناً بكسرة خبز ترفعه بها » (٢/ ٢٢٦) .

إلى هذا يقع ابن فارس على تعريفات يوردها على أنهـا للخليل ، كـمـا ترد فى مخطوطتـه عن « كتـاب العين » . ولكن يشكك فى صحة نسبتها للخليل ، كما فى قـوله هذا : « وفى الكتـاب المنسـوب إلى الخليل : يقـال تركتُ الحبلَ شـديداً ، أى جعلته شديداً . ومـا أحسب هذا من كلام الخلـيل » (ص ٣٤٦) ! بـلى ، هـو من كـلام الخليل ، حسـبـما يـرد فى الطبعـة المحققة : « تقـول : تركتُ الحبل شديداً، أى : جعلته » (ص٥ / ٣٣٦) .

إذا كـان العدد الأغلب من نقـول ابن فـارس عن نسـخة « العـين » التى كـانت بحـوزته ، نجده فى الطبـعة المحـققـة من معـجم الخليل ، فإننا نقع على عدد يســير منها لا نجـد له أثراً فى الطبعـة المحقـقة . وهو عـدد يسيـر فعـلاً إذ لايتجـاوز ستـة مداخل لفظية من أصل ٢٠٥ مـدخلاً (ما يوازى ٢,٨ بالمئة من مجموع النقول)

فابن فـارس ينسب إلى الخليل أقـوالاً لا نجـدها ، أى هى سـاقطة ، من الرواية التى تستنـد إليها الطبـعة المحقـقة ، وهى المداخل اللفظية التالية : « أك » (ص١٨)، و«أرط» (ص٨١) ، و« أرث » (ص٩٣) ، و « أنـــت » (ص١٤٣) ، و« بـــدح » (ص٢١٤- ٢١٥) ، و « جــــــــــح » (ص٤٠٥) . إلى هذه المداخل اللفظيـة ، نتبين أيضـاً سقـوط بعض الاشتقـاقـات أو الدلالات فى ثمانيـة مـداخــل لفظية ، هـى التـالية : « أبـر » و «أتن» ، و « أم » و « أبـو » ، و « أست » ، و « أيـى » ، و«أنف» و «بعو» :

- سقط من مادة « أمُّ » القول التالى: « قـــال الخليل : الأم الواحــد والجـــمع أمهات، وربما قـالوا أمٌّ وأمّات . » (٢١)؛

والقول التالى : « قال الخليل : أُمُّ التَّنائف أشدُّها وأبعدها » (ص ٢٣) .

– سقط من مادة « أبر» فى « كتاب العين » القول التالى الوارد فى « مقاييس اللغة » فى ما أخذه من الخليل حسب قوله: « قال الخليل: المآبر النمائم ، واحدها مِئبر . { قال النابغة ، ديوانه ، ص ٤٠ } .

وذلك من قولٍ أتاك أقوله

ومن دَسِّ أعداءٍ إليكَ المآبرا

ويقال إنه لذو مِئبر ، إذا كان نماماً . قال :

ومن يكُ ذا مئبرٍ باللسا

ن يَسْنَحْ به القولُ أو يبرح »

(ص ٣٥) .

– سقط من مادة « أبو » القول التالى: « قال الخليل : الأبُ معروف ، والجمع آباء وأُبُوَّة . قال :

أُحاشى نزار الشامِ إنَّ نِزارَها

أُبُوَّةُ آبائى ومنى عميدُها

قال : وتقول : تأبيتُ أباً . . . » (ص٤٤) ؛ ثم يستعيد معجم « مقاييس اللغة » ما نجده فى « كتاب العين » (٤١٩/٨) .

– سقط فى مادة « أمت » القول التالى : « قال الله تعالى « لا ترى فيها عوجاً ولا أمتاً » . قال الخليل : العِوَج والأمت بمعنى واحد » (ص ١٣٧) ، وهو ما نجده ناقصاً فى « كتاب العين » (ص ٨ / ١٤١) ، حيث ترد الآية القرآنية دون الجملة التالية « العوج والأمت بمعنى واحد » ، غير أن معناها وارد فى « كتاب العين » : «والأمت : أن تصب فى السقاء ماءً فلا تملؤه فينثنى ، وذلك الثنى هو الأمت ، وإذا مُلِئ وتمددً فلا أمتَ فيه » (١٤١/٨) .

– سقط من المدخل اللفظى « أنف » القول التالى : « قال الخليل : أنف اللحية طرفها، وأنف كل شيء أوله» (ص١٤٧)، ولا يرد فى مادة « كتاب العين » (٣٧٧/٨-٣٧٨) ، إذ سقط منه الجزء الأول من التعريف وحسب ، أى : « أنف اللحية طرفها » .

– سقط من مادة «أيى» القول التالى : «قال الخليل : خرجَ القومُ بآيَتِهِم أى بجماعتهم » (ص ١٦٨) الذى لا نجده فى «كتاب العين » .

– سقط من المدخل اللفظى « بعو» القول التالى : « قال الخليل : هو (أى البعو) العارية ، يقال استبعيتُ منه ، أى استعزت . وقال أيضاً: البَعْوُ القَمَرُ ، يقالُ بعوته بعواً: أى أصبتُ منه وقمرته . قال:

صحا القلبُ بعد الإلفِ وارْتَدَّ شأْوُه

وردتْ عليه ما بَعَتْه تُماضِرُ

(ص ٢٢٦) ، مالا نجده فى «كتاب العين » (٢ / ٢٦٥) .

كيف جرى الأمر ؟ أهى هفوات الناسخين المعروفة ؟ ربما ، ولاسيما أن العدد محدود بالمقارنة مع عدد عمليات الأخذ الواردة فى مواد ٢٠٥ مدخلاً لفظياً. ولعلنا نجد هفوات الناسخين فى هذا الأمر أيضاً : وهو أننا نقع على مواد «أول» فى « مقاييس اللغة » فى مدخلين لفظيين فى « كتاب العين » : « إيل » (٨ / ٣٥٨) و « أول » (٨ / ٣٦٨) .

الفروقات محدودة فى نهاية المطاف ، بين الرواية عن « كتاب العين » التى أخذها ابن فارس فى معجمه « مقاييس اللغة » عن طريق بندر بن لزة ومعروف ابن حسان ، وبين رواية أبى معاذ عبد الله التى تعود إليها الطبعة المحققة من « كتاب العين » . كما يمكننا أن نزيد على هذه المقارنة سنداً قوياً ، هو فى أساس ما قام به المحققان العراقيان ، وأدى إلى عودتهما المستديمة عند تحقيق الكتاب إلى نقول المعاجم الأخرى عن « العين » . فلا يخلو مدخل لفظى فى الطبعة المحققة من إحالات ومقابلات مع مواد « تهذيب اللغة » أو «لسان العرب » أو غيرهما ، وهى معاجم أخذت رواية « العين » عن طرق أخرى .

نخلص من هذه المقارنة إلى الاستنتاج التالى : فى الحد الأدنى تكون الرواية (أو النسخة) واحدة بين ما وصل إلى ابن فارس ونسخ المحققين المتأخرة ، ما يسد ثغرة فى هذه الفترة الزمنية الطويلة ، وفى الحد الأعلى قد تكونان روايتين (أو نسختين) مختلفتين بما يسد الفترة الزمنية من جهة وما يعزز وثوقنا فى النص نفسه . إن مجموع هذه التحققات أدت بنا إلى الاقتناع التالى : إن الطبعة المحققة توافق ، على الرغم من بعض السقطات

المحدودة والتعديلات الصياغية الطفيفة ، عدداً واسعاً من الروايات القديمة ، والتى تعود فى الأكيد منها ، إلى ما قبل سنة ٢٤٨ هـ .

يبقى أن نضيف ملاحظة على الطبعة المحققة ، وهى التالية : إن عودة المحققين العراقيين إلى بعض المعاجم ساعدتهما فى تحقيق طبعتهما وفى عزو الأبيات الشعرية إلى أصحابها ، ولكن دون أن يعودا فى صورة تامة إلى « مقاييس اللغة » . ولو فعلا ذلك لوجدا من المعطيات ما عزز طبعتهما المحققة ، وما مكنهما أيضاً من نسبة بعض الأبيات الشعرية إلى مؤلفيها . فالمحققان يوردان بعض الشواهد الشعرية دون هوية قائليها ، التى لم يقعوا عليها فى النسخ التى اعتمدا عليها ، ولا فى المعاجم الأخرى التى عادا إليها ، فيما وقعنا على عدد من الأبيات المنسوبة فى «مقاييس اللغة » والواردة فى طبعة «العين» دون عزو . وهي الأبيات التالية :

- فى المدخل اللفظى « ألك » (ص ١٣٢) ، فى معرض الأخذ من كتاب الخليل ، يرد الشاهد الشعرى التالى للنابغة وهو دون عزو فى طبعة « العين » :

أَلِكْنِى يا عُيَيْنَ إليك قولاً
ستحملُه الرُّواةُ إليكَ عَنِّى

(من قصيدة له فى ديوانه ، ص ٧٨ من خمسة دواوين العرب) .

- وفى المدخل اللفظى « أنى » (ص ١٤١) يرد الأمر نفسه ، . لا بل يرد البيت فى صورة غير تامة ، وهو للكميت، حسبما يؤكد محقق كتاب «مقاييس اللغة » ، وهو البيت التالى :

قِفْ بالديارِ وُقُوفَ زائرْ
وتَأَنَّ إنك غيرُ صاغِرْ

ويُروى وتأَيَّ » (ويمكن العودة إلى بعض أبيات هذه القصيدة فى « الأغانى ». ١٥ : ١١١ ، ١١٣ ، ١١٤) .

- وفى المدخل اللفظى « أنث » (ص٨/ ٢٤٤) يورد المحققان العراقيان بيتًا ، بل يكملانه تبعًا لوروده فى «التهذيب» وفى «لسان العرب»، ويعزوانه لذى الرمة ، إلا أن محقق « مقاييس اللغة » يذهب مذهباً آخر (ص ١٤٤) ، وهو أن البيت للفرزدق ، وأنه يشبه فى جزء منه وحسب بيت ذى الرمة ، ويورد البيت الصحيح :

وكنّا إذا الجبارُ صَعَّرَ خدَّهُ

ضربناه تحت الأُنْثَيَيْنِ على الكَرْدِ

(البيت فى « ديوان الفرزدق » ، ص ٢١٠) .

- هذا ما نقع عليه أيضاً فى مادة «أم» فى « كتاب العين » ، (٨/ ٤٢٥) ، إذ يوردان بيتاً لأبى ذؤيب من دون عزوه ، فى حين توصل إلى ذلك محقق « مقاييس اللغة » (ص ١٦٦) ، وهو فى ديوان أبى ذؤيب ، والبيت هو التالى :

فلما اجتلاها بالإيام [1] تحيزت

ثُباتٍ عليها ذلُّها واكتئابُها

وغير ذلك أيضا من الشواهد الشعرية

٣ - حجج الشك فى «كتاب العين» :

عالجنا فيما سبق الروايات القديمة لـ « كتاب العين » بالمقارنة مع الطبعة المحققة ، وتبينا التوافق بينها . أى أننا عملنا للتحقق من التطابق (ولو مع بعض التعديلات الصياغية أو السقطات القليلة) بين المخطوطات « المتأخرة » التى اعتمدعليها المحققان والنبذات الواردة عن « العين » (وعن روايات أخرى) فى مصادر قديمة إلا أن عملنا - على ضرورته - لا يجيب ، ولا يتعرض لأساس المشكلة ، وهو التالى : قام غير عالِم من علماء العربية ، بعد اطلاعهم على الروايات التى أشرنا إليها ، بنقد عدد من المواد المدرجة فيها ، نافين نسبتها إلى الخليل . فما هذه الملاحظات ؟

يمكننا أن نتحدث عن ثلاثة أنواع من الملاحظات :

١ - ورود نقول فى « العين » عن رجال بعضهم من تلاميذ الخليل ، أو من الأعراب الذين ما عُرفوا فى البصرة ، بل فى خراسان .

٢ - ورود اجتهادات فى النحو لا تناسب عقلية وأحكام مدرسة البصرة ، بل أهل الكوفة.

٣ - « تخليط » الشراح والنساخ فى مواد « العين » .

إذا كان بعض هؤلاء العلماء تحدث عن « تخليط » فى الكتاب ، فإننا لا نستطيع معرفة هذا التخليط فى صورة حصرية ، بل تقديرية وحسب . وتناولوا

(١) الإيام (بكسر الهمزة) : الدخان .

فى ملاحظاتهم هذه على الأرجح الإشارة إلى الزيادات التى يضيفها الشراح والنساخ على متن نسخهم ، والتى لا تلبث أن تُزاد على المتن الأصلى مع تقادم الوقت . وهى حالات معروفة فى عدد من الكتب العربية القديمة [1] . ويسوق الدكتور عبد الحميد الشلقانى ، فى معرض دراسته لمعجم الخليل ، تفسيراً مقنعاً لهذه الظاهرة ، وهو أن عدداً من الوراقين كانوا يجنحون إلى هذه الزيادات « رغبةً فى إضافة ما يرونه مفيداً إلى صلب الكتاب ، ومعجم كالعين كان يقبل الإضافة إلى مادة من مواده دون أن يؤثر ذلك فيما قبل هذه المادة أو بعدها ، فإذا أعيد نسخ الكتاب ضمت هذه الشروح والتعليقات عليه » [2] . التفسير مقنع ، ولكن هل أصابت « كتاب العين » هذه الزيادات ؟

الإجابة ممكنة إذا توصلنا إلى الرد على السؤالين الأولين ، أى معرفة ما إذا كانت هناك زيادات تعود فعلاً لرجال غير متوقعين فى « كتاب العين » أو لآراء مناقضة لما قاله الخليل ، أو لاحقة على عصره .

وكان أبو بكر الزبيدى (-٣٧٩ هـ) هو الذى دفع إلى النقاش هاتين المسألتين [3] ، مستنكراً وجود نقول فى «كتاب العين» عن الأصمعى (-٢١٣ هـ) وأبى عبيد (- ٢٢٤ هـ) ، وابن الأعرابى (-٣٢١ هـ) وغيرهم ، ممن أخذوا العلم عن الخليل أو كانوا شباباً عند وفاته . كما استغرب عدد من الباحثين المحدثين - بعد عمل الأب الكرملى على الجزء الأول من « كتاب العين » ، أو بعد نشر الدكتور درويش للجزء الأول أيضاً - ورود نقول عن سيبويه ، وهو تلميذ الخليل ، أو عن أبى سعيد والضرير وابن أحمد وعرام وزائدة ومبتكر وحماس « ممن لا يعرف لهم ذكر فى البصرة » ، بحسب عبارة الدكتور

---

(١) مثل كتاب « النوادر » لأبى زيد الأنصارى الذى يتضمن زيادات تربو على النصف من مادته ، وتعود لرجال عاشوا بعده ، أو مثل كتاب « النوادر » للأصمعى الذى أنكر أكثر من ثلثه ، بعد أن وقعت بين يديه نسخة منه ، على ما ورد خبره فى « تهذيب اللغة » ، ص ١/٥ .

(٢) فى « رواية اللغة » ، دار المعارف القاهرة ١٩٧١.

(٣) وردت الأخبار عن هذه الملاحظات فى مقدمة « مختصر العين » ، وفى المزهر » ص ١/٤٢ - ٤٣ .

الشلقانى ، إذا كان بعض المحدثين (مثل الكرملى والشلقانى وغيرهما » استغرب وجود هذه النقول فإن غيرهم (مثل الباحث محمد آل ياسين وغيره) ردًّ على هذه الانتقادات . ويمكننا القول بأن هذه الشكوك أفادت الكتاب ، إذ بادر غير عالم قديم وغير باحث محدث إلى إجراء مزيد من « التحقيقات » حول نسبة الكتاب ، لا تتوقف على الأخبار ، سواء أكانت أكيدة أم مختلقة ، بل على مقابلة النصوص بالنصوص .

لن نستعيد حجج القدماء والمحدثين ، فهى معروفة [1] . فإننا نفتقر ، مع القدماء ، إلى نصوصهم البينة والتفصيلية فى هذا الخلاف . أما ملاحظات المحدثين فهى تتصل بعمل الكرملى ودرويش ، أى بجزء وحسب من « كتاب العين » . لا فى مجموعه كما انتهى الينا فى الطبعة المحققة الكاملة . وقد بدا لنا مفيداً ، بل ضرورياً والحالة هذه ، ان نعود إلى مجموع « كتاب العين » لتبين الأصول اللغوية التى عاد إليها ، أو النقول التى أخذ بها ، أو التعليلات اللغوية التى أوردها ، لكى نتحقق فى صورة وافية من حقيقة الشكوك اللغوية التى أصابت « كتاب العين » .

لن نكتفى بتبين الأصول أو التعليلات اللغوية ، بل سنتعدى ذلك لتتناول أيضا المادة الخبرية الواردة فى « كتاب العين » عن أمور وميادين تخص علم التنجيم أو أيام العرب وغيرها مما يدل عن « الزمنية المعرفية » لإنتاج المعجم . فما الزمنية المعرفية هذه ؟

---

(١) نكتفى فى هذه الملاحظة بإيراد عدد من الكتابات الحديثة عن « الشكوك » فى « كتاب العين » : مقالان للأب أنستاس مارى الكرملى فى الجزء الثانى من المجلد الرابع من مجلة « لغة العرب » ، وفى العدد السابع والثلاثين من «مجلة الثقافة» أربع مقالات للباحث يوسف العش بعنوان « أولية تدوين المعاجم وتاريخ كتاب العين المروى عن الخليل بن أحمد ».فى « مجلة المجمع العلمى العربى » فى سنة ١٩٤١ ؛ نشر الدكتور عبد الله درويش ، قبل إصداره الجزء الأول من المعجم ، كتابا بعنوان المعاجم العربية مع اعتناء خاص بمعجم العين للخليل بن أحمد » عن مطبعة الرسالة فى سنة ١٩٥٦ ؛ وتضمن كتاب الدكتور حسين نصار « المعجم العربى نشأته وتطوره » معالجات واسعة عن « كتاب العين » فى سنة ١٩٥٦ ، طبعة دار الكتاب العربى ، كما نشر دراسة بعنوان « دراسة فى كتاب العين للخليل بن أحمد » فى مجلة كلية الأداب بجامعة بغداد ، العدد العاشر فى سنة ١٩٦٧ ؛ « رواية اللغة » للدكتور عبد الحميد الشلقانى ، ص ١١١ – ١٣٢ ؛ « الدراسات اللغوية عند العرب إلى نهاية القرن الثالث » لمحمد حسين آل ياسين ص ٢٣٠ – ٢٥٩ وغيرها .

ونحن لم تقع على دراسة خاصة بالطبعة المحققة الكاملة من « كتاب العين » غير التى وضعها الدكتور صلاح مهدى الفرطوسى بعنوان « محاولة جديدة فى دراسة كتاب العين » ، مجلة المجمع العلمى العراقى جزء أول ، مجلد ٣٨ ص ٢٤٢ – ٢٦٩ .

يحفل « كتاب العين » بمادة غزيرة تعين :

١ - المصادر اللغوية التى استقى منها الخليل (أو غيره) مادة الكتاب .

٢ - المصادر الأدبية والدينية والعلمية والإخبارية التى نهل منها .

إلى غير ذلك من المصادر التى تصل المعجم بزمن ما ، والتى تحده فى نهاية المطاف .

هى تحده بقدر ما تحدده ، أى تعين الأفق المعرفى لـ « كتاب العين » . فنحن نقوى ، عند مطالعة هذه النبذات ذات الحمولات « الإبلاغية » من عزوها (أو عدم عزوها) إلى عصر الخليل ، فى صورة قد لا تكون قاطعة فى كل الأحوال ، إلا أنها لا تخلو - حتى مع النبذات الصعبة - من احتمالات الترجيح والتحقيق .

٤ - أصول « العين » اللغوية

يشتمل « كتاب العين » على مادة لغوية غنية ، يمكن اعتبارها العملية « الأولى » و « الأوسع » فى جمع اللغة العربية منذ القرن الثانى الهجرى ، فبعد أن اقتصر الأمر ، مع أبى عمرو بن العلاء وقبله ، على جمع ألفاظ « نادرة » أو غير معروفة ، أو على جمع ألفاظ فى موضوع بعينه ، قام مشروع « كتاب العين » على جمع ألفاظ العرب ، فلا « يخرج عنها شىء » إلا أن عملية الجمع هذه لم تكتف بالجمع الدلالى ، بل تعدته إلى رصد أحوال العربية تبعاً لـ « لغاتها » أى لألسنة القبائل فى الجزيرة العربية . يحفل المعجم بمادة واسعة عن « اللغات » قلما وقعنا عليها فى أى معجم (١) ، لا بل فى التآليف اللغوية فى هذا العهد . بدا لنا

---

(١) نبذات من « لغات » القبائل فى « كتاب العين » :

« غير أن العامة قد لهجوا بالخطأ : يقولون : فلان أدى للأمانة ، وهذا فى النحو غير جائز » (٨/٩٨) ؛ « الفاثور عند العامة الطَّست خان ، وأهل الشام يتخذون خواناً من رخامٍ يسمونها الفاثور وفى بعض كلام أهل الشام ، والجزيرة : على الفاثور الواحد يعنى على البساط الواحد والفواثير : الجواسيس ، الواحد فاثور فى كلام أرمينية » (٨/٢٢١) ؛ «و» فعيلٍ لغة لسُفلى مُضَرَ : نعيم وبئيس يكسرون الفاء فى فعيل إذا كان الحرف الثانى منه من حروف الحلق الستة ، وبلغتهم كُسرَ الضِّئين ورئيس ودهين ، وأما من كسرَ كثير ، وأشباه ذلك من غير حروف الحلق فإنهم ناس من أهل اليمن ، وأهلِ الشّحر يكسرونَ كل فعِيل وهو قبيح إلا فى الحَروف الستة ، وفيها أيضاً يكسرون صدرَ كلٍّ فعلٍ يجىء على بناء عِمِل نحو قولك : شِهد وسِعد » (٧/٣١٧) : « الجُنْبُخ » تعنى : فى لغة مضر « الضخم » ، وفى لغة أهل السواد « الخابية الصغيرة» ، وفى لغَة أهل اليمن « القملة الضخمة » (٤/٣٢٨) .

- ربيعة « الكَشْكَشَة : لغة لربيعة ، يقولون عند كاف التأنيث : عليكش ، إليكش ، بكش بزيادة شين » (٥/٢٦٩) ؛ « ربيعة تغلط فتقول : الذّكر للذكر » (٥/٣٢٧) ؛ ١/٩١ وغيرها .

= – عبادية حيرية : ٥/٤١ ؛

– تغلب : « القشمة » فى لغتهم (٥/٤٧) ؛

– بنى الحارث : ٣/٥٨ ؛

– طيء : « ولغة طيء هذه رَجُلَة وهذا رجلٌ » (٦/١٠١) ؛ (١/١٣٧) ؛ (٣/٣١٤) ؛

– تميم : « العَرْجَلَة ... بلغة تميم الحَرجلة » (٢/ ٣٢٠) ؛ « لغة تميم : شهيد بكسر الشين ، يكسرون فعيلاً فى كل شيء كان ثانية أحد حروف الحلق وكذلك : سُفْلى مُضَر » (٣/٣٩٨) ؛ « فأما تميم فإنهم يجعلون ألفَ كل أن وأن منصوبة من المثقل والمخفف » (٨/٣٩٨) ؛ « نَكِلَ تميمية ، ونَكَلَ حجازية » (٥/ ٣٧١) ؛ « الكَلِمَة : لغة حجازية ، والكِلْمة : تميمية » (٥/٣٧٨) ؛ « أهلُ الحجاز يُسمون فساطيطَ عمالهم : الأجواف » (٦/ ١٨٩) ؛ « الأصاتم جماعةُ الأصطمة بلغة تميم ، جمعوها بالتاء على هذه اللغة لأنهم كرهوا التفخيم « أصاطم » فردوا الطاء إلى التاء » (٧/ ١٠٧) ؛ « الدَّوِيَّة: مفازةٌ ملساء بلغة تميم ، وداوية لأهل الحجاز بلغتهم » (٨/ ٩٢) ؛ « الأيد: القوة، وبلغة تميم الأدّ » (٨/ ٩٧) ؛ الوَدُّ : الوَتِدُ بلغة تميم ، فإذا صغّروها ردوا التاء فقالوا وتيد » (٨/ ١٠٠) ؛ « الرُّبْدَة تميمية ، والثُّمْلَة حجازية ، وهما صوفةُ الهِناء » ٨/ ١٨٣ ؛ ٤/ ٩٦ ، ٤/ ١٩٢ ، ٤/ ٢٥٥ ، ٥/ ١٩٤ وغيرها .

– تهامة : « ... وفيتَ بعهدك ، ولغة أهل تهامة : أوفيت » (٨/ ٤٠٩) ؛

– هذيل : « القُمْعُل : القدح الضخم بلغة هذيل » (٢/ ٣٠٠) «الكَرْهاء : أعلى النُّقْرة بلغة هذيل» (٣/ ٣٧٦) «سحابةٌ خلوجٌ : متفرقة بلغة هذيل» (٤/ ١٦١) ؛ « الخَموش : البعوض » (٤/ ١٧٤) ؛ « القتر سهام صغار هذلية » (٥/ ١٢٥) ؛ « تقول هذيل : غَنَّج على شَنَج أى رجلٌ على جَمَل » (٦/ ٣٧) ؛ الجَرْد : ثوبٌ خَلَقٌ ، لغة هذيل » (٦/ ٧٧) ؛ « الفريج : البارد هذلية » (٦/ ١١٠) ؛ « وكلامٌ نسيفٌ أى : خفى ، هذلية » (٧/ ٢٧٠) وهذيل تقول : لَدَّه عن كذا أى حبسه (٨/ ٩) «وَبِدُ السيف : فرنده هذلية » (٨/ ٣٠) ؛ « تقول هذيل : ادَّرَيْتُ الصَّيْدَ أى ختلته » (٨/ ٦١) ؛ « الذَّبر ، بلغة هذيل خفيّةٌ يذبرها ذَبْراً » (٨/ ١٨٢) ؛ « والرَّبابة : خرقة تُجعلُ فيها القداح ، هذلية » (٨/ ٢٥٩) ؛ «كتاب منمل : مكتوب ، هذلية » (٨/ ٣٣٠) ؛ (١/ ٩٢) ، (١/ ٢٢٣) ، (١/ ٢٣٢) ؛ (١/ ٣٠٩) وغيرها .

– المدينة : « الزّاووق : الزئبق لأهل المدينة » (٥/ ١٩١) ؛ « الفقيه يُفتى أى يبين المُبهم ؛ ويقال : الُفتيا فيه كذا ، وأهل المدينة يقولون :االفَتْوى » (٨/ ١٣٧) ؛ (٣/ ١٠٣) ، (٤/ ٧٧) ، (٤/ ٧٧) ؛

– الجزيرة : ٤/ ٩٦ وغيرها .

أهل الغور : الزَّرجون بلغة أهل الطائف وأهل الغور : قُضبان الكرم » (٦/ ٦٣ وفى ٦/ ٢٠٢) ؛ « الثُّفاء : الخَرْدَل ، بلغة أهل الغور » (٨/ ٢٤٦) ؛ ٤/ ٧٨ وغيرها .

– الحجاز : « نَكِلَ تميمية ، ونَكَل حجازية » (٥/ ٣٧١) ؛ « الكَلِمَة : لغة حجازية ، والكِلْمة : تميمية » (٥/ ٣٧٨) ؛ « المشمش : فاكهة ، وأهل الحجاز يسمون الإجاص مشمشاً » (٦/ ٢٢٥) ؛ « أهل الحجاز يثبتون الياء والواو فى نحو صَيِد وعور ، وغيرهم يقولُ : صادَ يَصادُ وعارَ يعارُ » (٧/ ١٤٤) ؛ الدَّوِيّة : مفازةٌ ملساء بلغة تميم ، وداوية لأهل الحجاز بلغتهم » (٨/ ٩٢) ؛ « وناسٌ من أهل الحجاز يفتحون ما كان من نحو « دَو » ويقولون : رجل دَوِىٌّ وامرأة دَوِّية سواء ، لأنه تحويل » (٨/ ٩٢) ؛ « فأما أهلُ الحجاز فيكسرون الظاء على كسرة اللامِ التى أُلقيتْ ، فيقولون ظِلنا وظِلتُم ، والمصدرُ الظّلول ... وتميم تقول : ظَلْتُ » (٨/ ١٤٩) ؛ ٤/ ١٠٣ ، ٤/ ٢٢٥ وغيرها .

– سُفْلى مضر : ٤/ ٢٤٥ ، « الجُنْبُخ : الضخم بلغة مضر » (٤/ ٣٢٨) ؛ « ولغة أهل الحجاز فَضِلَ يفضُلُ » (٧/ ٤٤) (٣/ ٣٧) ، (٤/ ٤٠) وغيرها .

– مكة : « البطة : الدبة فى لغة مكة » (٧/ ٤٠٨) وغيرها .

– بنى سعد : « هَلُمَّ : ... التأنيثُ والتذكيرُ فيه سواء ، إلا فى لغة بنى سعد فإنهم يحملونه على تصريف الفعل فيقولون : هَلُمّا وهَلُمُّوا ونحو ذلك » (٤/ ٥٦) وغيرها .

– الكوفة : « الكَبَر : طبلٌ له وجهٌ بلغة أهل الكوفة » (٥/ ٣٦١) ؛ « الدُّرِيْنَة : الأحمق بلغة ناس من أهل الكوفة » (٨/ ٢١) وغيرها .

– اليمن : ١/ ١٦٣ ؛ « القُشْعُر : القثاء بلغة أهل الجوف من اليمن » (٢/ ٢٨٧) ؛ « القُنْفُعَة : القُرْقُعَة وهى الأست بلغة يمانية » (٢/ ٣٠٢) ؛ « العَنْكبوت بلغة أهل اليمن العنكوة والعَنكباء » (٢/ ٣٠٩) ؛ « القَفْحَة : الراحة بلغة اليمن » (٣/ ٥٢) ؛ و « القحبة : المرأة بلغة اليمن » (٣/ ٥٣) ؛ « الكَحْب : البروق بلغة اليمن » (٣/ ٦٥) ؛ « الجُنْبُخ : القملة الضخمة بلغة اليمن » (٤/ ٣٢٨) . « الزقد كلمة يمانية » (٥/ ٨٨) ؛ « بزقوا الأرض أى بذروها ، وهى يمانية » (٥/ ٩٣) « القلوب : الذئب ، يمانية » (٥/ ١٧١) ، « القِرِية لغة يمانية » (٥/ ٢١٢) ؛ « المقول » لغة اليمن (٥/ ٢١٢)=

= الكُلوة : لغة فى الكُلْيَة لأهل اليمن » (٥/ ٤٠٥) ؛ « الجَرين : موضعُ البيدر بلغة اليمن » (٦/ ١٠٤) ؛ « الشرناف » (٦/ ٣٠٢) ؛ « المَصَد : لغة فى اصْمَّد ، فى بابه ، يمانية ، من المقلوب » (٧/ ٢٤) ، « لأن العربَ فى بعض لغاتها يكسرون الفاء فى كل موضع عينه حرفٌ من حروف الحلق نحو الضِّئين والبعير والشِّهيد ، وناسٌ من أهل اليمن مما يلى الشِّحْر وعُمان يكسرون « فاء » فعيل كله فيقولون : للكثير « كثير » » (٧/ ١٧٥) ؛ « الزُّب : اللحية . . . وزُبُّ الصبى : معروف ، وهو ذَكَرُه بلغة أهلِ اليمن » (٧/ ٣٥٣) ؛ « المِزْنَم : السِّن بلغة أهلِ اليمن » (٧/ ٣٧٦) ؛ « الدَّظ : الشَّل بلغة أهل اليمن » (٨/ ٥) ؛ « البُرت : الفأس بلغة اليمن ، والبُرت بلغتهم السكَّرُ الطَّبَرزَد » (٨/ ١١٨) ؛ « التَّلم : مَشَقُّ الكِراب فى الأرض بلغة اليمن » (٨/ ١٢٦) ؛ وأهلُ اليمن يقولون : واتَيتُ وواسيتُ وواكلتُ ونحو ذلك ، ووامرتُ من أمرتُ ، وإنما يجعلونها واواً على تخفيف الهمزة فى يؤاكل ويؤامر و نحو ذلك (٨/ ١٤٧) ؛ « اليَتْم ، بلغة اليمن : نظير البركة » (٨/ ٣٨٨) وغيرها .

– الحميرية : العَكْسوم الحمار بالحميرية » (٢/ ٣٠٥) ؛ الجَحْمَة : العين بلغة حمير » (٣/ ٨٨) ؛ كل جارية هَيَّخَة» (٣/ ٣٥٩) ؛ « الشُّخاف : اللَّبَن بالحميرية » (٤/ ١٧٢) ؛ « الخَميت : اسم السمين » (٤/ ٢٤٢) ؛ « القباية : المفازة بلغة حمير » (٥/ ٢٢٩) ؛ « الشُّنْتَرَة : الإصبع بالحميرية » (٦/ ٣٠١) ؛ « المُلَّت بلغة حمير : المَهْزُ المضمون » (٨/ ١٢٥) ؛ « وفى لغة حمير : ثِبْ معناها : اقعد ، والوثاب : الفِراش بلغتهم » (٨/ ٢٤٧) : « البِلُّ : المُباحُ بلغة حمير» (٨/ ٣١٩) ٣/ ٢٣٤ وغيرها .

– عن الخفجيين : ١/ ٢٠٦ ،

– عن العراق : « الشَشقلة : كلمة حميرية عبادية لهج بها صيارفةُ العراق فى تعيير الدينار » (٥/ ٢٤٥) ؛ «البَرْنكان: كساء أسود بلغة العراق » (٥/ ٤٣٢) ؛ « الإستاج والإستيج من كلام أهل العراق » (٦/ ٤٩) ؛ « النشوط : كلمة عراقية ، وهو سمكٌ يُمَقَّر فى ماء وملح » (٦/ ٢٣٨)؛ « والداجن كلامٌ عراقى ليس من كلام البادية » (٦/ ٢٤٣) ؛ « البَرانى بلغة أهل العراق : الدِّيَكة الصغار أول ما تدرك ، الواحدة : بَرْنيّة » (٨/ ٢٧٠) ١/ ٣٥٥ ؛ ١/ ٣٣٨ ؛ ٣/ ٣٩ وغيرها .

– السواد : « الجُنْبُخ : الخابية الصغيرة بلغة أهلِ السواد » (٤/ ٣٢٨) ؛ « الكُسْبَج : الكُسْب فى لغة أهل السواد » (٥/ ٤٢٤) ؛ « الشَّيْلَم والشَّالَم ، بلغة أهلِ السواد : الزُّوان ، يكون فى البر » (٦/ ٢٦٥) ؛ ٦/ ٢١٧ وغيرها .

– البصرة : « وأهلُ البصرة فى أسواقهم يُسمون الساقى الذى يطوفُ عليهم بالماء : بيّاباً » (٨/ ٤١٥) ؛ « الخلال : البلح بلغة أهل البصرة » (٤/ ١٤١) ؛ ٣/ ٤٤ ؛ ٣/ ٣٨٥ ؛ ٤/ ٢٥٥ ؛ ٥/ ٤١١ ؛ ٦/ ٢٨٦ وغيرها .

– أهل الشام « الأندر : البيدر فى لغة أهل الشام » (٨/ ٢٢) وغيرها .

– حمص : « وبعض أهل الشام يثقله (القَرَبوس) وهو خطأ » (٥/ ٢٥٢) ؛ ٣/ ٢٢ وغيرها .

– الجوف : « شَلْطُ السكينُ بلغة أهل الجَوف » (٦/ ٢٣٦) ؛ ٣/ ٣٠٧ وغيرها .

– عُمان : « الهَيْس : أداة الفدّان بلغة عُمان » (٤/ ٧٢) ؛ « البرْخ : الجَرف بلغة عُمان » (٤/ ٢١١) ؛ « البَرْخ : «الرخيص» ؛ ويشرح ملابسات الشراء فى أسواق عُمان (٤/ ٢٥٦) ؛ « الوَنْج : خشَبَةُ الفَدّان بلغة عُمان » (٦/ ١٩٧) وغيرها .

– لغة الأنباط : « قومٌ ينزلون سواد العراق » (٧/ ٤٣٩) ؛ « قوله : لا دهل ، أى لا تخف بالنبطية » ، و« القمل» : الجمل » (٢/ ٩٦) ؛ « العَسْطوس من رءوس النصارى « بالنبطية » (٢/ ٣٢٧) ؛ « الهَبور : الشعر النابت بالنبطية » (٤/ ٤٧) ٤/ ١٥٦ وغيرها .

– القبطية : « البُهار – قبطية – : ثلاث مئة رطل » (٤/ ٤٨) وغيرها .

– مصر : « هَيْتَ » من كلامهم (٤/ ٨١) ، « الوَهين » أى مساعد الأجير فى العمل ، فى كلامهم (٤/ ٩٣) ؛ «الفقوس : البطيخ ، بلغة مصر : الذى لم ينضج » (٥/ ٦٧) ؛ « القيطون : المُخدع فى لغة البربر ومصر » (٥/ ١٠٣) وغيرها .

– قصة عن اختلاف معنى « راعنا » بين المسلمين (أى : أجعل علينا سمعك) ، وبين اليهود (أى ، وهو عندهم شتم) ص ٢/ ١١٩ ؛ « هيا شراهيا ، بالعبرانية : ياحىّ يا قيوم » (٣/ ٤٠١) ؛ « الهَيُول : الهباءُ المنبثُ بالعبرانية ، ويقال : بالرومية ، وهو الذى تراه من ضوء الشمس فى البيت » (٤/ ٨٩) ؛ « المَرجَبَة المقلاع بالعبرانية » (٦/ ١١٤) ؛ «تشرين : اسم شهر من شهور الخريف بالرومية » (٦/ ٢٤٥) ؛ النِّطاسى والنِّطيس : العالمُ بالطب ، وهو بالرومية النسطاس ، وما أنطسه » (٧/ ٢١٥) وغيرها .

مفيداً التوقف أمام هذه المادة اللغوية المتصلة بـ « لغات القبائل » لعرضها من جهة ، ولتبين صلتها بما عرف من جمع الخليل للغة فى البوادى العربية من جهة أخرى .

٤ - (أ) « لغات » القبائل

فى غير مادة فى المعجم نقع على تعريفات تبين لنا الاختلافات فى نطق هذا اللفظ أو ذاك ، أو فى تعيين دلالته ، بين قبيلة وأخرى . فـ« الفاثور » يتخذ ، على سبيل المثال ، غير دلالة بمجرد أن ننتقل من منطقة لغوية إلى أخرى : فهو يعنى « عند العامة » (عامة البصرة على الأرجح) « الطست خان » ، وعند أهل الشام « خواناً من رخام » وعند أهل الجزيرة « البساط » وعند أهل أرمينية « الجاسوس » لا أقل من أربع دلالات مختلفة ، بل متباينة ، للفظ واحد ! هذا ما نقع عليه فى ألفاظ أخرى مثل « الجُنْبُخ » ، التى تعنى « الضخم » فى لغة مضر ، و « الخابية الصغيرة » فى لغة أهل السواد، و « القملة الضخمة » فى لغة أهل اليمن . يمكننا أن نعدد الأمثلة ، وهى تقدم لنا عينات واسعة مما جمعه الخليل ودرسه من لغات القبائل ، لا سيما فى الحجاز ونجد وتهامة،فالخليل يجمع الألفاظ ويوردها دون أن يعللها أحياناً . ذلك أنه « سمعها» وحسب أو « بَلَغَتْه » ، وفق ما يصرح فى غير مادة لفظية . وتفيدنا هذه المواد فى تبين عدد من خواص لغات القبائل ، فى مبانيها وتراكيبها النحوية والصوتية والدلالية . فالخليل يميز بين لغة الأعراب فى البادية ولغة « العامة » أو « الأمصار »،

= - الفارسية : «دهليز : إعراب دليج ، فارسية » (٤/ ١٢٣) ؛ المهندس « مشتقٌ من الهندزة ، فارسى صُيِّرَت الزاى سيناً » (٤/ ١٢٠) ؛ « السَّخْتيت : كلمة يُقال : هى فارسية اشتقها رؤبة من « سخت » ، فقال ﴿ ديوانه ، ص ٢٦ ﴾ .

هل يُنجينى حَلِفٌ سِخْتيتُ . أو فضةٌ أو ذهبٌ كِبْريتُ » (٤/ ١٩٤) ؛

« طَرخان اسم رجلٍ بلغة خراسان » (٤/ ٢١٦) ؛ البارجان ، كأنه فارسى » (٦/ ١٧٤) ؛ « الجَوم : كأنها فارسية » (٦/ ١٩٥) ؛ «الفَيج اشتُقَّ من الفارسية ، وهو رسولُ السلطان على رِجْله » (٦/ ١٨٩) ؛ « والنسرين من الرياحين ترجمة الفارسية » (٧/ ٢٤٣) ؛ « التِّنين : نجمٌ من نجوم السحابِ وليس بكوكبٍ ولكنه ببياضٌ خفىٌ يكونُ جسدُه فى شبيه من الماء وذَنَبُه دقيقٌ أسود فيه التواءٌ يكون فى البرجِ السابعِ من رأسه ، وهو يتنقلُ كتنقل الكواكب الجوارى ، واسمه بالفارسية « هَشْت أبير » فى حساب النجوم ، وهو من النحوس » (٨/ ١٠٨) وغيرها .

- السريانية : « القَنْذَعُ والقُنْذُع ، بالفتح والضم : الدَّيُّوث وأظنها بالسريانية » (٢/ ٢٩٦) ؛ « مَتَّى .... وهى بلغة السريانية مَتَّى » (٨/ ١١٢) وغيرها .

- الحبشية : «طه» فى الحبشية تعنى « يا رجل » (٣/ ٣٤٧) .

- إفريقية : « الزقوم » يعنى الزبد والتمر فى لغتهم (٥/ ٩٤) وغيرها .

لاسيما فى البصرة ، ويعدُّ الناطق الذى « يترك عنعنة تميم وكشكشة ربيعة » من « الفصحاء » . كما يقارن بين « اللغات » عامة : فـ«الشينات كلها قبل اللام » بخلاف ما هى عليه فى عدد من الألفاظ الحميرية»،والنون تدخل فى بعض ألفاظ أهل حمص على أنها « غنة » وليست بأصيلة وبنو تميم « يجعلون بدل الهمزة العين » على حين تجعل ربيعة مكان الكاف المكسورة شيناً »وغيرها من التعيينات .

يحفل « كتاب العين » بمادة واسعة عن لغات القبائل والمواضع التالية : ربيعة، وتغلب ، وبنى الحارث ، وتميم ، وتهامة ، وهذيل ، والمدينة، والجزيرة ، والحجاز ، والغور ، ومكة ، ومضر ، وبنى سعد ، واليمن ، وحمير ، والكوفة ، والبصرة ، والعراق ، والسواد ، الشام ، وحمص، والجوف ، وعمان ، ولغة الأنباط ، واللغة القبطية ، ولغة مصر ، والعبرانية والفارسية وغيرها ، دون أن يكون هذا التعداد نسقياً .

بدا لنا مفيداً أن نتناول « اللغات » العربية على حدة ، على أن ننصرف لاحقاً إلى تبين غير العربية منها ، لا لطبيعة « اللغات » العربية المتقاربة وحسب (واختلافها البين عن غيرها) بل لأن الخليل نفسه عمد فى غير موضع إلى تبين صلات التقارب مثل التخالف بين هذه اللغة أو تلك فى الجزيرة العربية .

نجد الخليل يكتفى فى بعض الأحيان بإيراد ما جمعه وحسب دون معالجة أو تحليل ، سواء أكان ما جمعه يتعلق بدلالة أو بكيفية نطق . فيفيدنا ، على سبيل المثال ، أن لفظ « القشمة » يرد فى لغة تغلب ، وأن « العَرْجلة » تأتى فى لغة تميم « الحَرْجلة » وأن « المعصوب » يعنى «الجائع» فى لغة هذيل ، إلى غير ذلك من الأمثلة ، ونقع أحياناً على لطائف دلالية فى هذا الشأن مثل هذه : « ثِب » معناه « اقعد » فى لغة حمير أى بخلاف ما هى عليه العربية الحالية . أو هذه : « تقَول هُذَيل : أكل حتى اقْتَرَّ ، فى الناس وغيرهم ، والاقترار الشبع » . وهو خلاف ما تعرفه العربية الحالية . ولا يتأخر أحياناً عن سرد الحكاية التى

أدت إلى نشأة هذه العبارة أو هذا اللفظ : و « القَذْف : غرفُ المـاء من الحوض . أو من شيء تصبُّه بكفِّك ، بلغة عُمان . وقالتْ «بنتُ جُلَنْدى العُمانية» حين ألبست السلحفاة حليها فغاصت وأقبلت تغترفُ من البحرِ وتصبه على الساحل وهى تنادى القوم : نَزافِ نَزافِ ، لم يبقَ فى البحر غير قداف ، أى غير حفنة » .

إلا أنه يتوقف ، فى مواضع أخرى ، ليتبين صيغَ لغة هذه القبيلة أو تلك ، صارفاً لها الجهد الذى صرفه للعربية حين أعمل التقليب فيها ودرس أبنيتها واحتمالات التركيب فيها . فهو يلاحظ ، على سبيل المثال ، أن لغة أهل سفلى مُضر تكسر الفاء فى فعيل إذا كان الحرف الثانى منه من حروف الحلق الستة » . بخلاف أهل اليمن الذين لا يتأخرون عن كسر الفاء فى فعيل حتى لو لم يكن الحرف الثانى من حروف الحلق . ونراه يعالج فى صورة تحليلية تراكيب الكلام واحتمالاتها فى غير لغة ، متوقفاً فى شكل خاص أمام أربع لغات – على ما بدا لنا من الثبت اللغوى الذى قمنا به – ، وهى اللغات التالية : لغة تميم ، ولغة هذيل ، ولغة الحجاز،ولغة اليمن . ماذا يمكننا القول عن كل واحدة منها ؟

ترد فى النبذات التعريفية ألفاظ وفق دلالاتها المخصوصة فى لغة تميم : مثل لفظ « الأجواف » الذى يعين فى لغتهم « فساطيط عمالهم » ، أو « الدُّوِّيَّة» التى تعين عندهم « مفازة ملساء » ؛ و«الأد» « القوة » ؛ و « الرَّبَذَة » « صوفة الهناء » و « الود » « الوتد » ، إلى غير ذلك،كما يعمل على تبين بعض خواص التركيب فى لغتهم ، فينتبه إلى كونهم يكرهون « التفخيم » فيردون «الطاء» إلى «التاء»، ويلفظون « الأصاتم » بدل « الأصاطم » ويتوقف أمام نطقهم المختلف لألفاظٍ مشتركة بينهم وبين قبائل أخرى ، فينطقون « نَكِلَ » فى الوقت الذى تنطق الحجاز « نَكَل » ، ويقولون « الكَلِمَة » فى حين تنطق الحجاز « الكِلْمَة » إلى غير ذلك من الحالات كما يتبين أحياناً بعض خواص التركيب فى لغتهم فيلاحظ أنهم « يكسرون فعيلاً فى كل شئ كان ثانيه أحد حروف الحلق » .

تكاد تنحصر ملاحظات الخليل فى لغة هذيل على الجانب الدلالى ، إذ يسرد عدداً واسعاً من الألفاظ والدلالات الخاصة بهم : « القُمعُل : القدح الضخم » ؛ « الكَرهاء : أعلى النُّقْرة » ؛ « الخموش : البعوص » ؛ « الفريج : البارد » ؛ و«رُبدُ السيف فِرندُه» و « كتاب منمل : مكتوب » وغيرها،وإلى هذا فإنه يعين لنا بعضاً من المنتجات والمسميات ، الخاصة بهم ، مثل : « الفتر » ، وهى « سهام صغار » ؛ أو « الربابة » وهى « خرقة تجعل فيها القداح » وغيرها ..

لا يتوانى الخليل فى غير موضع عن الجمع وعن إبانة التخالف بين لغة تميم ولغة الحجاز : فـ « الكِلْمَة » حجازية و « الكَلمَة » تميمة ؛ و « الداوية » تعنى فى لغة الحجاز « مفازة ملساء » وهى « الدَّوية» عند تميم ، وغيرها كما يتوقف أمام بعض مسمياتهم الخصوصية ، مثل تسميتهم الإجاص « مشمشاً » ، ويعالج بعضاً من تراكيبهم الخصوصية : يثبتون الياء والواو فى « صَيِدَ » و « عَوِرَ » فيما يقول غيرهم : ؛ «صَاد يصَادُ وعارَ يَعارُ » وغيرها .

يتضمن المعجم مسرداً واسعاً عن لغة اليمن ، لاسيما فى دلالاتها : « القُشعر» تعنى «القثاء» و «القُنْفُعَة» « الفُرقُعَة » ؛ و«القحبة» « المرأة » ؛ و « الكَحبَ » «البروق» وغيرها . كما يتبين فيها بعض ظواهر « القلب » : فما ينطقونه « المضد» هو عند غيرهم «ضمد» ؛ أو « العَنكوه والعنكباه » عندهم هو عند غيرهم «العنكبوت» ، إلى غير ذلك .

غير أن الخليل لا يتأخر عن رصد أحوال اللغات عند قبائل عدة ، أو لغة الأمصار ، لاسيما فى البصرة ، أو يتوقف عند مدن بعينها مثل حمص وعُمان وغيرها ، وهو رصد نافع لأنه يرصد فى غالب الأحيان حال العربية فى زمن الفراهيدى . كما يعالج فى بعض الأحيان لغة العامة فى العراق . وإذا كانت ملاحظات الخليل لا تخلو فى هذه « اللغات » العربية من التفاتات نبيهة ونافعة ، فإن جمعه لألفاظ ومسميات من اللغات غير العربية ، مثل الفارسية والعبرانية والافريقية وغيرها ، لا يضيف جديداً فى غالب الأحيان . فهو يستعيد ما هو معروف عن بعض الألفاظ غير العربية فى القرآن ، مثل « الزقوم » الأفريقية ، أو يورد عدداً من الألفاظ التى باتت شائعة فى الكلام السارى أو المعروفة

على الأقل ، كما هو عليه الحال مع أسماء الشهور الرومية المعروفة فى بلاد الشام .

٤ - (ب) شواهد « العين »

يعود الخليل فى المعجم إلى القرآن الكريم مستشهداً بآياته ، تامة أو غير تامة ، ملمحاً أحياناً إلى القراءات المختلفة ، لاسيما إلى قراءة ابن مسعود . أو يعود إلى عدد من التفاسير ، لاسيما التى أخذها من الفقيه الحسن البصرى ، أو من فقيه البصرة الآخر ابن سيرين ، أو من غيرهما كما يعود فى بعض الأحيان إلى الأحاديث النبوية ، أو إلى عبارات شهيرة وردت على ألسنة الخلفاء الراشدين أو على لسان معاوية أو الحجاج بن يوسف وغيرهما .

وهو يعود إلى هذه اللغة « المرجعية » طلباً لشاهد لغوى يعزز ما يسوقه من تفسير دلالى أو من تعليل نحوى وخلافهما . إلا أنه يستقى من الشعر غالباً هذه الشواهد، أو من الأمثال أحياناً .

٤ - (ب) (١) الشواهد الشعرية

لا يكاد يخلو مدخل لفظى ، أو دلالة أحياناً فى المعجم من شاهد شعرى ، وقد يرد كاملاً أو فى جزء منه ، ومعزواً أو من دون عزو . وقد قمنا بإحصاء الشواهد الشعرية فى الأجزاء الثمانية للمعجم ، وأتت الإحصائيات حسب التقسيم التالى :

يزيد عدد الشواهد على ٣٠٣٥ بيتاً شعرياً ، وقد وجدناها تتوزع فى أربع فئات :

- **أبيات غير معزوة** : ٧٧ بيتاً (ما يعادل ٢,٥٣ بالمئة) ، وتعود إلى ٥٥ شاعراً (أى ١٨,٨٣ بالمئة) .

- **أبيات جاهلية** : ١١٩٨ بيتاً (ما يوازى ٣٩,٤٧ بالمئة) ، لـ ١٣٦ شاعراً (أى ٤٦,٥٧ بالمئة) .

- **أبيات أموية** : ١٢٤٣ بيتاً (ما يعادل ٤٠,٩٠ بالمئة) ، لـ ٨٩ شاعراً (أى ٣٠,٤٠ بالمئة) .

- **أبيات عباسية** : ٥١٧ بيتاً (ما يوازى ١٧,٠٣ بالمئة) ، لـ ١٢ شاعراً (أى ٤,١٠ بالمئة) .

نخلص من بنود هذه القائمة الإحصائية للشعراء والأبيات الشعرية إلى أن عدد الشعراء يقرب من ثلاثمائة شاعر

(٢٩٢ تحديداً ، أو ربما أقل من ذلك ، طالما أن عدداً ممن لم تُنسب إليهم أبياتهم قد ذكروا) . اللافت فى هذه القائمة هو ضعف تمثيل الفترة العباسية من جهة ، وقوة تمثيل الفترتين الجاهلية والأموية ، وهو تدبير طبيعى لاعتبارين : يعود الاعتبار الأول إلى أن جامعى اللغة الأوائل قيدوا سجل « فصاحة زمنية » جعلوها فى الجاهلية أساساً وحتى فى عدد محدود من شعراء الفترة العباسية الأولى . أما الاعتبار الثانى فيعود إلى « زمنية » كتاب العين ، حيث إن الخليل عاد إلى عدد محدود من معاصرية بالطبع . ولكن إذا كان عدد الشعراء العباسيين محدوداً بمقارنته بشعراء الفترتين الجاهلية والأموية ، فإن هذه النسبة تزداد فى عدد الشواهد الشعرية العباسية : فعدد الشعراء العباسيين لا يتجاوز ٤,١٠ بالمئة على حين يبلغ عدد الشواهد الشعرية العباسية ١٧,٠٣ بالمئة من مجموع الشواهد .

سبعة شعراء يتصدرون هذه القائمة ، ممن استشهد بشعرهم أكثر من مئة مرة ، وهم بالترتيب : رؤبة بن العجاج (٤٨٥ بيتاً) ، العجاج (٢٣٥) ، ذو الرمة (٢٧١) ، الأعشى (٢٠٤) ، لبيد بن ربيعة العامرى (١٧٣) ، مطيع بن إياس (١٦٦) وامرؤ القيس (١١٥) .

٤ - (ب) ٢ : الأمثال

يبقى علينا أن نشير إلى إن « كتاب العين » يشتمل فى مواده على عدد كبير من الأمثال [(١)] : يرد المثل مثل « شاهد»

(١) - نبذات من الأمثال الواردة فى «كتاب العين » :
« المَثَل : الحديثُ نفسه ، وأكثر ما جاء فى القرآن . . . (بمعنى) الخبر . . فصار خبرُه عن ذلك مثلاً » (٨/ ٢٢٨) ؛ « ما لفلان عافطة ولا نافطة » (١٨/٢) ؛ « لا تَعِظينى ،و تَعَظْعَظى » (٢/ ٢٢٨) ؛ يروى لنا فى مادة « عصو ، عصى » (ص ٢/ ١٩٨) كيف ذهب أحد الأبيات الشعرية مَثلاً ، وهى قصة عرقوب من أهل يثرب ، « أكذب أهل زمانه موعداً » (٢/ ٢٩٦) ؛ « أبى الحَقينُ العِذْرَة » (٣/ ٥٠) ؛ « يأكلُ خُضْرَةً ويَرِيضُ حَجْرَة » (٣/ ٧٥) ؛ « يومٌ بيَومِ الحفض المُجَوَّر » (٣/ ١٠٨) ؛ « أعَنْ صبوحٍ تُرَقِّقُ » (٣/ ١٢٧) ؛ « إذا طلعَ الذابح الجحر النابح » (٣/ ٢٠٣) ؛ « جَهيزَة » يضرب بها المثل فى الحمق (٣/ ٣٨٥) ؛ « لا تَهْرِفُ حتى تَعرِف » (٤/ ٤٥) ؛ « اذهب هنيئةً ولا تَنكَه » (٤/ ٩٤) ؛ « المعزى تُبهى ولا تُبِينى » (٤/ ٩٧) ؛ بَلَغَ قولُه قاموسَ البَحرَ » (أى قعره الأقصى - ٥/ ٨٨) ؛ « لُقَيْطَى خُلَّيطَى » (٥/ ١٠١) ؛ « وافق شَنٌّ طَبَقَة » (٥/ ١٠٨) ؛ « دُون هذا خَرطُ القَتاد » (٥/ ١١٢) ؛ « نزاف نَزَاف لم يبقَ فى البحرِ غيرُ قُذاف » (أى غير حفنة (٥/ ١١٩) ؛ « حتى يؤوبَ الغَنَرِىُّ القارظُ» (٥/ ١٣٣) : « ليس قطاً مثل قُطَىَ (٥/ ١٩٣) : « قد جاء غرثانُ فاربكوا له » (٥/ ٣٦٦) : « هى أكثر الأرض سَمنةً وعَسَلَةً » (٥/ ٣٦٩) ؛ « أطرقَ كَرا إن النعام بالقُرى » (٥/ ٤٠٠) ؛ «العَيرُ يضرِطُ والمكواة فى النار » (٥/ ٤٢١) ؛ « حالَ الجريضُ دون القريض » (٦/ ٤٢) ؛ « ناجزٌ بناجز» (٦/ ٧١) ؛ « إن العَجزَ والتَوانى تزاوجا فأنتجا الفَقر » (٦/ ٩٢) ؛ « أنا جُذيلُه المُحكَّكُ ، وعُذَيْقُها المُرَجَّبُ ، وحُجَيرُها =

أو « دليل » لتأكيد دلالة ما ، كما هو عليه البيت الشعرى فى هذه الحالة . ولا يتأخر الخليل أحياناً عن رواية الحكاية التى أدت إلى نشأة هذا المثل أو ذاك . وهى أمثلة ترد فى مواضع ومناسبات مختلفة ، سواء فى الشعر أو الشجاعة أو الحمق أو غيرها ، وهى جاهلية المنشأ غالباً . ومن المعلوم أن عدداً من العلماء سارع فى عصر «الفراهيدى» إلى جمع الأمثال ، مثل يونس بن حبيب وأبو عبيدة وأبو فيد مؤرج السدوسى ، من دون أن يصلنا أى واحد من كتبهم .

٥ - أصول « كتاب العين » الثقافية

يشتمل « كتاب العين » ، إلى مواده المعجمية ، على معلومات أخرى تتصل بأسماء علم أو بعادات معروفة أو بوقائع إسلامية أو سابقة عليها ، حتى أنه يبدو فى بعض المواضع أشبه بموسوعة ثقافية . وهو ، بقدر ما يفيدنا ، يعين حدوداً لقوله مثل معرفته ، أى يعين حدوداً معرفية بالتالى . وهذا يمكننا من التعرف على الخلفية الثقافية فى المعجم من جهة ، ومن الوثوق منها ، من جهة أخرى ، بوصفها قابلة للتعيين والمقارنة مع ما نعرفه من معطيات ومعلومات عما كان معروفا حتى عهد الخليل . هذا ما يمكن أن نتأكد منه فى المعلومات نفسها « أى التأكد منها » ، وفى « الأفق المعرفى » الذى يحدد أى قول بالتالى .

لا يعنينا فى فرز هذه المواد أن نتبين تاريخيتها بالضرورة ، ذلك أن هذا السعى يتعدى مرادنا ، بل ابتغينا منه تبين «تعيين» التعريفات . فنحن نجد على سبيل المثال فى هذا الكم التعريفى معلومات شديدة التعيين : مثل تعيين « الأهواز » أو «مساجد البصرة » أو « مظلات عُمان » أو ما جرى بين أبى الدقيش والخليل ، أو ما قاله زياد بن أبيه حين قدم البصرة عاملاً عليها ، أو خبر هذه الشجرة :

= المُأَرَّبُ » (٦/ ٩٤) ؛ « جئتُ بامرٍ بُجرٍ وداهيةٍ نُكرٍ » (٦/ ١١٨) ؛ « اتَّخَذَ فلانٌ الليلَ جَمَلاً » (٦/ ١٤٢) ؛ « ويلٌ للشجى من الخَلى » (٦/ ١٥٦) ؛ « ما بها صافر » (٧/ ١١٤) ؛ « صَدَقَنى سنَّ بكرِه » (٧/ ١٩٨) ؛ « أصنعَ مُن سُرْفَة » (٧/ ٢٤٤) ؛ « لا افعلُ ذلك السَّمَرَ والقَمَرَ » (٧/ ٢٥٥) ، « أشجع من أسامة » (٧/ ٣٢٤) ؛ « هاجت زبراؤه » (٧/ ٣٦٢) ؛ « أعيَتنى بأشُرٍ فكيفَ أرجوك بدردر » (٨/ ٧) ؛ « ما يدرى فلان قبيلاً من دبير » (٨/ ٣٣) ؛ «الرائدُ لا يكذب أهله » (٨/ ٦٣) ، « أسخى من لافظة » (٨/ ١٦٢) وغيرها .

« الألـنبـج: حَـملُ شـجـرة بالهند تُرَبَّبُ بالعسل على خلقة الخوخ ، مُجَرَّفُ الرأس يُجلب إلى العـراق وفى جوفـه نواة كنواة الخوخ ، ومنـه اشتُقَّ الأنجبـات التى تُرَبَّبُ بالعسل من الأتُرجِّ والأهليلَجَة ونحوها ». ذلك أن هذه المواد المختلفة تجلب لنا صورة عن الظروف المـادية والزمنيـة المعـايشـة لإنتـاج « كتـاب العين » وتساعـدنا بالتالى على تبين « تاريخـيته » الزمنية والمعـرفية فى آن واحد.

يشتـمل هذا الكم على أسماء أحـياء وقبـائل ، وعلى أخبار عن الأيام الجـاهلية وعن العادات والألعاب فـيها ، وعن عدد من الأقوام فى عـباداتهم ، سـواء الوثنيـة أو اليهودية أو المسيحية ، وعن معارفهم فى النجوم والحساب ، وعـن الأيام الإسلامية مع الرسول ﷺ والصحابة ، عدا ما بلغ الخليل من « قَصَص » السالفين .

٥ - (أ) : الأسماء

يتضمن المعجم قائمة واسعة من أسماء الأعلام[1] الدالة عـلى البـشـر أو على المواضع الجغرافيـة . نتعرف على «هالة» ، وهى أم حمـزة بن عبـد المطلب ، أو على الأسـمـاء التى بلغـت الخليل عن أخبـار الأولين ، مـثل أسـمـاء ولد آدم أو جـد إبراهيم عليـهما السـلام وغيـرهما . وإذا كانت التعيينات الجغرافية قليلة بل مقتضبة

(١) - قائمة من أسماء الأعلام الواردة فى « كتاب العين » :

- أسماء مواضع : « الجزيرة بـالبصرة : أرضٌ نخل بين البصرة والأُبُلَّةِ خُصَّت بهذا الاسم ، وجزيرة العـرب محلَّتها لأن البحرين بحر فارس الحبش ودجلة والفرات قـد أحاطـت بجزيرة العـرب ، وهـى أرضهـا ومعدنهـا » (٦/ ٦٢) ؛ « الأهـواز: سبعُ كور بين البـصرة وفارس ، لكل واحـدة منهن اسم ، على حـدة ، ويجمعـهن الاهواز » (٤/ ٧٣) ؛ «الكَرخ : اسم سـوق ببغـداد » (٤/ ١٥٦) ؛ « كـاوان : جزيرة فى بحـر البـصرة » (٥/ ٤٢١) ؛ « دمخ : اسم جـبل » (٤/ ٢٣٦) ؛ رُخَّـد : اسـم مدينة » (٤/ ٢٤٤) ؛ « خُـرَيبة : مـوضـع بالبصـرة يُسمى بُصيرة الصغرى » (٤/ ٢٥٦) ؛ « الغـوطـة : موضع بالشـام ، كثير المـاء والـشجر » و « الغوطة : مدينة بدمشق » (٤/ ٤٣٥)؛ « الغَور: تِهامـة وما يلى اليمن» (٤/ ٤٤١) . أبوقـبيس : جبل مشـرف على مكة (٥/ ٨٦) ؛ « القيروان : اسم مـدينة (٥/ ١٤٣) ؛ « وفى ثغور الشام مـوضع يقال له : قُـبرُس » (٥/ ٢٥٢) ؛ « الدَّكصَ : اسمُ نهر بالهند ، بـلغتهم » (٥/ ٤٢٥) ؛ « البـصرة : ... نزلها المسلمون أيام عمر بن الخطاب، وكتبوا إليه : إنا نزلْنا أرضاً بَصرةً فسُمِّيَت بَصرة » (٧/ ١١٨) وغيرها .

- أسـمـاء أشخـاص : « هالة : أم حـمـزة بن عـبـد المطلب » (٤/ ٨٩) ؛ هى بن أبى وهيـان بن بيـان من ولد آدم (٤/ ١٠٧)؛ شالخ : جـد إبراهيم (٤/ ١٧٠) ؛ « ذو جدن : اسم رجل من مـقاولة اليـمن » (٦/ ٨٣) ؛ « تدمر : اسم مدينة بناها الجان بإذن سليمان بن داود » ،وهو يستعيد فى هذا التعيين بيتاً للنابغة ﴿ ديوانه ، ص ١٣ ﴾ :

وخيسِ الجنَّ إنى قد أذنت لهم   يَبنون تدمرَ بالصفاحِ والعَمَد » (٨/ ٤٠) وغيرها .

فى بعض الأحيان (« القيروان : اسم مدينة ») ، فإنها وافية ودقيقة فى أحيان أخرى، حين يتعلق الأمر بالبصرة أو بالأهواز المجاورة لها . كما تبين لنا بعض التعيينات عن الكيفيات التى توصل بها إلى معلوماته فهو يفسر بناء مدينة تدمر. (« مدينة بناها الشيطان بإذن سليمان ابن داود ») وفقاً لما قرأه فى شعر النابغة الذبيانى (ورد البيت فى ديوانه ، ص ١٣):

وخيسِ الجنَّ إنى قد أذنتُ لهم
يبنون «تدمرَ» بالصفاح والعَمَد

٥ - (ب) القبائل

يشتمل « كتاب العين » على لوحة واسعة من أسماء القبائل العربية (١) ، مبيناً أفخاذها وأحياءها ، إلا أنها لوحة تسمية فى غالب الأحيان ، دون معلومات عن مواضعها أو عن تواريخها الخصوصية إلا فيما ندر . غير أننا نعلم

---

(١) نبذات عن القبائل العربية فى « كتاب العين » .

« فَخِذُ الرجل : نَفَرُه من حيِّه الذين هم أقربُ عشيرته إليه ، وهى أفخاذ العرب يذكر ، وإذا أُفردَ قيل: هذا فَخِذٌ أى: هذا حى » (٤/ ٢٤٦) ؛ « وأما القبيلة فمن قبائل العرب وسائر الناس » (٥/ ١٦٧) ؛

– الأزد : « ماسخه » حى من الأزد (٤/ ٢٠٦) ؛ الخزرج والأوس : حيان من الأنصار (٤/ ٣٢٧) ؛

– بنى أسد : فقعس : حى من بنى أسد (٢/ ٢٩١)

– تميم : و « عرين : حى من تميم » (٢/ ١١٧) ؛ « الحَبطات : حى من تميم » (٣/ ١٧٤) ؛« يربوع» قبيلة من تميم (٢/ ٣٤٢) ، بنو العنبر بن عمرو بن تميم (٥/ ١٨٢) ؛ البراجم : أحياء (٦/ ٢٠٩) ؛ صوفة (٧/ ١٦٢) ؛ مازن (٧/ ٣٧٦) .

– ربيعة : بنو حنيفة : حى من ربيعة (٣/ ٢٤٨) ؛ رقاش : حى من ربيعة (٥/ ٤٠) ؛ و « الذُّهلان : حيان من ربيعة؛ بنو ذُهَل بن شيبان ، وبنو ذُهَل بن ثعلبة » (٤/ ٣٩) ؛ هِنب وبنو هنب حيان من ربيعة (٤/ ٥٨) ؛ قبيلة يشكر (٥/ ٢٩٣) .

« أنمار : حى من ربيعة هم اليوم فى اليمن » (٨/ ٢٧١) ؛

– بنى سعد : « بنو عطارد : حى من بنى سعد » (٢/ ٣٢٧) ؛

– فزارة : « بنو السابياء : قوم فى بنى فزارة ، ويقال لهم : بنو العشراء » (٧/ ٣١٣) ؛

– قريشٍ : وقريش كلهم ينسبون إلى فِهرِ بن غالب بن النُّضرِ بن كنانة (٤/ ٤٥) . بنو هبار : فخذ من قريش من أسد ابن عبد العُزّى (٤/ ٤٧) . بنو معيط « حى » من قريش (٢/ ٢٨) .

– «بنو قريظة هم أحد حيَّى اليهود من السبطين اللذين كانا بالمدينة » (٥/ ١٣٣) .

– عبد القيس : « القَسو : اسمٌ لزمَ حياً من العرب معروفين ، يقالُ لهم : القُساة ، وهم : عبد القيس ، وقيل لهم: بنو قَسْوَة » (٧/ ٣٠٩) ؛ « العمور : حى من عبد القيس » (٢/ ١٣٧) ، عدوان حى من قيس (٢/ ٢١٦) ؛ « خفاجة : حى من قيس » (٤/ ١٦٣) ؛ « بنو قشير بن معب من قيس » و « بنو قشرمن عكل » (٥/ ٣٦) ؛ بنو غيظ : حى من قيس (٤/ ٤٣٩) ؛ ثقيف : حى من قيس (٥/ ١٣٨) ؛ لُكَيز : حى من عبد القيس (٥/ ٣٢١) ؛ شن (٦/ ٢٢٠) ؛

– مضر : « هوازن » قبيلة ضخمة من مُضَر (٤/ ١٥) ، مُزَينة (٧/ ٣٧٦)؛

أن أهل قريش يُنسبون إلى فِهر بن غالب ابن النضر بن كنانة ، وأنها تتوزع إلى أفخاذ وأحياء مثل: بنى هبار، وبنى معيط وغيرهما . بل يتيح لنا المعجم فى بعض الأحيان أن نتبين تكوين عدد من القبائل ، منها :

– أحياء وقبائل بنى تميم : عرين ، الحبطات ، يربوع ، بنو العنبر ، البراجم، صوفة ، مازن، وغيرها .

– بنو ربيعة : بنو حنيفة ، رقاش ، بنو ذهل بن شيبان ، بنو ذهل بن ثعلبة ، هنب ، بنو هنب ، يشكر، وغيرها ؛ كما يفيدنا المعجم أيضاً بوجود أحد أحياء هذه القبيلة : « أنمار » تحديداً ، فى اليمن، فى عهد الخليل .

– بنو عبد القيس : العمور ، عدوان، خفاجة ، بنو قشير بن معب ، بنو قشر بن عكل ، بنو غيظ ، ثقيف ، لُكَيز ، شن، وغيرها .

كما يذكر أيضا قبائل الأزد ،

= – هذيل : بنو لحيان : حى من هذيل (٣/ ٢٩٧) .

– قبائل متفرقة وغير معينة : بنو شقير : قبيلة (٥/ ٣٦) خشينة : حى من العرب (٤/ ١٧٠) ؛ « شعفر بطن من بنى ثعلبة يقال لهم :. بنو السعلاة » (٢/ ٣١٣) ؛ بنو عيش : قبيلة ، وهم بنو عائشة (٢/ ١٨٩) ؛ عتيب اسم قبيلة (٢/ ٧٧)؛بنو ذريح : حى من العرب (٣/ ٢٠٠) ؛ هداد : حى من العرب (٣/ ٣٤٨) ؛ «هزان » قبيلة أيضاً (٤/ ١٥) ؛ « هُذيل » اسم قبيلة (٤/ ٣٩) ؛ باهلة حى من العرب (٤/ ٥٥) ؛ جل وجلان (٦/ ١٨) ؛ بنو جُشم قبيلة من هوازن (٦/ ٤٠) ، حى جديس فى اليمامة (٦/ ٤٧) ؛ جديلة : قبيلة (٦/ ٧٩) ؛ « النَّجَدات » قومٌ من الحَرورية ينسبون إلى نجدة الحرورى » (٦/ ٨٥) ؛ قبيلة من بنى الهون بن خُزيمة ، وهم من القارة (٦/ ٢٧٨) ، سدوس (٧/ ١٨٥) ؛ بنو راسب (٧/ ٢٥٠) ؛ زبينة (٧/ ٣٧٤) ؛ إزد (٧/ ٣٧٨) ؛ طىء (٧/ ٤٦٧) ؛

وردت أخبار جمعه اللغة فى البوادى فى « إنباه الرواة » ص ٢/ ٢٥٧ – ٢٥٨ ، وفى « معجم الأدباء » . ص ١٣/ ١٦٩ .

– النَّبيث : حي من الأنصار (٨/ ١٣٠) ؛

– اليمن : « سبأ : اسمُ رجلٍ يجمعُ عامَّةَ قبائل اليمن وهو اسمُ بلدة ايضاً سكنتْها مَلِكتهم بلقيس » (٧/ ٣١٥) ؛ « عُرينة: اسم حى من اليمن » ؛ « معافِر : قبيلة من اليمن » (٢/ ١٢٤) ؛ « يَنْعَم : حى من اليمن » (٢/ ١٦٣) ؛ «عقرس : حى من اليمن » (٢/ ٢٩٢) ؛ « جُرهُم » حى من اليمن (٤/ ١١٧)؛ « العَوقة : حى من اليمن » (٢/ ١٧٤) ؛ حدان : حى من اليمن (٣/ ٢٠) ؛ الحُرقة : حى من اليمن (٣/ ٤٥) ؛ « الهُزَر » قبيلة من اليمن (٤/ ١٣) ؛ بهراء حى من اليمن (٤/ ٤٩) ؛ « قَرَن : حى من اليمن منهم أويس القرنى (٥/ ١٤٢) « الناقم : حى باليمن » (٥/ ١٨١) ؛ القساملة : حى من اليمن (٥/ ٢٥٣)؛ السُكاسك والسكاسكة : حى من اليمن (٥/ ٢٧٢) ؛ قيس كبة : حى من اليمن (٥/ ٢٨٥) ؛ شاكر : قبيلة من اليمن من همدان (٥/ ٢٩٣) ؛ جنادة (٦/ ٨٦) ؛ « جُذام اسم حى من اليمن هم من بنى أسد من خذيمة (٦/ ٩٧) ، جرم (٦/ ١١٩) ، شبام (٦/ ٢٧٢) صداء (٧/ ١٤٢) ، سد (٧/ ١٨٤)، بنو مسلية (٧/ ٢٩٨)، أوس (٧/ ٣٢٩) ؛ بُنانة (٨/ ٣٧٣) ؛

– الشام : « حُدَس » حى من اليمن بالشام » (٣/ ١٣١) ؛ « جَفْنَة : قبيلة من اليمن ، ملوك بالشام (٦/ ١٤٦) وغيرها .

والأوس، والخزرج ، وبنى أسد ، وبنى سعد ، وبنى فزارة ، وبنى قريظة ،وبنى هوازن ، ومضر،وهذيل .

أو يورد أسماء أحياء وقبائل دون أن ينسبها مثل : بنى شقير ، وخشينة ، وشعفر ، وبنى عيش ، وعتيب ، وبنى ذريح ، وهداد ، وهزان ، وهديل ، وباهلة ، وجل،وجلان ، وجديس ، وجديلة ، وبنى راسب،وغيرها.

والمعجم يتوقف طويلاً لتعداد قبائل اليمن التى ينسبها كلها إلى رجل ، هو « سبأ » ، وهو اسم حملته بالتالى إحدى البلدات ، التى «سكنتها ملكتهم بلقيس». من هذه الأحياء والقبائل : عرينة ، ومعافر وينعم ، وعقرس ، وجرهم ، والعوقة ، وحدان ، والحرقة ، والهزر ، وبهراء ، وقرن ، والناقم ، والقساملة ، والسكاسكة، وقيس كبة ، وشاكر ، وجنادة ، وجذام ، وجرم ، وشبام ، وصداء ، وسد ، وبنى مسيلمة ، وأوس، وبنانة وغيرها . كما يعين أحياناً صلات نسب هذه القبائل والأحياء بعضها ببعض، مثل صلة جذام ببنى أسد من خزيمة، أو يبين لنا انتقالها ، مثل وجود الحى اليمنى «حدس» فى الشام وغيرها .

٥ - (ج) الفلك

إذا كنا شكونا من المعلومات الواردة فيما سبق من غياب الدقة فى بعض الأحيان (مالا يساعدنا فى بعض المواضع على تكوين صورة منسقة فى ميدان ما) ، فإننا لا نجد أسباباً للشكوى فى معلومات « كتاب العين » عن الفلك بنجومه وكواكبه وبروجه (١).

---

(١) - نبذات عن الفلك فى « كتاب العين » :

« المنجم يقول : الفَلَك سبعةُ أطواقٍ دون السماء ، رُكِبَت فيها النجومُ السبعة ، فى كل طوقٍ نجم وبعضها أرفعُ من بعض تدور فيها بإذن الله » (٥/ ٣٧٤) ؛ « البُرج واحدٌ من بروج الفلك وهو اثنا عشر برجا » (٦/ ١١٤) ؛ « النجم : اسمٌ يقعُ على الثريا ، وكلُّ منزلٍ من منازل القمرِ سُمى نجماً ، وكلُّ كَوكبٍ من أعلامِ الكواكب يسمى نجماً ، والنجوم تَجمعُ الكواكب كلّها . . . والمنجِّمُ الذى ينظرُ فى النجوم » (٦/ ١٥٤) ؛ « يقال للنجوم عِلاطُ النجم : المعلق به . قال :

وأعلاطُ النجوم معلقات كحبل القرق ليس له انتصاب

قال : لأن النجوم أول ما تطلع مُصعدة فإذا ولَّتَ للمغيب ذهب انتصابها .

وأعلاط النجوم وأفرادها ، التى ليست لها أسماء كخيل القِرق جعلها حجارة ، لأن تلك الحجارة أفراد لا اسم لها فكذلك هذه النجوم لا أسماء لها ، والقِرْقُ لعبة لهم ، جعلَها خيلاً لأنهم يلعبون هذه اللعبة بالحجارة » (٢/ ١٠-١١) ؛ «الدارة : دارة القمر » (٨/ ٥٧) ؛ « التِّنِّين : نجمٌ من نجومِ السحاب وليس بكوكب ولكنه بياضٌ خفىٌ يكونُ جسدهُ فى شبيه من الماء وذَنَبُه دقيق أسود فيه التواءٌ يكون فى البرجِ السابعِ من رأسِه وهو يتنقلُ كتنقلِ الكواكبِ الجوارى ، واسمه بالفارسية « هَشْت أبير » فى حسابِ النجوم ، وهومن النحوس » (٨/ ١٠٨) وغيرها .

وهى معلومات تتأتى من مصدرين على ما تبين لنا : من المعتقدات الشعبية ، التى تصل بين الظواهر الفلكية وبين وقوع أو حدوث أفعال مناخية أو إنسانية بعينها ؛ أو من «علم التنجيم» أو من «المنجم» حسبما يفيدنا الخليل فى غير موضع.

= – النجوم : « الشِّعرى العَبور : نجم خلف الجوزاء » ـ(١/ ٢٥٢ و ٢/ ١٢٩) ؛ « وسعدُ بُلَع : نجم يجعلونه معرفة» (٢/ ١٥١) ؛ « العَوَّاء : نجم فى السماء (٠٠٠) ، وهى من نجوم السنبلة من أنواء البرد فى الربيع ، إذا طلعتْ وسقطتْ جاءتْ بالبرد ، ويُقال لها عَوّاء البرد » (٢/ ٢٧٠ و ٢٧١) ؛ « الرامح : نجم يقال له السِّماك المِرْزَم » (٣/ ٢٢٦)؛ « الفكة : النجوم المستديرة ، التى إلى جانب بنات نعش ، وهى التى يسميها الصبيان : قصعة المساكين » (٥/ ٢٨٤) ؛ « الكَلْبُ من النجوم بحذاء الدَّلْو من أسفل ، وعلى طريقته نجم أحمر يُقال له : الراعى » (٥/ ٣٧٦) ؛ «كيوان : نجمٌ يقال له : زُحل » (٥/ ٤٢١) ؛ « الجدَى : نجم فى السماء » (٦/ ١٦٧) ؛ « البَرْجيس : من أسماء النجوم » (٦/ ٢٠١) « « النَّسران : نجمان فى السماء يقال لأحدهما الواقع وللآخر الطائر ، معروفان » (٧/ ٢٤٢) ؛ « النَّوْء: من أنواء النجوم ، وذلك إذا سقط نجمٌ بالغداة فغاب مع طلوع الفجر ، وطلع فى حياله نجم فى تلك الساعة على رأسِ أربعة عشر منزلاً من منازل القمر سُمِّى بذلك السَّقوطُ والطلوعُ نوءاً من أنواء المطر والحر ،البرد » (٨/ ٣٩١) وغيرها .

– منازل القمر : « سعد الذابح ، وسعد بُلَعَ ، وسعد السعود ، وسعد الأخبية ، نجوم من منازل القمر وهى بروج الجدى والدلو » (٣٢١) ؛ « الضَّيقُ والضيِّقة : منزلٌ للقمر بلِزْق الثُّريا مما يلى الدَّبران ، تزعمُ العربُ أنه نحس » (٥/ ١٨٦) ، والنعَّائم : من منازل القمر » (٢/ ١٦٢) ؛ « الأُدْحَىّ : منزل فى السماء بين النعائم وسعد الذابح ، يقال له : البَلْدَة » (٣/ ٢٨٠) ؛ « الغَفْر من منازل القمر » (٤/ ٧-٤) ؛ « الإكليل » من منازل القمر « ٥/ ٢٧٩) ؛ « الهالة : دارة القمر » (٤/ ٨٩) « الصَّرفة: كوكبٌ واحدٌخلف خراتى الأسد ، إذا طَلَعَ أمامُ الفجر فذاك أولُ الخريف ، وإذا غابَ مع طلوع الفجر فذاك أولُ الربيع ، وهو من منازل القمر » (٧/ ١١٠) . « البلدة : موضع لا نجومَ فيه بين النعائم وسعد الذابح ليس فيه كواكب عظام تكون علماً ، وهى من منازل القمر ، وهى من آخر البروج ،سُميت بلدةً وهى من برج القوس خالية إلا من كواكب صغار » (٨/ ٤٢) ، وغيرها .

– الكواكب : « الذابح : كوكب يقال له : سَعْدُ الذابح من منازل القمر فإذا طلع الذابح انجحر النابح » (٣/ ٢٠٣) « المِرّيخ من الكواكب بَهرام » (٤/ ٢٦١) ؛ « العيوق : كوكب بحيال الثريا إذا طلع علم أن الثريا قد طلعت » (٢/ ١٧٩)؛ « عطارد : كوكبٌ لا يُفارقُ الشمس ، وهو كوكب الكتاب (٢/ ٣٢٧) ، الكوكب « حُضار» (٣/ ١٠٣) «وإذا اجتمعن الكواكب الخُنّس مع الكواكب المضيئة من كواكب المنازل سُمِّيتْ الوُضّح (٣/ ٢٦٦) . «سُهَيل: اسم كوكب يرى بالعراق ولا يرى بخراسان ويقالُ : إن سُهَيلاً كان عشاراً على طريق اليمن ظلوماً فمسخَهُ الله كوكباً (٤/ ٧) «الزهرة : اسمُ كوكب (٤/ ١٣) « السّها : كوكبٌ صغير . يقال : هو الذى يسمى أسلم مع الكوكب الأوسط من بنات نعش (٤/ ٧٢) «الخُنّس: الكواكب الخمسة التى تجرى وتخنُس فى مجراها حتى يخفى ضوءُ الشمس ، وخُنوسُها : اختفاؤها بالنهار » (٤/ ١٩٩) ؛ « السِّماكان : كوكبان ينزل أحدهما بالقمر من برج السنبلة » (٥/ ٣١٨) ؛ « الشَّرطان : كوكبان ، يُقال : إنهما قَرْنا الحَمَل ، هو أولُ نجم نِن الربيع » (٦ / ٢٣٤) ؛ « الفارطان : كوكبان متباينان أمام سرير بنات نعشٍ » (٧/ ٤١٩) ؛ «الرَّديف :كوكبٌ قريبٌ من النَّسر الواقع » (٨/ ٢٣) ؛ « الترأم من كواكب الجوزاء » (٨/ ١٣٩) ؛ « النَّثرة : كوكب فى السماء كأنه لَطْخُ سَحاب حيال كوكبين صغيرين تُسميه العرب نَثرة الأسد وهو من منازل الشمس والقمر ، وهو فى علم النجوم من بروج السرطَان » (٨/ ٢١٩) وغيرها .

– البروج : « العَقْرَب : برج فى السماء ، وطلوعُها فى حد الشتاء » (٢/ ٢٩٧) ؛ الحَمَل : برجٌ من البروج الأثنى عشر » (٣/ ٢٤٠) ؛ « الحوت : برج من الأثنى عشر ، وهو آخرها » (٣٠/ ٢٨٢) ، « السمكة : برج فى السماء يقال لها الحوت » (٥/ ٣١٧) ؛ « وكلُ برجٍ من بروج السماء ثلاثون درجة » (٦/ ٧٨) ؛ « السرَّطَان : برجٌ فى السماء منه أنف الأسد » (٧/ ٢١١) ؛ هقعة (١/ ٩٦) ؛ عوهق (١/ ٩٧) ؛ رقع (١/ ١٥٧) ؛ « العذرة » (٢/ ٩٥) ؛ « الذِّراع » (٢/ ٩٨) الشهور : « الأزر : حسابٌ من مجارى القمر ، وهو فضولُ ما يَدخلُ بين الشهور والسنين » (٧/ ٣٩٨) وغيرها ،

فهو لا يتأخر عن تقديم صورة عما عليه الفضاء الخارجى : فالسماوات «سبع» ، بين السماء السابعة ، وهى «سدرة المنتهى» ، و «السماء الدنيا» ، وهى «الأرقع» و «الرقيع» يقع الفلك «دون» السماء ؛ ويتألف من «سبعة أطواق» ، لكل طوق فيها «نجم» جرى «تركيبه» بحيث يأتى بعضها «أرفع من بعض».والنجوم «تدور» فى الأطواق ولكن . . . «بإذن الله» . إلا أن هذا التعيين لا يفيدنا فى تبين أمور أخرى مثل التميزات الدقيقة بين النجوم والكواكب وغيرها . ويفيدنا المعجم، على سبيل المثال . بأن الفلك يتألف من «أبراج» وأنها اثنا عشر برجاً منها : «العقرب» وطلوعه فى حد الشتاء؛ و «الحوت» و «الحمل» و «القوس» و «الثور» و «السمكة» ، و «الجوزاء» و «الدلو» و «السرطان» وغيرها ، كما يعين لنا المعجم عدد درجات كل برج وهى ٣٠ . وهو يعدد لنا أسماء النجوم شارحاً أحوال بعضها ، مثل النجوم التالية : التنين ، والعواء ، والشعرى العبور ، وسعد بلع ، والرامح ، والجدى ، والفكة ، والكلب ، وكيوان ، والبرجيس ، والنسران وغيرها .

كما يعين مواضعها فى بعض الأحيان ، فيشير إلى أن «الشعرى العبور» نجم يقع «خلف الجوزاء» ، وأن «الفكة» نجوم «مستديرة» وأن «العواء» من نجوم «السنبلة» وغير ذلك من التعيينات ، كما يعدد لنا أسماء بعض الكواكب، مثل: الذابح، والمريخ، والعيوق ،وعطارد ، وحضار ، وسهيل ، والزهرة ، والسها، والخنس، والسماكان ، والشرطان ، والفارطان ، والرديف ، والتوأم والنثرة وغيرها . كما يعمل أحياناً على تعيين مواضعها : فـ «العيوق» يقع «بحيال الثريا» ، وهو «إذا طلعَ عُلِمَ أن الثريا قد طلعت» ؛ كما «لا يفارق» عطارد الشمس ، وأن كواكب «الخنس» الخمسة تخفى ضوء الشمس أحيانا وغيرها كما يتوسع فى تبيان «منازل القمر» مثل: النعائم، والغفر، والإكليل ، والصرفة ، والبلدة وغيرها .

استقى الخليل هذه المعلومات من المنجمين خاصة وأننا نعرف عنه أنه كان ضالعاً فى علم التنجيم ، على الرغم من تنكره الدينى له ، على ما عُرف عنه . إلا أن إيراد هذه المعلومات يبين لنا أنه استقاها فى بعض الأحوال من المعتقدات الشعبية خصوصا ، فهو يربط ، على سبيل المثال. بين نجم « التنين » ومنزل القمر « الضيق » من جهة و« النحوس » من جهة ثانية ؛ أو يجعل « عطارد » كوكب « الكُتّاب » ؛ أو مثل الجمع بين نجم « العواء » وسقوط البرد وغير ذلك .

غير أن تعيين هذه النجوم والكواكب يفيده فى بعض الأحيان فى تعيين المواقيت والتبدلات المناخية والفصول : فـ« العواء » يعد من أنواء البرد فى الربيع . وإذا طلع خراتى الأسد أمام الفجر « فذاك أول الخريف ، وإذا غاب مع طلوع الفجر فذاك أول الربيع » و « السرطان » هما « أول نجم فى الربيع » كما يبين لنا أيضا « حساب » أو تقويم النجوم ، أى الشهور والفصول ، سواء الرومية فى « حساب أهل الشام » [1] ، أو العربية [2] .

٥ - (د) قصص الأقوام

نقع فى مواد هذا المعجم على معلومات واسعة متصلة بحياة أقوام عديدين من العرب ، بسواء فى وثنيتهم

(١) - نبذات عن التقويم الرومى فى « كتاب العين » :

عام الكبيس فى حساب أهل الشام (٥/٣١٦) ؛ « سُباط : اسم شهر بالرومية ، وهو فصل بين الربيع والشتاء ، وفيه كما يقولون تمام اليوم الذى تدور كسوره فى السنين فإذا تمَّ ذلك اليومُ فى ذلك الشهر سمى أهل الشام تلك السنة عام الكبيس يُتيمن به إذا وُلِدَ فى تلك السنة ، أو قدم فيه إنسان » (٧/٢١٩) ؛ «تشرين : اسم شهر من شهور الخريف بالرومية» (٦/ ٢٤٥) ؛ « أيلول : اسم شهر من شهور الروم أول الخريف » (٨/ ٣٥٧) وغيرها .

(٢) - نبذات عن الشهور العربية فى « كتاب العين » :

ذو القعدة (١/ ١٤٢) ؛ شعبان (١/ ٢٦٥) ؛ جُمادى (٦/ ٩٠ و ٨/ ١٢٢) ، رجب وشعبان (٦/ ١١٣ و ٧/ ١١٥) ، وشوال (٦/ ٢٨٥) ؛ اسم الثلاثاء فى الجاهلية (٦/ ١١٦)؛ « رمضان :شهر الصوم » (٧/ ٣٩) ؛ صفر والمحرم (٧/ ١١٥)، « النسيئة » من الأشهر الحرم (٧/ ٣٠٦) ؛ «دبار » اسم ليلة الأربعاء فى الجاهلية (٨/ ٣٣) ؛ « البدر : القمر ليلة البدر وهى أربع عشرة » (٨/ ٣٤) ؛ ليلة البدر هى أطول ليلة فى السنة (٨/ ١١٢) ؛ « الفَلْتَة » آخر يوم من الشهر الذى بعده الشهر الحرام (٨/ ١٢٢) وغيرها .

أو فى إسلامهم أو المسيحيين واليهود ، وغيرهم من الأقوام ممن جمع الخليل (أو وَصَلْته) أخبارهم .

٥ - (د) - ١ : أخبار الجاهلية

بدا لنا ضرورياً البدء بعرض ما يسوقه الخليل من أخبار عن عرب الجاهلية [١]

---

(١) - نبذات عن أخبار الجاهلية فى « كتاب العين » :

- فى المعتقدات : « النشع : جُعْلُ الكاهن » (١/٢٥٨) ؛ منازل الجن (٥/ ١١٤) ؛ وضع العرب كعاب الأرانب فى أرجلهم خشية الموت (٣٢٦) ؛ « العتيرة » (الذبح للأصنام فى رجب) - ٢/ ٦٥ ؛ عبادة الأصنام (٥/ ١٤١) ؛ ذبائح العرب فى رجب (٦/ ١١٣) ؛ « التابعة : جنية تكون مع الإنسان تتبعه حيثما ذهب » (٢/ ٧٨) ؛ « تزعم العرب أن الجن لا تدخل بيتا فيه الحَزَّى » وهو نبات شبه الكرافس (٣/ ٢٧٤) ؛ مداواة داء الكلب (٥/ ٣٧٥) ؛ علاقة الجاهليين بالهلال (٣/ ٢٧) وغيرها .

- عن الشعراء : إبليس امرىء القيس (٥/ ٢٥٣) ؛ قول امرىء القيس عند مقتل والده (٣/ ٥٢) ؛ « كامل » فرس بنى امرىء القيس (٥/ ٣٧٩) ؛ « مِسحَل » اسم جنى الأعشى (٣/ ١٤٠) ؛ اسم ناقة ذى الرمة : « صيدح » (٣/ ١١٣) ؛ عادات الخطابة فى النادى (٤/ ٢٢٢) ؛ « دار الندوة » بمكة (٨/ ٧٦) ؛ قصة ذى الرمة مع مية (٣/ ١٥٦) ؛ السموءل بن عادياء «أوفى أهل زمانه » (٧/ ٢٦٧) وغيرها .

- من القصص :قصة سطيح الكاهن من بنى ذئب (٣/ ١٢٩) ؛ قصة ملك اليمن أبرهة حين ساق الفيل إلى « البيت » وأهلكه الله (٤/ ٤٩) ؛ ذو يزن ملك اليمن (٧/ ٣٨٧) قيدار جد العرب (٥/ ١٣٣) ؛ « شمر » ملك اليمن (٦/ ٢٦١) حكاية موت ملك اليمن الحارث بن آكل المرار (٨/ ٢٦١) حكاية ابن جلا (٦/ ١٨١) ؛ « قُباع بن ضبة أحمق أهل زمانه » (١/ ١٨٣) ؛ هَبَنَّقَة القيسى« : أحمق بنى قيس بن ثعلبة (٤/ ١١٢) ؛ « عوج بن عوق صاحب الصخرة الذى قتله موسى » (٢/ ١٨٥) ؛ قصة الضَّحَّاك بن عدنان الذى « يقال مَلَكَ الأرض » (٣/ ٥٨) ؛ « تبَّع : اسم ملك من ملوك اليمن ، وكان مؤمناً » (٢٠/ ٧٩) ؛ مزيقياء ، أحد ملوك اليمن (٥/ ٩٥) ؛ قصة الضب « قاضى الدواب والطير » (٣/ ١٣٩ و ٧/ ١٤)؛ ذكر « عكراش أرمى أهل زمانه » (٢/ ٣٠٣) ؛« باقل » الأحمق (٥/ ١٧٠) ، عرقوب اليثربى « أكذب أهل زمانه موعداً» (٢/ ٢٩٦) ؛ عامر بن الظرب « حكيم العرب » من قيس (٨ / ١٥٩) معلومات عن الأحابيش « الذين انضموا إلى بنى الحارث فى حربهم مع قريش (٣/ ٩٨) ؛ أخبار عن حى « جُرهُم » اليمنى وعن نزولهم فى مكة وزواج إسماعيل فيهم وإلحادهم فى الحرم وإبادة الله لهم (٤/ ١١٧) ؛ ما حدث لجد النبى مع الثريد (٣/ ٤٠٥) قصة موت ملك اليمن أبى يكسوم الحبشى (٤/ ٤٩) ؛ قصة المثل « وافق شن طبقة » (٥/ ٨٠ - ١ و ٦/ ٢٢٠) ، يعمر بن الملوح وتحكيمه بين خزاعة وقصى عند اقتتالهم فى أمر البيت (٤/ ١٦٧) ؛ قصة مقتل أحد جلساء النعمان (٧/ ٢٢٧) « وإساف : اسم صنم كان لقريش ، ويقال : إن إسافا ونائلة كانا رجلاً وامرأة دخلا البيتَ فوجدا خلوةً ، فوثب إساف على نائلة فمسخهما الله حجرين » (٧/ ٣١٢) ؛ قصة « سنمار » بانى الأطام (٧/ ٣٤٣) وغيرها .

- عن العادات : مواسم أسواق العرب فى الجاهلية وموسم الحج (٧/ ٣٢٢) ؛ « وئيد» البنات (٨/ ٩٧) ؛ « رفادة » قريش (٨/ ٢٥) ؛ و « المرباع كانت العرب إذا غزت أخذَ رئيسهم رُبعَ الغنيمة وقَسَمَ بينهم ما بقى » (٢/ ١٣٣) ؛ «التلكيم» أوعادات الضيافة عند خولان بن عمرو بن قُضاعة (٥/ ٣٧٩) ؛ قصة زواج الأعراب فى الأحياء (٣/ ٦٤) ؛ زواج امرأة لقيط بن عدِّى بعد موته (٧/ ١٤٣) ؛ « العَدَس : بثرة من جنس الطاعون قلما يُسلم منها ، وبها مات أبو لهب » (٣٢١) ، حال « الصعاليك » (٣/ ٣٧٧) ؛ الاستقسام (٧/ ٣٧٠) طمر الماء فى بيض النعام فى الفلوات فى الشتاء (٨/ ١٢٠) وغيرها .

وهى أخبار واسعة تتصل بمعتقداتهم ، أو بقصصهم أو بعاداتهم ، أو بألعابهم سواء للصغار أو الصبيان أو الرجال ، أو تتصل بأيامهم الشهيرة ، أو بأخبار شعرائهم وغيرها .

فهو يبين لنا عدداً من التدابير السحرية التى تؤمنهم المكاره والمخاوف ، كأن يضعوا كعاب الأرانب فى أرجلهم خشية الموت ؛ أو صلاتهم بالجن وطردها ، كأن يضعوا فى البيوت نبات « الحَزى » كما يعرض لعدد من عاداتهم فى عبادة الأصنام والذبائح وغيرها ، ويبين لنا شيئاً من عاداتهم فى « وئيد » البنات و «الاستقسام» وزواج الأعراب ، وعادات الضيافة ، وطمر الماء فى بيض النعام فى الفلوات فى الشتاء ، وقسمة الغنائم وغيرها . أو يعرض لـ « أيام » الجاهلية ، أى وقائعهم فى الحروب القبلية مثل أيام حليمة ، وبزاخة ، والوقيظ ، وعكاظ وغيرها، أو يشرح لنا شيئاً من فنونهم فى القتال ، مثل « المناجزة » أو مسميات الرمى فى النضال، أو أقوالهم فى الغارات وغيرها . أو يوضح لنا جوانب من الألعاب التى مارسوها لاسيما عند صبيان الأعراب، مثل ألعاب «البقيرى» و « المفايلة » و « القلو » و « الطث » و « المخراق » ؛ أو ألعاب الفرسان ، مثل « قصب السباق » و « الطبطابة » و «الأخطار» وغيرها، كما يتوقف أحياناً لسرد قصص الجاهلية ، التى أصبحت

= – عن أيام العرب : « يوم حليمة : وقعة كانت فى الجاهلية » (٤٣/ ٢٤٧) ؛ أقوال العرب فى الغارات (٤/ ٧٢) ؛ « المناجزة » فى الحرب (٦/ ٧١) ؛ « يوم بزُاخة من أيام العرب معروف » (٤/ ٢١١) ؛ مسميات الرمى فى النضال (٤/ ١٨٦) ؛ عادات الحروب فى الجاهلية والفتح (٦/ ١٢٢)؛ « يوم الوقيظ » بين تميم وبكر (٥ / ٢٠٠) ؛ عن حرب عكاظ (٧/ ٣٥) ؛ سبب اندلاع الحرب بين بكر وتغلب (٧/ ٢٠٥) وغيرها .

– عن الألعاب : لعبة الصبيان « المقَثّة » أو المطثَّة » (٥/ ٢١) ؛ لاعب البقيرى (٥/ ١٥٨) « الجماح » لعبة للصبيان (٣/ ٨٨) ؛ « السحارة » لبعة الصبيان (٣/ ١٣٥) ؛ الفشخش فى لعب الصبيان (٤/ ١٧٢) ؛ لعبة « المفايلة » عند فتيان الأعراب وصبيانهم (٨/ ٣٣٥) ؛ لعبة « مداد قيس » للصبيان (٨/ ١٦)؛ « مخارجة لعبة لفتيان العرب » (٤/ ١٥٩) ؛ « المخراق » منديل لعبة للصبيان (٤/ ١٥٠) ؛ لعبة الجنُابى » (٦/ ١٤٨) لعبة « القُلو » (٥/ ٢١١) ؛ لعبة لصبيان العرب (٤/ ١٧) ؛ «الزّدوُ » من لعب الصبيان بالجوز (٧/ ٣٧٧) ؛ لعبة « الطَّث » للصبيان (٧/ ٤٠٣) ؛ لعبة « الطُّبنة » أو الرحى للصبيان (٧/ ٤٣٨) « الهبهاب : لعبة لصبيان العراق » (٣/ ٣٥٦) ؛ « الزُّوف » أو الخفة فى الفروسية (٧/ ٣٨٨) ؛ « الرخ : من أدوات الشطرنج » (٤/ ١٣٩ و ٧/ ٣٦٢) ؛ « لعبة الشطرنج » (٢/ ١٤٨) ؛ معلومات عن « قصب السباق » (٤/ ٢١٣) ؛ « الطَبطابة » خشبة الفارس فى لعبة الكرة (٧/ ٤٠٧) ؛ و « الإخطار » وهو الإحراز فى اللعب بالجوز (٤/ ٢١٤)؛ الاحتيال عند صيادى الطيور (٣/ ٣٠٠) صيد البزاة (١٦١٥) وغيرها .

« مضرب مثل » مثل : قباع بن ضبة «أحمق أهل زمانه» ، أو عكراش « أرمى أهل زمانه » أو عرقوب « أكذب أهل زمانه موعداً » . أو يروى لنا أخبار ملوك اليمن مثل أبرهة حين ساق الفيل إلى «البيت» فأهلكه الله ؛ أو ذى يزن ، أو شمر ، أو الحارث بن آكل المرار ، أو تبع ، أو ومزيقياء ، أو أبى يكسوم الحبشى وغيرهم . أو يتوقف أمام أخبار شعراء الجاهلية : نتعرف إلى «كامل» فرس امرىء القيس ، وإلى « صيدح » ناقة ذى الرمة ، وإلى « مسحل » جِنِّى الأعشى، وشيطان امرىء القيس ، وإلى ما جرى لذى الرمة مع «مية» ، وإلى حال « الصعاليك » أو إلى عادات جاهلية فى الخطابة أو فى « دار الندوة » بمكة وغيرها .

٥ - (د) ٢ : الأخبار الإسلامية

نقع فى مواد المعجم على معلومات إسلامية فى غير صعيد وميدان (١) ،

---

(١) - نبذات عن الأخبار الإسلامية فى « كتاب العين » :

- عن التحريمات : منع الجارية من الصلاة فى بعض الأحوال (١/ ٢٩٤) ؛ نهى النبى عن الإدهان كل يوم (٤/ ٦٤) النهى عن المُجَثَّمَة (٦/ ١٠٠) نهى الرسول عن الانتباذ فى الدُّباء والحَنْتَم والنقير (٨/ ٨٢ - ٨٣) ؛ نهى النبى عن أكل اللحوم الحمر الأهلية يوم خيبر (٤/ ٩٠) إبطال الرسول لمعتقدات جاهلية فى الموت (٧/ ١٤٠) ؛ تحريم الملوج (٥/ ٢٠١) النهى عن التلقى (٥/ ٢١٦) النهى عن المضامين والملاقيح (٧/ ٥٢) ؛ استقباح اللعب فى النرد (٨/ ٢٢) ؛ كراهية الصلاة مع الشملة الصماء (٦/ ٢٦٦) ؛ تهديم الإسلام لخدن الجارية (٤/ ٢٣٢) ؛ عدم نهى النبى لـ « رقبة العقرب » (٥/ ١٠٦) ؛ نهى الرسول لبس مناجد من ذهب (٦/ ٨٤) ؛ قتل النبى للفأرة فى الحرم (٥/ ٨٢) ، هُبل صنم قريش ، وما جرى بين النبى وأبى سفيان يوم أُحُد (٤/ ٥٤) ؛ رفض النبى القيام بالتسعير (٣٢٩) ؛ « النَّطيحَة : ما تناطحا فماتا ، كان أهلُ الجاهلية يأكلونها فنُهِىَ عنها » (٣/ ١٧٣) ؛ منع الرسول « بيع المضامين والملاقيح وحَبَلِ الحَبَلَة » (٣/ ٢٣٧) ؛ «خزع » (١/ ١١٤) وغيرها .

- عن القصص : حكاية « عطسة آدم » (٣١٩) ؛ بيت خديجة فى الجنة (٥/ ٦٨) ؛ وصف جهنم (٢/ ٥٧) ؛ وصف خلق السماوات من دون عمد (٢/ ٥٩) ؛ عن « تحكيم » الحرورية (٣/ ٢٥ و ٣/ ٦٧) ؛ « الحَفَظَة ، وهم الذين يُحْصُونَ أعمال بنى آدم من الملائكة » (٣/ ١٩٨) ؛ « الحَيزوم » اسم فرس جبريل (٣/ ١٦٦) ؛ قصة عن « آخر الزمان » (٣/ ١٣٤) وغيرها .

- من السيرة : تولع الرسول بالسواك (٢/ ٢٠٧) ؛ قصة غرس النبى لتمر « العجوة » فى المدينة (٢/ ١٨٣) ؛ أوصاف « بريد » الرسول » (٨/ ٢٩) . ما قاله الرسول عند الفتح (٤/ ٩٧) ؛ النزول : قصة نزول سورة «عبس» (٣٤٣) ؛ نزول جبريل على النبى (٧/ ٢٧٦) ؛ تبسُّم الرسول (٧/ ٢٧٧) ؛ ما كان الرسول يصطفيه من الغنيمة بعد الخمس قبل أن يقسم (٧/ ١٦٣) ؛ « الدُّلدُل » بغلة الرسول (٨/ ٨) وغيرها .

- عن الوقائع الإسلامية : تهديم زياد بن أبيه للمواخير المنصوبة فى البصرة حين قدم إليها عاملاً عليها (٤/ ٢٦٢) ؛ قتل الإمام على لـ « ذى الثُّدَيَّة » بالنهروان » (٨/ ٥٥) ؛ تعذيب أصحاب النبى لردهم عن دينهم (٨/ ١٢٧) ؛ أحسب أهل زمانه فى عهد الحسن البصرى (٥/ ٢٩٤) ؛ الاستقراض على أعطياتهم فى زمن الحجاج (٨/ ٢٩٤) « يقال للمشركين : عَبَدَةَ الطاغوت والأوثان، وللمسلمين : عُبَّادٌ يعبدون الله » (٢/ ٤٩) ؛ « وكان عبيد الله بن الحسن قاضى البصرة مولعاً بأن يقول: اسْفِعا بيده ، أى: خذا بيده فأقماه » (٣٤١)؛ ما حدثَ بين أبى دلامة وأبى ليلى،

مثل المعطيات المتعلقة بـ« البريد » وتفيدنا أن للبريد سككاً وأن « لكل سكة منها اثنا عشر ميلاً » وأن « السفر الذى يجوز فيه قَصرُ الصلاة أربعة بُرُدٍ ، وهى ثمانية وأربعون ميلاً بالأميال الهاشمية التى فى طريق مكة » . أو تفيدنا عن « الجهاد » فى الرباطات الذى يقوم به « المطوعة » وهم « القوم الذين يتطوعون بالجهاد يخرجون إلى الرباطات »، أو عن أوضاع الذميين، وهم « أهل العهد » أو عن عاداتهم مثل « التكفير » وهو « إيماء الذمى برأسه » أو « الفلس » وهو « خاتم من رصاص يُختم به عنقُ من يعطى الجزية » وغيرها . أو عن السفن الحربية فى البصرة ، وهى «الحَرّاقات » أى « سفن فيها مرامى نيران يُرْمَى بها العدو فى البحر بالبصرة ، وهى أيضا بلغتهم : القلائين والفحامين » . وعن عادات أهل البصرة وتسمياتهم ، مثل الساقى « الذى يطوف عليهم بالماء » فى الأسواق ، وهو « البيّاب » وعن طلب الزواج من العربى فى « كابل » : « وإنما الاستفحال على ما بلغنى من أهل كابل عن علوجها أنهم إذا وجدوا رجلاً من العرب جسيماً جميلاً خلّوا بينه وبين نسائهم رجاءَ أن يُولدَ فيهم مثله » . أو عن عادة صبيان العرب الذين « إذا رأوا سُمانى قالوا : سُمانى سمانى لُبادى البُدى لا تُراعى ، أى لا تفزعى والبُدى لا تُرى ، ولا يزالون يقولون ذلك وهى لابدة ، ويدورون بها حتى يأخذوها » وغيرها .

كما يشتمل المعجم على قائمة واسعة من التحريمات التى نهى الإسلام عنها ، مثل : منع الجارية من الصلاة فى بعض الأحوال ، والنهى عن الادهان فى كل يوم، وعن « المُجَثَّمَة » ، أو عن أكل لحوم الحُمُر ، أو عن « التلقى » وغيرها الكثير . كما نقع على أخبار من السيرة

= وهو على القضاء (٨/ ٢٣٠) ؛ قصة طلب رجال كابل إخلاء نسائهم بالعرب (٣/ ٢٣٤) ؛ و « مُزاحم او أبو مُزاحم أولُ خاقانٍ وَلِىَ التُّركَ وقاتَلَ العربَ ، فَقُتِلَ زَمَنَ أسَد بن عبد الله القسرى » (٣/ ١٦٧) موضع فى البصرة حيث نبحت الكلاب على عائشة (٣ / ٣١٠) ؛ إشباع على بن طالب لرفع النون (٥/ ١٧١)؛خطب الحسن بن على بن أبى طالب أمام معاوية (٥/٢٤٣)؛ ما قاله الإمام على مرة (٧/ ٢٣٥) ؛ « أبو فراس » كنية الفرزدق (٧/ ٢٤٥) ؛ دواعى تسمية « المهاجرين » (٣/ ٣٨٧) ؛ « المُذهِب » الشيطان الذى يُفْتن القراء (٤/ ٤١) ؛ « الوَهط » وهى ضيعة عمرو بن العاص فى الطائف (٤/ ٧٦) غزو عمرو بن العاص لأرض فى أرض الشام (٧/ ١٩٥) وغيرها .

النبوية ، مثل تولع الرسول ﷺ بالسواك ، أو غرسه لتمر « العجوة » فى المدينة ، أو ما كان يصطفيه من الغنيمة بعد الخمس ، أو قصة نزول إحدى سور القرآن عليه وغيرها . كما نتعرف على عدد من الوقائع الإسلامية ، سواء ما جرى فى عهد الرسول ، أو فى عهد الخلفاء ، مثل غزو عمرو بن العاص لأرض فى بلاد الشام ، أو قتل الإمام على لذى الشدية بالنهروان ، أو تهديم زياد بن أبيه للمواخير فى البصرة حين حل فيها عاملاً أو الاستقراض على الأعطيات فى عهد الحجاج وغيرها .

٥ - (د) ٣ : أخبار النصارى

إذا كان الخليل ينسب النصارى [١] إلى المسيح ، مميزاً بينه وبين « المسيح الدجال » . فإنه يقيم التفريق بين « النصارى » و « النسطورية » (وهم « أمة

---

(١) : نبذات عن أخبار النصارى من « كتاب العين » :

- عن العبادات : « الشبر » (القربان - ١/٢٥٨) ؛ « الشَّبْرُ : القربان ، وهو شئ يُعطيه النصارى بعضهُم بعضاً يتقربون به » (٦/٢٥٨) ؛ « والحلوان : ما يُعطاه الكاهن ويجعل له على كهانته» (٣/ ٢٩٥) ؛ « الصَّليب : ما يتخذه النصارى » (٧/١٢٨) وغيرها .

- عن الأعياد : « الفِصْح : فِطر النصارى » (٣/١٢١) ؛ « الهِنْزَ مِن » عيدٌ من أعياد النصارى (٤/ ١٣٠) ؛

- عن رجال الدين : « الرهبانية : مصدر الراهب . والترهب : التعبدُ فى صومعة والجميع : الرُّهبان » (٤/٤٧) « الوافه : القيم على بيت النصارى الذى فيه صليبهم » (٤/٩٦) ؛ « البيعة : كنيسة النصارى » (٢/ ٢٦٥) ؛ « العَسْطوس من رؤوس النصارى بالنبطية » (٢/٣٢٧) ؛ « الأسقف : رأس من رؤوس النصارى » (٥/ ٨٢) ؛ « الحواريون : الذين كانوا مع عيسى عليه السلام ينصرونه ، كانوا قصارين . . فلما جرى على ألسنة الناس سُمِّيَ كل ناصر حوارياً » (٣/ ٢٨٨) ؛ « القَسُّ رأسٌ من رؤوس النصارى . وكذلك القسيس » (٥/ ١٢) ؛ « الهيكل بيتٌ للنصارى فيه صنم على خلقة مريم عليها السلام فيما يذكر ، قال :

مشىَ النصارى حول بيتِ الهيكل » (٣/ ٣٧٧) ؛

« الشماس من رؤساء النصارى الذى يحلقُ وسط رأسه لازماً البيعة ، والجميع : الشمامسة » (٦/ ٢٣٠) ؛ « والأبيل : من رؤوس النصارى ، وهو الأَبِيْلى » (٨/٣٤٨) وغيرها .

- ويقال : كانت أم مريم تسمى حنة » (٣/ ٢٩) ؛ عن « المسيح » و« المسيح الدجال » (٣/١٥٦ و ٦/ ٨٠)؛ « راحيل » : « اسم أم يوسف» (٣/٢٠٨) وغيرها .

- عن العادات : من عادات المسيحيين فى الخضوع الدينى (٥/ ٧٩) ؛ قال الفرزدق :

وجئنَ بأولاد النصارى إليكم حبالى وفى أعناقهن المراصع

أى : الختم فى أعناقهن (١/ ٣٠٠ - ٣٠١) ؛ « الرَّكوسية : قومٌ لهم دين بين النصارى والصابئين ، ويقال : هم نصارى » (٥/ ٣١٠)؛ « النسطورية : أمة من النصارى يخالفون بقيتهم بالرومية : نسطورس » (٧/ ٣٣٨) وغيرها .

من النصارى يخالفون بقيتهم ») ، و « الركوسية » (وهم « قوم لهم دين بين النصارى والصابئين ، ويقال: هم نصارى ») إلا أن معلوماته عن « النصارى » تبدو متصلة بأخبارهم سواء في النبطية أو الرومية ، لا بمسيحيي الجزيرة العربية . وهو يعدد لنا قسما من عباداتهم مثل « القربان » أو « الحلوان » أو عدداً من رموزهم مثل « الصليب » وخلافه ، أو أعيادهم مثل «الفصح» وغيره . ويتوقف أمام رجال دينهم، مثل « الراهب » ، وهو « المتعبد فى صومعة » أو «الوافه » وهو « القيم على بيت النصارى » أو «الأسقف» و « القس » و « القسيس» و « الأبيل » و« الشماس » ملاحظاً أن الأخير منهم «يحلق وسط رأسه» و « يلزم البيعة » أى الكنيسة . كما يلاحظ أيضا أنه يوجد فى الكنيسة « صنم على خلقة مريم » وغيرها .

٥ - (د) ٤ : أخبار اليهود

يقيم الخليل التمييز بين اليهود [1]

---

(١) : نبذات عن أخبار اليهود فى « كتاب العين » :

اليهود لغة وأصلاً (٤/ ٧٦) « السبط من أسباط اليهود بمنزلة القبيلة من قبائل العرب وكان بنو إسرائيل اثنى عشر سبطاً (٧/ ٢١٩) ؛

- العبادات : « الشمعلة » قراءة اليهود (٢/ ٣١٣) ؛ وضع أحد أحبار اليهود سبعين كتاباً من صنوف العلم (٥/ ٣٠) « النذير » فى الكنائس ، وقد يكون ولداً (٨/ ١٨١) ؛ « الأسفار أجزاء التوراة ، وجزء منه سفر ، والتوراة خمسة أسفار أى كتب . سفرٌ يخرج من بنى إسرائيل من مصر وسفر لسيرة الملوك ، وسفر الوصية وسفر مكرر » (٧/ ٢٤٧) ؛ « الزبور » كتاب اليهود (٧/ ٣٦٢) ؛ مواريث بنى إسرائيل (٥/ ٣١٣) ؛ محاريب « الصلاة عند بنى إسرائيل (٣/ ٢١٤) « صلاة اليهود أو « التهنيم » فى بيعهم أى الصلاة بأصوات خفية (٤/ ٦٠) ؛ « وفى الحديث : « كأنكم اليهودُ خرجوا من فُهْرِهم » أى : من موضعِ مدارسِهم الذى يجتمعون فيه كالعيد يُصلون فيه » (٤/ ٤٥) ؛ الُمحَرَّر فى بنى اسرائيل : النذيرة كانوا يجعلون الولد نذيرة لخدمة الكنيسة ما عاش لا يسعه تركه فى دينهم » (٣/ ٢٤)؛ مدينة لوط « سدوم » (٧/ ٢٣٤) وغيرها .

- قصص : تعليم موسى التوراة لبنى إسرائيل (٥/ ١٢٩ و ١٣٠) ؛ قصة بغال سليمان بن داود (٣٢١) ؛ قصة القوم « حَدَس » البغَّالين فى عهد سليمان بن داود (٣/ ١٣١) ؛ عمالقة فى الشام فى عهد موسى ؛ (٢/ ٣٠١) «الخَضِر : نبى معمر ، محجوب عن الأبصار ، وهو نبى من بنى إسرائيل ، وهو صاحبُ موسى الذى التقى معه بمجمع البحرين » (٤/ ١٧٥) ؛ قارون المنافق ابن عم موسى (٥/ ١٤٣) ؛ عن طائر « الحِدأة » الذى يصيد الجرذان لسليمان بن داود (٣/ ٢٧٨) « المِنْسَأة » عصا سليمان (٧/ ٣٠٦) « الهامة : رأس كل شئ من الروحانيين» (٤/ ٩٩) ؛ صنع سفينة نوح (٦/ ١٦٠) ؛ انتشار نسل فروخ من ولد إبراهيم (٤/ ٢٥٣) « آصف » كاتب سليمان (٧/ ١٦٥) ؛ (٤/ ٦٠) وغيرها .

من أدوية اليهود (٥/ ١٧٥) ؛ قلاع اليهود من قُريظة (٧/ ١٧٦) ؛ ما قاله تُبَّعَ فى يهود المدينة ، بنى قريظة وبنى النضير (٧/ ٢١٩)؛ عيد اليهود يوم السبت (٧/ ٢٣٨) وغيرها .

عامة وبين يهود قريظه أو المدينة فى الجزيرة إلا أن معلوماته تتوقف خاصة عند تاريخ اليهود ، لاسيما الدينى منه . فيبين لنا شيئاً عن عباداتهم ، مثل « الشمعلة » أو «التنهيم »، أى القراءة فى كتبهم الدينية ، وقد تكون « بأصوات خفية » . أو يشرح لنا كتبهم الدينية ، مثل التوراة ، وهى عنده « خمسة أسفار : « سفر يخرج من بنى إسرائيل من مصر ، وسفر لسيرة الملوك ، وسفر الوصية ، وسفر مكرر » ، أو « الزبور » وغيرها . كما يعرض للقصص اليهودى ، مثل قصة بغال سليمان بن داود ، أو بناء سفينة نوح، أو عمالقة الشام فى عهد موسى وغيرها .

٥ - (د) ٥ : أخبار متفرقة عن الأقوام

كما يتبين لنا فى نبذات المعلومات هذه ما كان يعرفه الخليل عن أقوام وشعوب غير عربية أو غير مجاورة لهمْ ، أو عن أخبارهم [١] . ونقع فى هذه النبذات على الأقوام التالية : « الترك » ،

---

(١) : نبذات عن أخبار متفرقة عن الأقوام فى « كتاب العين » :

« الجيل : كل صنف من الناس ، التُّرك : جيلٌ ، والصين : جيلٌ ، والعَرَبُ : جيل » (٦/ ١٧٩) ؛ « جَيْلان : . جيلٌ من المشركين خلف الدَّيْلَم » (٦/ ١٧٩) ؛ « والبَعْل : صنم كان لقوم إلياس » (٢/ ١٥٠) ؛ « الدَّعْكَسَة : لَعِبُ أخبار عن ضرب هرقل ، ملك الروم ، ولأول مرة الدنانير ، وعن إحداثه البيعة (٤/ ١١١) ؛ « المجوس : يدوزون وقد أخذَ بعضهُم يدَ بعضٍ كالرقص » (٢/ ٣٠٦)؛ « البرهْمَنُ بالسمتية : عالِمُهم وعابدُهم » (أى فى الهند ٤/ ١٣٠) ؛ « خاقان : اسم لكل ملك من ملوك الترك » (٤/ ١٥٢) ؛ « دَغاوة : جيل من السودان خَلَفَ الزنج فى جزيرة البحر » (٤/ ٢٣٧) ؛ « القبط أهل مصر وبنكها » (٥/ ١٠٩) ؛ نسل الترك والصين (٥/ ٢٥٧) ؛ الكُردْ (٥/ ٣٢٦) يعود الكبريت الأحمر إلى بلاد « التبت » فى وادى النمل (٥/ ٤٣٠) الزَّنج والزُّنج : جيلٌ من السودان » (٦/ ٧١) ؛ « السُّمَنِيَّة : قومٌ من أهلِ الهند لهم دين على حدة ، دهريون » (٧/ ٢٧٤) ؛ « الزط : جيل من السودان ، وهم جيل من أهل الهند ، إليهم تنسب الثياب الزطية » (٧/ ٣٤٧) «قوم ينزلون سواءِ العراق» (٧/ ٤٣٩) المىنذ : جيل من الهند بمنزلة الكرد يغزون المسلمين فى البحر » (٨/ ٢٠٤) ؛ « بَرْبَر : جيلٌ من الناس سئ الخلق ، ويقال إنهم من ولدِ بر بن قيس بن عيلان » (٨/ ٢٦٠) ؛ « النُّوبة : ضربٌ من السودان » (٨/ ٣٧٩) وغيرها .

و « الصين » ، و « قوم إلياس » ، و « المجوس» و «الهند» ،و « السودان»، و « القبط » ، و « الكرد » ، و «الزنج » و « أهل كابل » . كما يفيدنا عن وقوع حروب بين هذه الأقوام والمسلمين ، خاصة فى عهد الفتح ، أو عن عباداتهم . إلا أنها معلومات شديدة الاقتضاب .

٥ - (هـ) الحساب

يشتمل المعجم على معطيات فى الحساب [1] ، سواء أكان الحساب العادى فى الجمع والضرب والجداء وغيرها أو «حساب الجمل ». أما عمليات «الجداء» فـ « يقال : جداء عشرة فى عشرة فيقال: مائة ». و «الجذر » هو « أصله الذى يُضرب بعضه فى بعضه ، وجملته البُرجان. يقال : ما جذر مائة ؟ فيقال : عشرة » . كما يفيدنا أيضاً عن « حساب الجمل » ، وهو « ما قُطع على حروف أبى جاد » .

٦ - التحقق من « كتاب العين »

قمنا فى الفقرات السابقة باستعراض عدد من الميادين والمعلومات التى يتضمنها المعجم فى مواده المختلفة ، بحيث بدا لنا المعجم فى عدد من مداخله اللفظية ، وفى التعريفات المقابلة لها ، أشبه بموسوعة ثقافية منه بمعجم مرادفات . وأفادنا هذا العرض فى التعرف إلى جوانب من الخلفية الثقافية و اللغوية التى ينهض عليها «كتاب العين»

---

(١) : نبذات عن الحساب فى « كتاب العين » :

« هَوَّز : حروفٌ وضعت لحساب الجمل ، الهاء : خمسة ، والواو : ستة ، والزاى : سبعة » (٤/ ٧٣) ؛ «الواحد : أول عدد من الحساب » (٣/ ٢٨١) ؛ عن العدد (١/ ٢٨٦) « ويقولون : عشرة دراهم وزن سبعة ، لأنهم جعلوا عشرة دراهم وزن سبعة مثاقيل » (٣٤٥) ؛ « الكَسرُ من الحساب : ما لم يكن سهماً تاماً ، وجمعه كسور » (٥/ ٣٠٧) ؛ « الكُندُر : ضرب من حساب الروم » (٥/ ٤٢٩) ؛ « الجذر » (٦/ ٩٣) ؛ حساب البُرجان (٦/ ١١٥) ؛ «الجُمْلَة : جماعةُ كل شئ بكمالهِ من الحساب وغيره » (٦/ ١٤٣) ؛ « حسابُ الجمل : ما قُطِعَ على حروفِ أبى جاد » (٦/ ١٤٣) ؛ « الضاد مع الصاد معقوم ، لم تدخلا معاً فى كلمة من كلامِ العربِ إلافى كلمة واحدة وُضِعَتْ مثالاً لبعض حساب الجملِ ، وهى « صعفض » هكذا تأسيسها ، وبيان ذلك أنها تُفَسَّرُ فى الحساب على أن الصاد ستون ، والعين سبعون ، والفاء ثمانون ، والضاد تسعون ، فلما قُبُحَت فى اللفظ ، حُولّت الضاد إلى الصاد فقيل: «صعفص» (٧/ ٥) ؛ « الجُداء: مبلغُ حسابِ الضربِ ، ثلاثة فى اثنين ، جُداء ذلك: ستة » (٦/ ١٦٩) وغيرها .

بقدر ما أتاح لنا تبين « زمنيته المعرفية » . هل يمكننا القول ، بعد هذا الاستعراض ، ما إذا كانت هذه الأصول اللغوية والثقافية « أصلية » أم « مزيدة » : هل أضاف الشراح والنساخ على المادة الأصلية ؟ هل نجد فى هذه المادة معلومات لا ترقى إلى معارف الخليل فى عصره ، بل إلى عصور لاحقة عليه ؟

لا نقوى على التوقف أمام هذه المعلومات : فهى واسعة تطاول ميادين عدة من المعارف والأخبار ، من جهة ، عدا أننا لا نستطيع دائماً ، ولا نملك بالضرورة من المعلومات الموثقة عن معارف عصر الخليل ما يمكننا من إجراء المقارنات والمقابلات التى ندعو إليها . فنحن نشك فى زيادة عبارة هنا أو هناك فى المعجم أضافها النساخ ، مثل وقوعنا فى مواضع محدودة فى المعجم على عبارتى « أهل الكوفة » و « أهل البصرة » فى النحو ، ذلك أن قيام هاتين المدرستين وتعينهما على هذه الشاكلة حصل بعد موت الخليل ، لا فى زمانه .

نشك فى هذه الزيادات ، كما نشك فى غيرها من سقطات المعجم فى طبعته المحققة : فقد أفادتنا المصادر أن الخليل ، على ما قال ابن سلام فى « طبقات فحول الشعراء » ، « استخرج من العروض ، واستنبط منه ومن علله ما لم يستخرج أحد، ولم يسبقه إلى مثله سابق من العلماء كلهم » [1] وأفادتنا المصادر أيضاً أن «الأخفش» زاد بحراً شعرياً واحداً ، هو «المتدارك » ، على قائمة البحور الشعرية التى استخرجها الخليل . نتأكد من وجود هذه البحور فى المعجم (ومن وجود غيرها فى أمور العروض والقافية وخلافها مما يتصل بالشعر) إلا أننا لا نجد أثراً يذكر للبحور التالية : « الطويل » فى مادة « طول » (٧/٤٤٩ - ٤٥١) . و « الكامل » فى مادة « كمل » (٥/٣٧٨ - ٣٧٩) ، و « السريع » فى مادة «سرع» (١/٢٣- ١٣٣)، و «الخفيف» فى مادة « خفّ » (٤/١٤٣ - ٤٤) ، و« المضارع » فى مادة « ضرع » (١/ ٢٦٩ - ٢٧٠) ، و « المقتضب » فى مادة « قضب » (٥/٥٢- ٥٣) وغيرها .

يمكننا أن نتساءل ، بالمقابل ، عن غياب عدد من المعطيات عن الألحان

---

(١) محمد بن سلام الجمحى : طبقات فحول الشعراء » ، تحقيق : محمود محمد شاكر ، مطبعة المدنى ، القاهرة ، السفر الأول ، ص ٢٢ .

والأنغام فى المعجم المحقق ، بعد أن أفادتنا المصادر عن مساهمات الخليل ، بل عن وضعه مؤلفاً فى هذا الميدان .

أهى زيادات وهفوات النساخ ؟ يمكننا أن تثير هذا السؤال ، إلا أن هذه الملاحظات لا تتصل - على قيمتها - بمراد المعجم الأساسى ، وهو ضبط ألفاظ العربية ، « بحيث لا يخرج منها شىء » ، حسب عبارة الخليل نفسه فى تقديم معجمه. ولكن أهو معجمه حقاً ؟

لا يتوانى عن طرح هذا السؤال علماء ودارسون ، قدامى ومحدثون ، منذ وصول نسخة « كتاب العين » إلى البصرة فى سنة ٢٤٨ هـ ، من دون أن تصل هذه التحقيقات - على قيمة بعضها - إلى حل ناجز . إلا أنه بدا لنا مفيداً ، قبل السعى فى عملية الإجابة هذه ، أن نتبين حدود المشكلة المطروحة ، فلا تبدد الشكوك - وهى مصيبة وذات نفع فى بعض الأحيان- أو لا تأخذ معها ... « كتاب العين » برمته .

يمكننا أن نتحدث عن هفوات وزيادات وأخطاء مطبعية فى طبعة «العين » المحققة - على الرغم من عمل المحقِّقَين المضنى والثمين فى التحقيق والتصحيح - من دون أن تَغُضَّ هذه المعايب من قيمة الكتاب المحقق بفضل جهود هذين العالِمَين خاصة وأنهما أعادا إلينا هذا المعجم الفريد فى أسبقيته ، فى غنى مواده اللغوية وهى طريقته المبتكرة فى إحصاء العربية . ونحن لا نسوق هذا الكلام من باب التجامل أو اللياقات الاجتماعية ، بل لأننا وجدنا أن نقد « كتاب العين » ، على الرغم من وجاهته وجديته أحياناً ، بلبل أكثر مما أوضح واقع المشكلة وحدودها .

انشغل القدامى والمحدثون بملاحظة بعض ظواهر التخليط فى مواد المعجم أو الزيادات فيه ، أكثر مما اشتغلوا على التحقق من مواده الأصيلة والنافعة إذا جاز القول . فلا تفتح كتاباً فى النحو واللغة والمعاجم فى العربية ، إلا وتلقى القسم الغالب من المادة المخصصة لـ « كتاب العين » مقتصراً على التشكيك به . وهو تشكيك يطيح بـ « إجمالى » الكتاب ، إذا صح القول ، لا ببعض بنوده وفقراته وحسب ، على غرار ما فعله ابن جنى ،

حين أنكر صدوره عن «الفراهيدى» . سارع الكثيرون إلى ملاحظة هذه النقيصة أو تلك ، غافلين فى بعض الأحيان عن الحقيقة التالية . وهى أن مجمل المعاجم العربية اتخذت من كتاب «العين» فى نسخه المتوافرة أساساً ، أو صلباً تكونت حوله موادها المعجمية فلا نفتح ورقة من«المخصص»، أو من «تهذيب اللغة» ، أو من «لسان العرب» وغيرها إلا ونقع على نقول من « كتاب العين». ينكرونه وهو فى أساس تآليفهم !

ولم يتأخر المحققان العراقيان عن القول فى تقديمهما للطبعة المحققة : «ولكننا حين نتصفح « تهذيب اللغة » ونقابله بما فى « كتاب العين » نعجب من أمر الرجل الذى حاول فى غير ذكاء أن يجمع بين تحامله على «الليث» وغضه من شأنه ، ونهب ما فى كتابه ، على حد زعمه ، ليبنى كتابه عليه . لقد كان «العين» بكل ما فيه من ترجمات وبيانات وتفسيرات أساس كتابه الذى لم يزد عليه إلا روايات ونقولاً من غير الخليل ، ولم يضف شيئاً على ما فعله الخليل الذى يسميه بالليث أو بابن المظفر إلا مفردات أهملها الخليل . أما ما كان يرد به على الليث ، ويزعم أنه مصحف أو أنه غير معروف فأكثره مزاعم يبطلها مراجعة نصوص « العين » . وقد وضح لدينا فى كثير من الأحيان أن الأزهرى كان لا يتوانى عن النيل من «العين» أو نسبة التخليط إليه ولو باطلاً »[1] .

أنكر هذا العالم أو ذاك ورود هذه العبارة أو تلك فى « كتاب العين » . إلا أن أحداً لم ينكر « عربية » هذا المؤلف .

تناولت الانتقادات إمكان نسبة بعض الاجتهادات النحوية أو تلك فى المعجم للمدرسة الكوفية لا للخليل ، من دون أن يتوقف أحدهم للإشارة إلى أن هذه الاجتهادات لا تقع خارج العربية بل فى صلبها . وهى اجتهادات قد تثير شكوكاً حول نسبتها إلى الخليل (على الرغم من كون الاجتهادات الكوفية لم تكن بينة بعد فى عهده ، بحيث تنسب لـ« أهل الكوفة » لا له) ، لا إلى علم العربية على أية حال كما أنكر هذا الدارس أو ذاك ورود نقول فى « كتاب العين » عن أعراب لم

---

(١) فى مقدمة « كتاب العين » ، ص ٢٠ - ٢١ .

يشافهم الخليل ، من دون أن ينكر عربية هذه النقول .

نخرج من هذا القول إلى الاستنتاج التالى . وهو أن « كتاب العين » موضوع ، فى أصعب الاحتمالات ، فى العقد الخامس من القرن الثالث الهجرى (متخذين من وصول نسخته إلى البصرة فى سنة ٢٤٨ هـ مؤشرا زمنياً للتأليف) ، وأنه منسوب فى مادته اللغوية إلى جمع من العلماء العرب ، بالإضافة إلى الخليل والليث .

هذا هو الحد التعريفى الأدنى لـ« كتاب العين » ، ولكن ، ألا يسعنا الوصول إلى حد تعريفى أعلى ، بعد مطالعتنا الناجزة لأجزائه الثمانية المطبوعة ؟ فمثل هذا الحد يقصر مشكلة المعجم فى فترة زمنية لا تتعدى الثمانين عاماً (بين وفاة الخليل ووصول النسخة إلى البصرة) ، وفى عدد من العلماء إلى جانب الخليل والليث . ولكن ألا نقوى على تعيين أدقّ للفترة الزمنية ، ولمشاركات العلماء فى صياغته ؟ هل يمكننا تعيين زمن تأليف « كتاب العين » ؟

٦ - (أ) زمن التأليف

إن طرح هذا السؤال قد يثير المشكلة تعقيداً : كيف لنا أن نعرف هذا الزمن إذا كنا مختلفين حول ظروف تأليف الكتاب أساساً ؟ ! قد لا نقوى على الإجابة الأكيدة فى هذا الشأن ، إلا أننا وقعنا فى « كتاب العين » على مؤشر زمنى يستحسن التوقف عنده ، وهو التالى : « باب الغين والكاف : وهو مهمل إلا الكاغد وهى خراسانية » (ص٤/٣٥٦) . المؤشر لافت فى قيمته ، ذلك أنه لا يعين لنا ورود هذه العبارة وشيوعها فى «خراسان» وحسب ، بل يشير أيضاً إلى أمر أهم ، وهو أنه يعين لنا معرفة أهل خراسان بالورق . كما نقع فى مادة « ورق » على المعطيات اللغوية التالية : « الوَرَق : أَدَمٌ رقاقٌ ، منها ورق المصاحف ، والواحدة من كل هذا ورقة . والوراقة : صَنعة الوراق » (ص ٥/٢٠٩) . وهذه المادة اللغوية لافتة هى الأخرى فى قيمتها ، إذ تعين لنا وجود عبارة عربية لتسمية حوامل الكتابة ، لاسيما المصاحف منها ، ما يفيدنا فى تبين معرفة المسلمين ، لا فى

خراسان وحدها بل فى المناطق العربية أيضاً ، بالورق . ماذا تفيدنا هذه المعطيات ؟

إنها تعرض لنا معرفة قابلة للتعيين التاريخى ، ذلك أنه ما أُتيح للمسلمين التعرف إلى مادة «الكاغد» وصناعته فى بلدانهم قبل سنة ١٣٤ هـ ، إثر الواقعة الحربية التى جرت بين العرب بقيادة زياد ابن صالح وبين أمراء الترك وحلفائهم الصينيين على ضفاف نهر طراز ، كما أفادت المراجع العربية والصينية . ففى هذه الواقعة وقع عدد من الأسرى الصينيين فى أيدى العرب ، وجىء بهم إلى «سمرقند» حيث عملوا فى صناعة « الكواغيد » على ما أفادنا صاحب « المسالك والممالك » ، «ثم كثرت الصنعة واستمرت العادة ، حتى صارت متجراً لأهل سمرقند ، فعم خبرها والارتفاق بها جميع البلدان فى الآفاق » . غير أن صناعة الورق وخلافه لم تقتصر على سمرقند بل تعدتها ، مع قيام العهد العباسى ، إلى بغداد وغيرها ، حيث أقام فيها أحد البرامكة أول معمل لصنع الورق.

إن ورود هذه المعلومات فى «كتاب العين» يقودنا إلى القول ، إلى تقديم الفرضية التالية : جرى تأليف هذا المعجم حتى جزئيه الرابع والخامس على الأقل بعد سنة ١٣٤ للهجرة على الأرجح .

٦ - (ب) نسبة الكتاب

ولكن لنعد إلى الموضوع الأساسى ، موضوع نسبة الكتاب إلى الخليل . فلقد تناولت « كتاب العين » كما أسلفنا القول ، شكوك تتصل فى نسبته : أهو للخليل وحده ؟ أم للخليل مع الليث بهدى من الخليل وتوجيهه ؟ أم لليث وحده ، أو جمع من العلماء ؟ هل وجدنا فى الطبعة المحققة من المعطيات ما يساعدنا فى مسعانا هذا ؟

تتعدد الروايات حول نسبة الكتاب :

- فمنهم من نفى صلة الخليل به تماماً مثل ابن جنى (-٣٩٢ هـ) الذى قال : « وإن كان للخليل فيها عمل ، فإنما هو أنه أومأ إلى عمل هذا الكتاب إيماء ، ولم يله بنفسه ولا قرره ولا حرره » (١) ؛

(١) فى « الخصائص » ص ٢٨٨/٣ .

- ومنهم من قال إن الخليل وضع رسم الكتاب من دون حشوه بسبب الموت الذى عاجله ، فأكمل الليث الكتاب ، وقد ورد خبر هذا الزعم فى الرواية التالية : قال ثعلب (- ٢٩١ هـ) : « إنما وقع الغلط فى كتاب العين لأن الخليل رسمه ولم يحشه » (١) ؛

- ومنهم من قال إن الخليل وضع قسماً من الكتاب ، ثم ما لبث الليث أن أكمله : قال الأزهرى (- ٣٧٠ هـ) : « ولم أر خلافاً بين اللغويين فى أن التأسيس المجمل فى أول كتاب العين لأبى عبد الرحمن الخليل بن أحمد ، وأن ابن المظفر أكمل الكتاب » (٢) ، ولهذه الرواية صيغة أخرى ، بل « طريفة » ساقها ابن المعتز (- ٢٩٦ هـ) ، وتفيد أن زوجة الليث غارت من جارية اشتراها ، فأغاظته بإحراق نسخة العين الوحيدة التى كانت بحوزته ، « فاستدرك النصف من حفظه ، وجمع على النصف الباقى علماء أهل زمانه (٣) ؛

- ومنهم أيضاً من أكد نسبة هذا الكتاب للخليل ، مثل ابن دريد (-٣٢١هـ) : « وقد ألف أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدى رضوان الله عليه كتاب العين ، فأتعب من تصدى لغايته ، وعنَّى من سما إلى نهايته ، فالمنصف له بالغلب معترف ، والمعاند متكلف ، وكل من بعده له تبع ، أقر بذلك أم جحد » (٤) . فما يمكننا أن نقول فى أمر هذه النسبة ؟

قلة من العلماء أخذت بموقف ابن جنى ، الذى قصر دور الخليل فى وضع « كتاب العين » على دور «إيماء » . ماذا يعنى الإيماء فى هذه الحالة ؟ أليس هو صيغة أكثر تخفيفاً مما هى عليه الصيغة الأخرى التى تقول بوجود فارق بين « رسم » المعجم « الذى خطه الخليل » و « حشوه » (الذى وضعه الليث) ؟ ما نتبينه واقعاً فى هذه الصيغ المختلفة هو أنها ليست سوى « تقديرات ظنية » ، بل ... روائية أحياناً مع ابن المعتز . يعود السبب الأساسى لاختلاف العلماء فى أمر نسبته إلى وصول الكتاب « المتأخر » إلى

(١) فى « مراتب النحويين » ، ص /٥٧ .
(٢) فى « تهذيب اللغة » ، ص ٢٨/١ .
(٣) فى « المزهر » للسيوطى ، صى ٣٩/١ .
(٤) فى « الجمهرة » ، ص ٣/١ .

البصرة ، ما أثار الشكوك حوله ، وما منع بالتالي من توفر « شهادات » تؤكد أو تنفي، أي تجلب ما يفيد من الأخبار والمعلومات عن وضع الكتاب . وأدى هذا الوصول المتأخر إلى إحداث البلبلة من جهة، وإلى فتح باب الاجتهادات من جهة ثانية . ولكن ألا توجد « شهادات » مجايلة للخليل أو لليث نفسه تؤكد أو تنفي أو تصحح هذه الصيغ أو بعضها ؟

وصلت نسخة « العين » إلى البصرة في ٢٤٨ هـ . كما أسلفنا القول ، أي بعد وفاة الخليل والليث . إلا أن هذا لا يعني أن مجايلي الخليل أو عدداً من تلامذته لم يعرفوا هذا الكتاب. أفاد ابن النديم عن أبي بكر بن دريد أنه « كان سمع بهذا الكتاب » [١] قبل وصوله إلى البصرة ، وأنه كان موجوداً في « خراسان في خزائن الطاهريين » . إلى هذا ، ورد في « الفهرست » أيضاً خبر مفاده أن النضر ابن شميل (-٢٠٣ هـ) وضع كتاباً موسوماً « المدخل إلى كتاب العين » [٢] .

إلا أن الأخبار متضاربة حول النضر ، فهو أنكر في حديث مروي عنه معرفته بـ«كتاب العين » : سُئِلَ عنه فأنكره « فقيل له : لعله ألفه بعدك ، فقال : أو خرجت من البصرة حتى دفنت الخليل » [٣] . فكيف وضع مدخلاً لكتاب أنكره ؟ نميل إلى القول ، بعد الأستاذ محمد حسين آل ياسين ، بأن الخبر الأخير المروي عن النضر مختلق تماماً : « فكيف يسأل عن كتاب لاعلم لأحد به حتى ذلك التاريخ؟»[٤]. ولعل النضر عرف بوجوده حين أقام في خراسان ، وفي مرو ، حتى مات فيها في ٢٠٣ هـ .

تناولت الشكوك النسخة التي وصلت البصرة ، من دون أن يقوى أحد من تلاميذ الخليل أو من مجالسيه - فيما عدا النضر بن شميل على الأرجح - على التدخل في هذا الجدال : وصلت النسخة في ٢٤٨ هـ، وتوفي سيبويه في ١٨٠ هـ، ومؤرج في ١٩٥هـ، والأخفش في ٢١٥ هـ

(١) في « الفهرست » لابن النديم ، ص ٦٤ .
(٢) م . ن . ، ص ٥٨ ؛ وورد خبره أيضاً في « معجم الأدباء » ١٩/ ٢٤٣ .
(٣) في « معجم الأدباء » ، ص ١٧/ ٥١ .
(٤) في كتابه « الدراسات اللغوية عند العرب » ، ص ٢٣٨ .

ألا تجلب إلينا طبعة « العين » المحققة شيئا من الإجابة على هذا السؤال ؟

٦ - (ج) أسانيد « كتاب العين »

بدا لنا مفيداً التوقف أمام « الأسانيد » التي يعـود إليهـا الخليل ، والواردة في الطبعة المحققة ، للتأكد منها (خاصة وأن لشكوك طاولتـها في بعض الأحيان) ، وتبين قيمتها ، وتعيين جهد الخليل بالتالي في التاريخ اللغوى والمعجمى العربى . ماذا عن مراجعـه اللغوية ؟ عمن أخذ ؟ لايتأخر الخليل في غير موضع من معجمه عن الإشارة إلى أنه هو الذى جمع وقيد هذا المعنى أو ذاك ، أو يفيد ، على سبيل المثال ، أن هذا المعنى يرد في كلام «العامة» أو ينفى أحياناً ما لم يبلغه : « (. . .) لم أسمع منه فعلاً » ، أو يورد أقوالاً عما كان يسمعه في البصرة ، أو ما جمعه من بوادى الحجاز ونجد وتهامة [١] .

إلى هذا يتضمن المعجم في غير موضع من متن التعريفات أقوالاً أو أسانيد لغوية لعـدد من الخلفاء والصحابة مثل : عمر بن الخطاب وعلى بن أبى طالب وزيد ابن ثابت والحجاج بن يوسف وخالد ابن صفوان وغيرهم . أو يعود إلى تفسيرات أو تعاليل لغوية أو معجمية للغويين ومفسرين مجايلين أو سابقين له مثل أبى الدقيش والحسن البصرى ومالك ابن نويرة ونصر بن سيار وابن عباس وأبو هريرة وأبو بكر بن سيرين وأبى عمرو بن العلاء وسيبويه والأصمعى وغيرهم .

إذا كنا نتبين في قائمة الأسماء هذه عدداً من اللغويين المعروفين ما لا نحتاج للتعريف بهم ، مثل ابن عباس ، أول المفسرين ، وأبى عمرو بن العلاء (٦٨- ١٥٥هـ.) ونصر بن سيار (والد الليث) وغيرهم ، فإننا نقع على عدد من الأعراب ممن أخذ عنهم الخليل أو غيره ، سواء أكانوا في البصرة أو خارجها [٢] . من هؤلاء الأعراب نتعرف إلى :

---

(١) : سماع الخليل عن الأعراب :

« لم أسمع له فعلاً » (٣/ ٣٩٢) ؛ « والعبارة نفسها في (٣/ ٣٩٣) وقد سمعناهم يقولون : نَعسان ونعسى ، حملوه على وَسْنان ووَسنى ، وربما حملوا الشئ على نظائره ، وأحسن ما يكون ذلك في الشعر » (٣/ ٣٣٨) ؛ وسمعتُ أهل البصرة يُخطئون من يقول الجهاز بالكسر » (٣/ ٣٨٥) ؛ « وسمعنا من فصحاء العرب من قول : . . . . . » (٢/ ٢٢٤) ؛ « قال الخليل : سمعتُ كلمة شنعاء لا تجوزُ في التأليف الرباعى . سُئِلَ أعرابى عن اقته فقال : تركتُها ترعى العُهعُخ ، فسألنا الثقاة من علمائهم فأنكروا أن يكون هذا الاسم من كلام العرب . وقال القَذُّ نهم : هى شجرةٌ يُتداوى بورقها ، وقال أعرابى : إنما هو الخُعخُعُ ، وهذا موافق لقياس العربية » (٢/ ٢٧٤) ؛ « . . إنما الاستفحال على ما بلغنى من أهل كابل . . . » (٣/ ٢٣٤) ؛ « رأيتُ يمانياً سُئلَ عن هجائه فقال : . . . » ٨/ ٤٢١) وغيرها .

(٢) : علماء اللغة والأعراب الرواة في « كتابهِ العين » :

- ابن سيرين : ٧/ ٢٣ وغيرها .
- ابن عباس : ٣/ ١٦٨ ، ٤/ ٦٢ وغيرها .
- ابن القرية : ٢/ ٧٤ ؛ ٦/ ٢٤ وغيرها .
- ابن مسعود (القارئ) : ٥/ ١٩٢ وغيرها .

= – أبو خيرة : ٢/ ٨٤ ؛ ٢/ ٢٥٠ ؛ ٣/ ٣١٦ ، ٥/ ٢٣٤ ؛ ٨/ ٢٦٨ وغيرها .
– أبو الدقيش : ١/ ٣٣١ ؛ ١/ ٢٨٨ ؛ ٢/ ١٨١ ؛ ٢/ ٢٥٠ ؛ ٢/ ٢٧٢ ؛ ٢/ ٣٠٩ ؛ ٣/ ٣٨ ؛ ٣/ ١٥١ ؛ ٣/ ٣٠٩ ؛ ٣/ ٣١٦ ؛ ٣/ ٤١١ ؛
« قال الخليل لأبى الدقيش ... » (٣/ ٣٥٢) ؛ يقول أبو الدقيش : « كلمة لم أسمعها من أحد » (٤/ ٩٣) ؛ « سمعتُ أبا الدقيش يقول : ... » (٤/ ١٢٢) ؛ « سألتُ أبا الدقيش عن ... » (٣/ ٢٧٧) ؛ « حكاه لنا أبو الدُّقيش ، فلبسَ كساءً له ، ثم جلسَ جُلوسَ العَروس ، على المنصة ، وقال : هكذا يُكْمِخُ من البَأْوِ والعظمة . قال ﴿ العجاج ، ديوانه ، ص ٤٦٠ و ٤٦١ ﴾ :
إذا آزدَها هُمُ يومُ هَيجا أكمخوا
باواً ومَدَّتهم جبالٌ شُمَّخُ » (٤/ ١٥٧) ؛
« قال : من مائة زَلْخٍ بمرِّيخٍ غالٌ
وسألتُ أبا الدقيش عن هذا البيت بعينه فقال : الزَّلْخُ أقصى غاية المغالى » (٤/ ٢٠٩) ؛ « قلتُ لأبى الدقيش : ما الدَّقَش والدُّقيش ؟ ... » (٥/ ٣٤) ؛ « هكذا أخبرنيه أبو الدقيش » (٥/ ٨٣) ؛ « سألتُ أبا الدقيش عن قول أبى داود ... » (٥/ ٨٥) ؛ « قال أبو الدقيش تزوجت جارية شابة فلم يكن عندى شئ فركضت برجليها على صدرى ثم قالت : ياشيخ ما أرجو بك ، أى : ما أرجو منك » (٥/ ٣٠١) ؛ « قال أبو الدقيش : كان يكون بفناء كلِّ حىٍّ دُكانٌ عليه المآكلُ والمَشرَبُ ، فذلك الطلل ، قال جميل ﴿ ديوانه ، ص ١٨٨ ﴾ :
رَسْمُ دار وقفت فى طلله كدتُ أقضى الغَداةَ من جَلَله »
(٧/ ٤٠٤ و ٤٠٥) ؛ ٥/ ٢٣١ ؛ ٥/ ٢٣٤ ؛ ٤/ ٤٢٣ ؛ ٥/ ٢٦٤ ؛ ٥/ ٣٢٢ ؛ ٦/ ٣ ؛ ٦/ ٤٣ ؛ ٦/ ٨٢ ؛ ٦/ ١١٢ ؛ ٦/ ٢١٦ ؛ ٦/ ٢٣٩ ؛ ٦/ ٢٩٩ ؛ ٧/ ٢٨٨ ؛ ٧/ ٢٩٧ ؛ ٧/ ٤٢٢ ؛ ٨/ ١٥٩ ؛ ٨/ ٢٩٦ ؛ ٨/ ٣٠٥ ؛ ٨/ ٤١٣ وغيرها .
– أبو سعيد : ١/ ٩٨ ؛ ١/ ١٠٩ ؛ ١/ ١٩٤ ؛ ١/ ١٩٢ ؛ ١/ ٢٩٥ ؛ ٦/ ٢٧ ؛ ٦/ ٢٨ وغيرها .
– أبو عبد الله : ١/ ٣٠٦ ؛ ٢/ ١٠ ؛ ٢/ ١٢٤ ؛ ٢/ ١٨٤ وغيرها .
– أبو عبيد : ١/ ٩٨ وغيرها .
– أبو عبيدة : ٤/ ٢٤٥ « قال أبو عبيدة : كان الحسن يقرأ .. » (٥/ ٥٩) وغيرها .
– أبو عمرو : « روى عن أبى عمرو » (٢/ ٢٥٥) ؛ « روى عن أبى عمرو ... » (٣/ ١٦٠) ؛ « قال أبو عمرو : أنشدتنى امرأة من حمير وهى تُرَقِّصُ ابنا لها ... » (٣/ ٢٨٩) ؛ ٤/ ٢٠٤ ؛ ٧/ ٨٣ . ٧/ ١٥١ ؛ ٨/ ٨٤ وغيرها .
– أبو هريرة « قيل لأبى هريرة : أنت سمعته من رسول الله (ﷺ) فقال : فما طَهْوِى إذن ، أى فما عملى إن لم أُحكِم هذه الرواية عنه كإحكامِ الطاهى للطعام » (٤/ ٧٥) غيرها .
– أبو ليلى :
المجلد الأول : ٢١٩ ، ٢٢٣ ، ٢٣٢ ، ٢٣٩ ، ٢٤٩ ، ٢٥٣ ، ٢٥٤ ، ٢٥٤ ، ٢٦٤ ، ٢٦٦ ، ٢٦٧ (٣ مرات) ، ٢٧٧ ، ٢٨٠ ، ٢٩٢ ، ٣١٤ ، ٣١٥ (مرتان) ، ٣٢٩ ، ٣٣٣ ، ٣٣٧ ، ٣٤٢ (مرتان) ، ٣١٩ ، ٣٢٤ ، ٣٤٤ (مرتان) ٢٩٥ ، ٣٠٦ ، « لم يعرفه أبو ليلىّ ولا عرام » (٣٠٥) ، « لم يعرفه أبو ليلى ، وعرفه عرام (٣١١) ، « لم يعرفه أبو ليلى ، وعرفه عرام » (٣١٥) ، « لم يعرفه عرام ولا أبو ليلى » (٣٢٥) ، ٢٨٧ ،
المجلد الثانى : ٨/ ٢٧ ، ٥٩ ، ١٥٥ (مرتان) ؛ ٨/ ٣٧٩ ، ٨/ ٣٨٦ ، ٨/ ٣٩٤ وغيرها .
– الأصمعى : ١/ ١٨٥ .
– أعرابى : ١/ ١٣٥ .
– الحسن البصرى : وروى عن الحسن : « راعنا » بالتنوين وبغير التنوين » (٢/ ٢٤١) ؛ « وكان الحسن يقرأ : ... » (٤/ ٢٢١) ؛ ٥/ ١٢٢ ؛ « وفى حديث الحسن ... » (٥/ ٢٢٤) ؛ فى تفسير آية قرآنية (٥/ ٢٢٨)؛ « وكان الحسن إذ سُئِلَ فى فَريضة .. » (٥/ ٢٩٤) ؛ « وفى حديث الحسن . » ٧ / ١٦٢؛ =

= ٦/١٥٤ ؛ ٥/٣١٣ ؛ ٥/٣٢٨ ؛ ٦/١٨٠ ؛ ٦/٢٧٢ ؛ ٧/١٠٤ ؛ ٧/١١٠ ؛ ٧/٢٢٥ ؛ « روى عن الحسن أنه قال .. » (٨/١٨) ؛ « وفى مواعظ الحسن ... » (٨/٣٣٨) ؛ ٨/١٢٨ ؛ ٨/٢٧٧ ؛ ٨/٣١٧ وغيرها .

- حماس : ١/٣٦٧ « قال حماس وأرويه أيضاً » (٢/ ٤٠) ؛ ٢/٥٧ ؛ « الشَّثُّ: شجرٌ طيبُ الريح مرُّ الطعم ، ينبتُ فى جبال الغَور ونجد ، قاله أبو الدقيش .. قال حماس : الشث لا ينبت فى نجد » (٦/٢١٦) ؛ ٦/٢٥١ ؛ ٦/٢٨٠ ؛ ٦/٢٨٤ ؛ ٨/٣٦٨ وغيرها .

- الراجز : ١/٦٦ وغيرها .

- رافع : ٢/١٠٩ .

- زائدة :

المجلد الأول : ٨٩ ، ٩٣ (مرتان) ، ٩٧ (مرتان) ١٠٣ ، ١٠٨ ، ١٣٤ ، ١٤٢ ، ١٤٨ ، ١٤٩ ، ١٧٥ ، ٢٥٦ ، ٢٦٩ ، ٢٧٠ ، ٢٧٦ ، ٢٧٧ ، ٢٨٥ ، ٢٨٨ ، ٢٩١ ، ٢٩٨ (مرتان) ، ٣٢١ ، ٣٢٤ ، ١٤١ ؛ ٢/٣١٤، ٣٣٤ ، « قال زائدة : البُلعوم باطنُ العُنق كله ، وليس كما قال » (٢/٣٤١) ، ٣٤٦ ، ٣٤٧ ؛ ٣/٩٦ ، ١١٥ ،

المجلد السادس :١٢، ٢٦،٢٣ ، ٢٧، ٣٣،٢٨ (مرتان) ؛ ٣٤ (مرتان) ٣٨ ، ٦/٤٦ ، ٨٩ ، ٩٢ . ٩٤، ١٠٠، ١٠٥ ، ١٠٧، ١١١ ١٤٠، ١٤٥، ١٥٨ ، ٧/١٩٥ . وغيرها .

- زيد بن ثابت : « كنت أجمع القرآن من اللخاف وصدور الرجال » (٤/٢٦٥) ؛

- الساجع : ١/٦٦ ؛ ٢/٩٥ ؛ ٢/٢٦٦ ؛ ٨/٣١٩ وغيرها .

- سيبويه : ١/ ٢٠٠ .

- شجاع : ١/٣٥٣ ؛ ١/٣٠٣ ؛ « لا أعرفه ولكن أعرف .. » (٢/١٢٢) ؛ ٢/١٣٤ ؛ ٢/١٣٧؛ ٢/١٤٩ (مرتان) ؛ ٢/٣٢٧ وغيرها .

- شريح : ٦/١٤٤ ؛ ٧/١٤٧ وغيرها .

- الضرير :

المجلد الأول ٩٧، ١٤٥، ١٩٩ ، ٢٠٢، ٢١٧، ٢٢٦ (مرتان) ، ٢٧٩، ٣٠٠، ٣٠٢، ٣٥٧، ٣٥٨، ٣٦٦،

المجلد الثالث : ٢٨، ٩٢، ٢٧٤ ؛

المجلد الرابع : ٢٢٠ ، ٢٤٢ ، ٢٤٤ ، ٢٥٥ ، ٢٥٨ ، ٢٦٦ ، « سمعتُ أبا عمرو يقول.. » (٤/٤٢١) ؛ ٤/٤٢٤ ،

المجلد الخامس : ٥/٢٧٣ ، ٥/ ٣٣٠ ، ٥/٣٦٩ ،

المجلد السادس : ٦/٢٩ ، ٦/٧٢ ، ٦/٢٩٨ . ؛

المجلد السابع : ٧/٢٧ ، ٧/٣٨١ .

- عبد الله (راوية) : ٢/٢٠٦ ،

- عرام السُّلمى :

المجلد الأول ٩٧ ، ٩٨ ، ١٠١ ، ١٠٨، ١١٩ ، ١٢٤ ، ١٣٦ ، ١٤٥ ، ١٤٧ ، ١٨٩ ، ٢٠٧ ، ٢١٨ ، ٢٣١ (مرتان) ، ٢٥٤ ، ٢٥٦، ٢٦٧ (٣ مرات) ٢٨١، ٢٨٢، ٢٨٤ ، ٣٠٥ ، ٣١٧ ، ٣١٩ ، ٣٢١ ، ٣١٢ ، ٣٢٨، ٣٣١ ، « لم يعرفه عرام ولم ينكره » (٣٠٦ - ٤ مرات) ، « وروى عرام : ٣٠٨،٠٠٠) ، « لم يعرفه أبو ليلى ، وعرفه عرام » (٣١١) ، « لم يعرفه أبو ليلى وعرفه عرام » (٣١٥) ، « لم يعرفه عرام ولا أبو ليلى » (٣٢٥) ، « إلا أن عراماً ذكر أنه سمعه من أبى ذؤيب » (٣٤٤) ؛ ١٣٩ ، ٢٨٦، ٣٣٧ ،

المجلد الثانى : ٥٩، ٢٧٥، ٢٧٧، ٢٧٨ (مرتان) ، ٢٨٠، ٢٨١ ، ٢٨٢ ، ٣١٧ ،

- القاسم (شارح الشعر أحيانا) : ٤/٤٢٤ ، ٥/ ١٩٠ ، ٥/١٩٢ ، ٥/٢٠٧ ، ٦/٥٣ .

- القيبي : ٧/١٤٧ .

- الليث : « سمعتُ هاتين بخراسان .. » (٣/٣٢) وغيرها .

- مبتكر الأعرابى : ١/١٣٩ ، ١/١٤٩ ، ١/٢٣٢ ، ٦/١٤٣ .

- مزاحم : ١/٣٥٢ ، ٢/٣٤٧ ، ٦/٣٩ ، ٦/٥٦ ، ٦/٦١ ، ٨/١١٨ .

- مقاتل : ٥/٢٢٨ ؛ ٥/٣١٣ .

- موسى : ١/٢٨٤ ؛ ٢/١٩ .

- نصر بن سيار : ٣/٢١٥ ، ٦/٢١٩ ، ٨/٣١٥ .

- أبى الدقيش ، وقد ذكره الخليل فى مواضع عدة من معجمه ويورد عنه فى مادة « دقش » تفسيراً للقبه : « قلتُ لأبى الدقيش: ما الدَّقشُ والدُّقَيش ؟ قال: لا أدرى . قلت فاكتنيتَ بكنية لا تدرى؟. قال : إنما الكُنى والأسماء علامات من شاء تسمى بما شاء لا قياس ولا حتم » . وهو أبو الدقيش القنانى الغنوى ، من قدماء رواة البصرة ، أخذ عنه النضر ابن شميل وغيره ، ولعله شاخ فى أيام زيد وأصحابه ، إذ يقول:« دخلنا على أبى الدقيش وهو شاك ، فقلنا له : كيف تجدك ؟ قال : أجدنى أجد ما لا أشتهى ، وأشتهى ما لا أجد، ولقد أصبحتُ فى شرِّ زمان ، وشرِّ أناس ، من أجادَ لم يجد،ومن وَجَدَ لم يَجُد » (١) .

- أبو خيرة الأعرابى ، وهو نهشل ابن زيد العدوى : نزل الحيرة ، وعاد إليه عدد من علماء اللغة ، ويعد مع أبى الدقيش والمنتجع وأبى مهدية (أبو مهدى ، فى بعض المصادر) من أوائل الأعراب وأشهرهم وأوثقهم فى البصرة . وله كتاب « الحشرات » الذى نقل عنه وذكره ابن سيده فى « المخصص » وكتاب «الصفات» الذى ذكره أحمد بن محمد أبو حامد الخرزنجى البشتى ضمن مراجعه فى كتاب « التكملة » الذى أومأ إلى أنه أكمل به « كتاب العين » ؛ وله أحاديث فى طيور البادية . وأخباره واردة فى غير كتاب قديم ، لاسيما احتكام عدد من العلماء له مثل أبى عمرو بن العلاء (٢).

---

(١) : فى « عيون الأخبار » ، ص ٤٩/٣ .

وذكرابن النديم أبا الدقيش فى « الفهرست » بالسين ونقع على شواهده فى « مقاييس اللغة » أو«لسان العرب» أو«المزهر».

(٢) : فى « نزهة الألبا » ، ص ٣٢ - ٣٣ ؛ و « المخصص ، ص ٩١/٨ ؛ و « نوادر أبى زيد » ، ص ١٣٢ ؛ و « إنباه الرواة » ، ص ١٠٨/١ ؛ و « الخصائص » ، ص ٣٠٥/٣ وغيرها لا سيما فى المعاجم مثل «مقاييس اللغة » و« لسان العرب ».

- أبو سعيد الضرير ، وهو أحمد ابن خالد البغدادى ، وقد تأدب على عوسجة الذى استقدمه عبد الله بن طاهر حسبما وردت أخباره فى «معجم الأدباء».

إلا أننا نقع على عدد واسع من الأسماء مما لا نحسن التعرف إليهم فى صورة مؤكدة :

- عرام : أهو عرام بن أصبغ السلمى ، الذى ذكره القفطى على أنه من الأعراب الذين استقدمهم عبد الله ابن طاهر إلى نيسابور ، فى « معجم الأدباء»، وواضع كتاب « أسماء جبال تهامة وسكانها وما فيها من القرى وما ينبت عليها من الأشجار وما فيها من المياه » [1] ؟ لا نقوى جواباً عن هذا السؤال ، ذلك أن الكتب القديمة تفيدنا عن نحوى اسمه «عرام» أيضاً ، وهو أبو الفضل العباس بن محمد. إلا أن عدداً من الباحثين المحدثين، ممن درسوا «كتاب العين» مثل الشالقانى وياسين وغيرهما ، يميل إلى الاعتقاد بأن المقصود هو الأعرابى .

- مبتكر : أهو مبتكر الأعرابى الذى سكن خراسان ، على حسب ما ورد فى كتاب « الدراسات اللغوية عند العرب إلى نهاية القرن الثالث » للباحث ياسين ؟ [2]

---

(١) ورد خبره فى « معجم الأدباء » (١٧/٣) ، وواضع كتاب «أسماء جبال تهامة وسكانها وما فيها من القرى وما ينبت عليها من الأشجار وما فيها من الأشجار ومافيها من المياه » ، الذى حققه الأستاذ عبد السلام هارون فى نطاق «نوادر المخطوطات» فى سنة ١٩٥٦ .

(٢) ص ٧٦ ، ويشتمل الكتاب على سرد بأسماء الأعراب الفصحاء الذين شافههم العلماء وأخذوا عنهم مروياتهم .

– أبو ليلى : أهو أبو ليلى الذى سكن فى خراسان بدوره (١) ؟

– حماس : أهو الوارد فى مسرد الأعراب الذى أعده الباحث ياسين (٢)

– موسى : أهو موسى السيلانى ، المعاصر لأنس بن مالك ، على حسب ما ورد ذلك فى كتاب « الأعراب الرواة » للشالقانى (٣) ؟

شجاع : أهو شجاع بن وهب ابن ربيعة الأسدى ، وهو من رواة أبى عمرو بن العلاء (٤) ؟

– حذيفة : أهو حذيفة بن غانم ، أبو الجهم ، الصحابى وأحد كبار نسابى قريش ؟

وماذا عن غيرهم مثل : أبى عبدالله والقاسم وأبى فردة والسدى ومزاحم وشريج والساجع وزائدة وغيرهم ؟

علينا أن نؤكد ، بداية ، أن وقوف عدد من الباحثين القدامى والمحدثين أمام مسألة ورود شواهد وتعاليل من تلاميذ الخليل، مثل الأصمعى وسيبويه وأبى عبيدة ليس مقنعاً كفاية قيل الكثير عن سيبويه على حين لا نلقى غير شاهد واحد من أقواله فى الطبعة المحققة ، وذلك فى الصفحة ٢٠٠ من الجزء الأول ، وهى النبذة التالية : « قال سيبويه : الكراع الماء الذى يكرع فيه » . أما النقول عن الأصمعى فهى لا تتعدى المرة الواحدة أيضاً ، فى الصفحة ١٨٥ من الجزء الأول ،وهى النبذة التالية: « قال الأصمعى : يقال : عَقَمَ الله رَحِمَها عَقماً ولا يُقال : أعقمها ، ويقال : عَقُمت المرأة تعقمُ عقماً » . أما النقول عن أبى عبيدة فهى تردُ مرتين (٤/ ٢٤٥، و ٥/ ٥٩) ، وفى واحدة منها نقلاً عن الحسن البصرى . ان هذه النقول – القليلة فى نهاية المطاف – تحصل بين أستاذ وتلاميذه ، وهو أمر استغربه العديدون ، ناسين من دون شك أننا نقع فى كتب القدماء ، كما فى « مجالس العلماء » للزجاجى ، على مناظرات بين الأستاذ وتلميذه ، مثل التى جرت بين الخليل وسيبويه وغيرهما (٥) . كما ينسون أيضاً

---

(١) م . ن ، ص ٧٣ .

(٢) م . ن ، ص ٧٤ .

(٣) من تأليف الدكتور عبد الحميد الشلقانى ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٧٧ ، ص ٦٣ . .

(٤) حسب ما ورد ذلك فى كتاب « النشر فى القراءات العشر » ، ص ١/ ٤٢ .

(٥) فى « مجالس العلماء » للزجاجى ، ص ٢٣١ .

أن علماء عديدين ، مثل أبى عمرو وغيره ، كانوا لا يتأخرون عن النقل عن كراريس تلاميذهم ، سيما وأن البعض منهم ، مثل الأصمعى وأبى عبيدة ، كان يرتب نقوله فى كراسات خاصة . قال الأصمعى : « جئت إلى أبى عمرو ابن العلاء ، فقال لى : من أين أقبلت يا أصمعى ؟ قلتُ : جئتُ من المربد . قال : هاتِ ما معك » [1] .

ولكن ، إذا لم نجد صعوبة فى ورود هذه النقول فى « كتاب العين » فإننا لا نقف الموقف من نقول أخرى لعدد من الأعراب ، الذين استقدمهم عبدالله ابن طاهر إلى نيسابور ، ومنهم عرام بن الأصبغ السلمى ، أو من سكنوا فى خراسان مثل مبتكر ، أو من الأعراب ممن لم يعرفوا فى البصرة مثل : أبو ليلى وزائدة وحماس وغيرهم .

ما يسترعى انتباهنا فى هذه القائمة ، بعد أن تبينا حقيقة النقول فى « كتاب العين » هى الأسماء التالية : عرام ، وأبو ليلى، وزائدة، والضرير. فإذا كنا نجد فى غير مجلد من المعجم نقولاً عن أبى الدقيش أو عن أبى خيرة ، فهو أمر طبيعى إذ إنهما يعدان من أشهر الأعراب الذين عرفوا فى عصر الخليل فى البصرة ، أما أن يتضمن المعجم نقولاً عدة من أعراب ما عاشوا فى البصرة ، بل فى خراسان ونيسابور ، فهو أمر يستدعى أكثر من سؤال . فنحن نلاحظ أن الكتاب يتضمن نقولاً عن عرام تزيد عن ٥٠ مرة ، وعن زائدة ما يزيد عن ٥٤ مرة ، وعن أبى ليلى ما يزيد على ٤٣ مرة ، وعن الضرير ٣٣ مرة ؛ لا بل تعد النقول عن هؤلاء ، إلى جانب الحسن البصرى وأبى الدقيش وأبى خيرة ، أقواها فى « كتاب العين » هل يعنى هذا أن الخليل شافههم فى نيسابور أو فى خراسان ؟ لا تؤكد المصادر مثل هذه الرواية أبداً ، على الرغم من ورود خبر فى ترجمته عن زيارة قام بها إلى خراسان عند تلميذه الليث .

انتبهنا إلى أمر آخر فى توزع هذه النقول ، وهى أنها لا تأتى متسقة ، فنحن نلاحظ ، على سبيل المثال ، أن النقول عن الحسن البصرى ، أو أبى الدقيش ، أو أبى خيرة (أى الذين عرفهم الخليل فى

---

(١) ورد الحديث فى « ضحى الإسلام » ص ٨١/٢ ، طبعة عاشرة ، بيروت ، ١٩٣٥ .

البصرة) تتوزع في كيفية « متوازنة » إذا جار القول بين أجزاء المعجم ، على حين ترد النقول عن الأعراب في بلاد فارس قوية في أجزاء ، و معدومة في أجزاء أخرى ، لا نقع على نقول أبي ليلى إلا في الأجزاء: ١و٢و٨ ، وعلى نقول عرام في الجزءين ١و٢ وحسب . وقد يقول قائل : أن هذه الأجزاء (كما رردت في الطبعة المحققة) قد لا تناسب التوزيع القديم لأجزاء المعجم. ربما ، إلا ان التقارب بين المواد التي وردت فيها نقول الأعرابيين أكيد في كل الأحوال ، خاصة وأن تتالي المواد في المعجم (مهما جرى تقسيمه) يخضع لـ « تقليب » ثابت ومعروف . هل يعكس هذا التقارب شيئاً من ظروف تأليف هذا المعجم ؟ هل نجد في هذا التقارب إجابة ما على حيرة العلماء أمام ورود نقول عن أعراب لم يعرفهم الخليل ولم يشافههم ؟

فلليث « شهادة » قلما انتبه إليها الدارسون ، وهي جديرة بأن تحضر في هذا السجال ، بالإضافة إلى كونها تقدم - على ما نعتقد - تفسيراً معقولاً للمصاعب التي عرفها « كتاب العين » لاحقاً عند العلماء والدارسين . فما الشهادة هذه ؟

غير مصدر قديم يفيدنا عن صلة « الصحبة » التي جمعت الخليل بالليث ، كما يفيدنا التلميذ في شهادته هذه شيئاً من الأسباب التي أدت إلى وضع الخليل لكتابه: يقول الليث : « كنت أصير إلى الخليل بن أحمد ، فقال لي يوماً : لو أن إنساناً قصد وألف حروف ألف وباء وتاء وثاء على ما أمثله ، لاستوعب في ذلك جميع كلام العرب ، فتهيأ له أصل لايخرج عنه شيء منه بتة ، قال : فقلت له : وكيف يكون ذلك ؟ قال : يؤلفه على الثنائي ، والثلاثي ، والرباعي ، والخماسي ، وأنه ليس يعرف للعرب كلام أكثر منه ، قال الليث : فجعلتُ أستفهمه ويصف لي ولا أقفُ على ما يصف ، فاختلفت إليه في هذا المعنى أياماً ، ثم اعتلّ ، وحججت فما زلت مشفقاً عليه ، وخشيت أن يموت في علته فيبطل ما كان

يشرحنه لى،فرجعت من الحج ، وصرت إليه فإذا هو قد ألف الحروف كلها على ما فى صدر هذا الكتاب » . كما يصف الليث ، على ما أفادنا ابن النديم أيضاً طريقة الخليل فى وضع معجمه : « فكان يملى علىّ ما يحفظ ، وما شك فيه يقول لى : سَل عنه فإذا صح فأَثبته ، إلى أن عملتُ الكتاب » (1) .

فى رواية الليث معطيات عدة ، لا تفيد وحسب عن « الأصل » النظرى الذى أنشأ عليه الخليل معجمه ، بل عن ملابسات وضعه وشروط تأليفه أيضاً : وضع الخليل خطة المعجم كما أملى على الليث ما حفظه وعرفه فى مواد الكتاب ، وما « شك فيه » دعا الليث إلى أن « يسأل » عنه و « يثبته » ألا تكون « الزوائد » (أى النقول التى تعود لأعراب ما عرفهم الخليل وما شافههم) من عمل الليث نفسه ، بإشارة من الخليل ، بعد أن قُيض لليث معرفتهم واللقاء بهم فى نيسابور وخراسان ؟

ربما ، هذا ما نميل إلى ترجيحه ، لاسيما وأن المعجم يجمع فى غير مادة من مواده ما يؤكد أو ما يعزز مثل هذه الفرضية . ففى غير مادة نراه يجمع بين عرام وأبى ليلى ، المقيمين فى بلاد فارس : « لم يعرفه (أى هذا اللفظ أو هذا المعنى) أبو ليلى ، وعرفه عرام »، أو « لم يعرفه عرام ولا أبو ليلى » . كما لو أن أحداً - أى الليث على الأرجح يقترح عليهما ألفاظاً لـ «التثبت» منها ، وفى الوقت عينه .

كما نقع أحياناً على « تصحيح » يورده زائدة ، على سبيل المثال ، فيؤكد مثلاً : « قال زائدة : البُلعوم باطنُ العنق كله ، وليس كما قال » ، أى « يصحح » ما سبق ذكره فى مادة « بلعم » نفسها ، وهو التالى : « البلعوم : البياض الذى فى جحفلة الحمار فى طرف الأنف » . كما لو أن الليث عرض على زائدة ما سبق له أن جمعه ، أى أنه كان « يتثبت » من المعانى كيف لا ، ونحن نجد فى المعجم أيضاً إضافات تحقق منها الليث نفسه ، حيث يقول فى إحدى المواد على سبيل المثال : « قال الليث : سمعت هاتين بخراسان . . . ».كما نقع فى المعجم على

(1) فى الفهرست ، ص ٦٤ - ٦٥ .

إشارات عـلة ولو مقـتضـبة تفـيد عمـلية «التـثبت» هذه : « رأيتـهم يحكون ذلك » «هذا مـا سـمعت» ، إلى غـيـر ذلك من العبـارات التى تقدم لنا فى صـورة خفـية ولكن أكيدة الليث : التلميذ العالم فى آن، والوفى للخليل على أية حال . كما لو أن الليث كان وحده « فريق عـمل معجمى » بتوجيـه وإدارة الخليل ! وكما لو أن الخليل لم يتـوصل إلى وضع أول طريقـة علميـة محكمة لـوضـع المعاجـم (وهى نظرية « التقليب ») فى تاريخ اللغات وحسب ، بل تنبه أيضاً إلى ضرورة وضع المعاجم من قبل فريق عمل ، لا من عـالم واحد مهما بلغ شأوه .

« شـهادة » الليـث تفـيد ، إذن ، أن الكتـاب مـن وضع الخليل فـى رسـمـه وحـشوه (عـلى أن قـسـمـاً مـن حـشـوه مـاجـرى « إثبـاته » فى المعـجم إلا بعـد تثبت الليث منه عـند العلمـاء) . ونحن نوردها متسائلين : إذا لم تكن رواية الليث هذه صحـيحـة ، فلماذا ينسب إلى غـيـره (الخليل) ما قام به ، ولو جـزئياً ؟ أما كان له أن يتفاخـر بهذا الصنيع النادر فى تاريخ اللغة العربية ؟

إذا كانت ملابسـات صنع هذا المعجم لم تتسـم بالجلاء الناجز – وهـى حالة كل كتب الخليل من دون استثناء ، وغيرها من الكتب القديمة أيضاً – فإن هذا لا يخفى ، بل يقوى من حقيـقة السعى ، بل الطموح الذى قام عليه : وهو « إحصاء » العربية ، وفق طريقة منـهجيـة محْكمة . وما كان لهذا المشـروع أن يتحـقق لولا علم الخليل الواسع فى غير ميدان ، واجـتهاده فى غير سبيل ، ولولا سهر الليـث عليه ومساعدته فى حـشو بعض مـواده . ولليث فى ذلك أكثـر من أجر ، إذ حـفظ لنا أول المعاجم العـربية ، و « الكتـاب » الوحيـد الأكيـد الذى وصلنا للخليل .

شربـل داغـر
أستاذ بجامعة بيروت



كلمة المجمع
في استقبال الأستاذ الدكتور أحمد مدحت إسلام
للأستاذ الدكتور محمود حافظ
عضو المجمع

سيدى العالم الجليل رئيس مجمع اللغة العربية وشيخ المجمعيين :

السادة العلماء الأجلاء :

سيداتى وسادتى :

نستقبل اليوم فى هذا المحراب عالما جليلاً برز فى علوم الكيمياء ، حتى غدا بين أقرانه أرسخهم قدمًا، وأعمقهم أثراً، وأعلاهم منزلا ، وقدرًا ، وله فى حياتنا العلمية والجامعية إنجازات يعتز بها ستظل شاخصة تشهد بعلمه الغزير وخبرته الواسعة ، ذلكم هو الدكتور أحمد مدحت إسلام ، أستاذ الكيمياء بكلية العلوم - جامعة الأزهر ، والعميد الأسبق لهذه الكلية ، ولا أحسبك أيها الزميل العزيز إلا سعيداً حقاً بهذه الثقة الغالية التى منحك إياها صفوة من الجهابذة والعلماء يقدرون علمك وخبرتك ، وهذه الثقة أفسحت لك مكاناً عزيزاً فى هذا المجمع العظيم ، كعبة العربية وحصنها الحصين ، الذى حمل لواءها أكثر من نصف قرن عاليًا خفاقًا نحو السماء ورفع علمها شامخا فى الخافقين ، ولست فى حاجة إلى القول ، إن المكانة التى تنعم بها اليوم - وأنت بها جدير - لمكانة رفيعة حقًا طالما اشرأبت إليها الأعناق وتطاولت الرؤوس، وكثيرا ما هفت إليها قلوب وتطلعت إليها آمال ، فأهنئك تهنئة خالصة عضواً بين سدنة اللغة العربية وحماتها فى مجمع الخالدين .

ولد زميلنا فى عام ١٩٢٤م . بالقاهرة وتعلم فى مدارسها ، وبعد أن أتم دراسته الابتدائية والثانوية ، التى شملت فى المرحلة الأولى ثلاث سنوات بمدرسة البومبرسى الفرنسية فى شبرا . مضى إلى الجامعة والتحق بكلية العلوم بجامعة القاهرة عام ١٩٤٢م . حيث أهله مجموعه للحصول على نصف مجانية فى العام الأول ، ثم على مجانية كاملة طوال

سنوات دراستة الأخرى ؛ لامتيازه وتفرده .

وقد نال الدكتور إسلام على درجة البكالوريوس فى العلوم فى الكيمياء الدرجة الخاصة مع مرتبة الشرف عاه ١٩٤٦م ، وعمل عقب تخرجه فى شركة « شل للبترول » ، حيث تابع دراسته ، وبعد ثلاثة أشهر عين معيداً بقسم الكيمياء بجامعة القاهرة ، حيث تابع دراسته العليا لدرجة الماجستير فى الكيمياء العضوية فى موضوع « كيمياء التفاعلات الضوئية » ، تحت إشراف عالمين كبيرين هما : المرحوم الأستاذ الدكتور أحمد مصطفى ، والعالم الألمانى شورلز ، وحصل على هذه الدرجة عام ١٩٥١م . وفى هذه السنة نفسها سافر إلى إنجلترا فى بعثة علمية رشح لها من جامعة محمد على (جامعة أسيوط حاليا) ، للحصول على درجة الدكتوراه ، وقد حصل على هذه الدرجة فى « الكيمياء العضوية التحليلية » من جامعة جلاسجو عام ١٩٥٤م . وقد عين بعد عودته من الخارج مدرسًا بجامعة عين شمس ، وحين بدأت الدراسة بجامعة أسيوط عام ١٩٥٧م نقل إليها حيث شارك مع زملائه فى إنشاء الأقسام العلمية بالجامعة وتوفير التجهيزات المعملية بها ، وفى عام ١٩٥٩م

عين أستاذاً مساعداً بها، ثم جذبته جامعة الأزهر عند إنشائها فرحل إليها عام ١٩٦٤م أستاذاً بكلية الهندسة ، ثم رئيسًا لقسم الكيمياء بها ثم وكيلاً للكلية ، وقد كان من أوائل أعضاء هيئة التدريس ، الذين شاركوا فى إنشاء الأقسام العلمية ، بكليات الطب والهندسة والزراعة بجامعة الأزهر ، وفى عام ١٩٧٠م عين الدكتور إسلام عميداً لكلية العلوم بجامعة الأزهر ، وكان أول عميد لها ، واستمر فى هذا المنصب ست سنوات ، وكانت له فيها إنجازات تعتد بها تعكس أفقه الواسع وبصيرته النافذة ، وقد قام خلال خدمته الطويلة ، التى بلغت ثمانية وثلاثين عاماً عضواً بهيئة التدريس بجامعات القاهرة وعين شمس وأسيوط والأزهر ، بإنشاء مدرسة علمية رائدة ، تعتبر من أكبر المدارس العلمية فى علوم الكيمياء فى مصر حيث أشرف على كثير من رسائل

الماجستير والدكتوراه ، وبلغ عدد الطلاب الذين حصلوا على هاتين الدرجتين الماجستير والدكتوراه - تحت إشرافه ، أكثر من مئتين من الطلاب ، يشغل الكثير منهم الآن مراكز هامة فى الدولة ، ومنهم أساتذة حاليون بالجامعات ، ومنهم قيادات بالقوات المسلحة . وجدير بالذكر أن إحدى رسائل الدكتوراه التى شارك فى الإشراف عليها كانت فى مجال الحرب الكيماوية ، لأكاديمية ناصر للعلوم العسكرية ، بالإضافة إلى أعمال أخرى هامة فى هذا المجال ، وقد بلغ عدد البحوث العلمية التى قام بنشرها مايزيد عن مئة بحث ، فى مجال الكيمياء العضوية التخليقية ، وبعض تطبيقاتها ، وقد نشرت هذه البحوث فى المجلات العلمية العالمية المتخصصة فى أوربا وأمريكا .

وإبان حياته العلمية الثرية امتد نشاط الدكتور إسلام إلى آفاق رحبة من العلم التطبيقى ، حيث عمل خبيرا لشركة النصر للكيماويات الدوائية بالمؤسسة المصرية العامة للأدوية ، وشارك فى الأعمال الإنشائية التى كانت تجرى بها فى أوائل الستينيات ، وبخاصة فى إنشاء معامل للبحوث والرقابة الدوائية بها ، وفى مرحلة تالية عمل مستشاراً للبحوث لهذه الشركة وبرز جهده الخلاق مستحدثاً طريقة صناعية جديدة لتحضير مشتق الفينامليون الذى يساعد على سيولة الدم ، وقد أشرف على تحضير ربع طن منها ، كما حصل مع آخرين على براءة اختراع لطريقة اقتصادية لتصنيع حمض الستريك .

وفى مجال التأليف والترجمة والنشر ضرب سهماً فى هذا المجال ، وله أكثر من جهد مشكور أغنَى به المكتبة العلمية والثقافية العربية ، ففى علوم الكيمياء شارك فى تأليف عدة كتب منها : الكيمياء الصناعية ، والكيمياء الطبيعية ، والكيمياء غير العضوية وأسس علم الكيمياء ، والكيمياء المعملية .

وقد أعيد طبع هذه الكتب عدة مرات ومازالت شائعة الاستعمال ، لا فى مصر وحدها بل فى كثير من البلاد العربية الأخرى ، وهى من مطبوعات دار المعارف ومن بين مؤلفاته أيضا كتاب للغة

الإنجليزية فى الكيمياء العملية ، وقد امتد نشاطه كذلك فى مجال تطبيق العلوم ، ونشر الثقافة العلمية باللغة العربية وألف عدة كتب منها «الكيمياء عند العرب» (دار المعارف) بين فيه فضل بعض العلماء الأفذاذ مثل : جابر بن حيان ، وأبى بكر الرازى على علوم الكيمياء ، ودورهما التاريخى فى إرساء القاعدة العلمية ، والمنهج العلمى والتقنية للتجارب العلمية ، وكتاب « رسالة كوكب » ، (دار الفكر العربى) يتناول فيه أخطار الاستخدام غير الرشيد للعلم ، وكتاب «الفن عند الكيمياء» (عالم المعرفة) يشرح فيه استخدام الجزئيات الكيميائية فى نقل المعلومات فى أجسام الكائنات الحية ، وكتاب « هل نحن وجدنا فى هذا الكون » (الأهرام) يتناول فيه الطرق الممكنة للاتصال بين الحضارات فى هذا الكون الرحب ، وكتاب «التلوث مشكلة العصر » (عالم المعرفة) يتناول مشكلات تلوث الهواء ، والماء ، وارتفاع درجة حرارة سطح الأرض ، ومشكلة ثقب الأوزون ، والتلوث فى المبيدات والمخصبات ونفايات البترول وغيرها ، وكتاب « علماء العرب والمسلمين » ، بتكليف من مجمع البحوث الإسلامية ، ولم ينشر بعد ، يتناول فيه الأعمال العلمية لنحو خمسين عالماً من علماء العرب والمسلمين فى مجالات الفلسفة والفيزيقا ، والكيمياء ، والرياضيات ، وغيرها من فروع العلم ، وبالإضافة إلى ذلك ترجم الدكتور إسلام بعض الكتب العلمية من اللغة الإنجليزية إلى اللغة العربية لمؤسسة الأهرام منها ، كتاب « أسس الكيمياء العضوية » ألف صفحة ، وكتاب « ميكانيكا التفاعلات العضوية » ثلاثمائة صفحة ، وهما من المراجع العلمية فى هذا المجال .

أما جهوده فى مجمع اللغة العربية فهى كثيرة حقا ، امتدت قرابة عشرين عاماً ، عمل خلالها خبيراً له وزنه وباعه الطويل فى لجنة الكيمياء والصيدلة ، ولجنة النفط . وشارك فى إنجاز عدة آلاف من المصطلحات

العلمية ونقلها مع شروحها إلى اللغة العربية ، مقرونا بالبحث الدءوب عن أدق المقابلات العربية لها ، كما شارك فى إنجازات معجم الكيمياء والصيدلة ، الذى أصدره المجمع فى السنوات الأخيرة تقديراً لمكانته العلمية .

وقد انتخب الدكتور مدحت إسلام عضواً بالجمعية الكيميائية البريطانية والأكاديمية المصرية للعلوم ، وبالجمعية الكيميائية المصرية ، وبالمجمع العلمى المصرى ، كما أنه عضو لمجلس البحوث الأساسية بأكاديمية البحث العلمى والتكنولوجيا ، وكان له دور بارز فى تأسيس نادى هيئة التدريس ، بجامعة الأزهر ، وعمل أميناً له كما أنه له نشاط رياضى كبير فى نادى الشمس و قد عمل وكيلا له طوال عشر سنوات يهتم فيه بمختلف النواحى الرياضية والثقافية ، وجدير بالذكر أن للدكتور إسلام ولعا شديدًا بالموسيقى ، ولعل نشأته الأولى فى شبرا ، حين كانت تزخر فى العشرينات بالحدائق يتنسم عطرها وأريجها فى روحاته وغدواته ، قد أرهفت حسه ووجدانه ، فى ذلك لم يكن غريبا ، بعد أن شب عن الطوق - أن يعشق الموسيقى فيصبح بعد سنوات عازفاً مجيدا ومازلت أذكر عزفه الذى كان يأخذ بمجامع القلوب بكلية العلوم ، أيام أن كان طالبا بها ومازال يحتفظ بين مكتبته العلمية والثقافية بمجموعة من أعمال أهم العازفين والمساترة العالمية .

سيدى الرئيس :

السادة الزملاء ، والعلماء . . . هذه لمحة عن حياة هذا العالم الجليل الذى نستقبله اليوم ، ونفسح له مكاناً ومكانة فى هذا المحراب زميلاً وعضوا بمجمع اللغة العربية مجمع الخالدين ، وهى كما ترون حياة زاخرة بالعطاء والعمل المثمر البناء ، وإنى على يقين أنه بعلمه وخبرته سيكون خير عون للمجمع ، ليمضى بقيادته الرشيدة وعلمائه الأعلام فى مسيرته الرائدة نحو إعلاء شأن العربية وإرساء نهضة شاملة تدفع باللغة العربية إلى آفاق رحبة لتواكب التقدم المذهل والسريع فى مجالات العلم وتطور المعرفة .

والله ولى التوفيق ،

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

محمود حافظ

عضو المجمع

كلمة العضو الجديد

الأستاذ الدكتور أحمد مدحت إسلام

العالم الجليل الأستاذ الدكتور رئيس المجمع ،

العلماء الأجلاء أعضاء المجمع الموقر:

أرجو أن تسمحوا لى بأن أتقدم بخالص الشكر للسيد الأستاذ الدكتور محمود حافظ ، الذى استقبلنى اليوم ، والذى أفاض فى عرض كثير من جوانب سيرتى الشخصية وما قمت به من أعمال .

وكم يسعدنى ويشرفنى أن أقف بينكم اليوم عضوا فى هذا المجمع الموقر ، وهى أمنية طالما تمناها كثير من سدنة اللغة العربية وفاز بها الخالدون ممن ظفروا بثقتكم حتى يسهموا فى إرساء صرح اللغة العربية .

ولقد شرفت بلقاء الكثيرين من أعضاء مجمعكم الموقر ، منذ نحو عشرين عاما ، وذلك منذ أن ساهمت بجهد متواضع فى لجنة مصطلحات الكيمياء والصيدلة بالمجمع وكذلك فى مجال النفط وصناعاته المختلفة ، وأرجو من الله أن يوفقنى فى استمرار العطاء لخدمة لغتنا العربية واستعمالها فى كل مجالات العلم والمعرفة، وإنها لفرصة سعيدة فى هذا المجمع الموقر أن أتكلم عن سلفى ، مشيداً به وبأعماله التى قام بها ، ألا وهو العالم الجليل الدكتور محمد أحمد سليمان .

ولد الأستاذ الدكتور محمد أحمد سليمان عام ١٩١٥ ، فى محافظة القليوبية وتلقى تعليمه الابتدائى فى مدرسة الجمعية الإسلامية ، ثم تلقى تعليمه الثانوى فى المدرسة الثانوية الملكية ، وهى التى تحولت بعد ذلك إلى مدرسة الخديو إسماعيل ، وقد حصل الدكتور محمد أحمد سليمان على شهادة الدراسة الثانوية عام ١٩٣١ والتحق بكلية الطب ، وتخرج فيها عام ١٩٣٧ ، ثم حصل منها على دبلوم التخصص ، ونال درجة الدكتوراه عام ١٩٤٣ وقد التحق منذ ذلك الحين بهيئة التدريس بكلية الطب ، بجامعة القاهرة ، وواصل تقدمه فيها حتى شغل منصب الأستاذية . ثم تولى منصب الأمين العام للمجلس الأعلى للجامعات ، بالإضافة إلى عمله أستاذا بالجامعة ، وشغل هذا المنصب مدة عامين كاملين ، وفى عام

١٩٦٤ عين وكيلا لجامعة الأزهر ، عند إنشائها ،ثم شغل بعد ذلك منصب وكيل جامعة القاهرة عام ١٩٦٥ ، ونظراً لشهرة الأستاذ الدكتور محمد أحمد سليمان فى مجال الطب الشرعى انتدبته بعض الجامعات العربية لتدريس هذا العلم بها ، وقد قام بإنشاء قسم للطب الشرعى فى جامعة الرياض بالمملكة العربية السعودية ، كما أنشأ قسما مماثلاً فى جامعة أم القرى بمكة المشرفة .

وقد كان للمرحوم الأستاذ الدكتور محمد أحمد سليمان نشاط كبير فى مختلف المجالات العلمية وفى كل ما يتصل بمهنته ، وقد كان عضواً مؤسسا فى الأكاديمية الدولية للطب الشرعى والطب الاجتماعى ، منذ إنشائها فى عام ١٩٥٠ ، وكان له كثير من الكتب فى مجال الطب الشرعى ،والوراثة ، وعلم السموم ونشرت هذه البحوث فى المجلات الطبية المصرية والإنجليزية والأمريكية ، كما ظهرت له عدة مؤلفات فى مثل هذه المجالات ومنها كتاب « فى الطب الشرعى وعلم السموم » ، باللغتين العربية والإنجليزية واشترك فى تأليفه مع آخرين .

وقد انتخب الدكتور محمد أحمد سليمان ، عضوا بمجمع اللغة العربية عام ١٩٦٢م ، فى المكان الذى خلا بوفاة المرحوم الأستاذ الدكتور محمد شفيق غربال ،وكان رحمه الله عضواً بلجنة الكيمياء والصيدلة وعضوا بلجنة الطب التى كان خبيرا بها منذ عام ١٩٥٥ ، كما أسهم فى الإشراف على إخراج « المعجم الطبى » بالاشتراك مع الدكتور حسن على إبراهيم ، عضو المجمع الموقر ، وكان رحمه الله تقيا عارفا لدينه حافظا لمعظم القرآن الكريم ، كما كان يتميز بصفاته الشخصية التى حببت فيه الجميع وكان له جهده العظيم فى تعريب المصطلحات العلمية ، فى أكثر من مجال . جزاه الله خير الجزاء ، عما قدمه للغة العربية وعما قدمه لأمته من خدمات جليلة .

السادة العلماء أعضاء المجمع الموقر؛

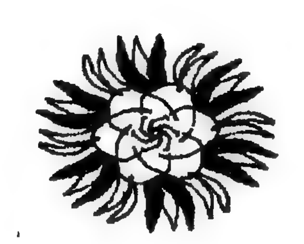
إن اللغة العربية كغيرها من اللغات كائن حى لابد له أن ينمو وأن يتطور ، وإذا شئنا أن نبقى على حياة لغتنا مستمرة متطورة فى هذا العصر الذى يتميز بالتقدم

العلمى المتصل فى مختلف المجالات، فإن علينا أن نبذل فى ذلك جهوداً مضاعفة وأن نبحث كذلك فى علوم عربية قديمة ، وأن نرجع دائماً إلى تراثنا اللغوى ، كما أن علينا ألا نحجم عن التعريب ؛ إذا اقتضى الأمر ذلك ، فإن الكلمة بعد أن تعرب تصبح للعربية جزءاً لا يتجزأ من كيانها .

تحية خالصة لهذا المجمع العظيم وجهوده الرائدة فى النهوض باللغة العربية والحفاظ على مقدساتها ، داعيا الله أن يوفقنى فى هذا السبيل ، للعمل بجهدى المتواضع مع علمائه الأجلاء ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

احمد مدحت إسلام

عضو المجمع



كلمة المجمع

فى استقبال العضو الجديد الأستاذ الدكتور عطية عبد السلام عاشور

للأستاذ الدكتور محمود مختار

عضو المجمع

السيد الأستاذ الكبير الدكتور إبراهيم مدكور رئيس المجمع

الزملاء الكرام أعضاء المجمع

سيداتى وسادتى ضيوف الحفل :

يطيب لى فى مستهل هذا الحفل الكريم وقد شرفنى مجلس المجمع بالإنابة عنه أن أتوجه بتهنئتين اثنتين :

أولاهما تهنئة للمجمع بتوفيقه فى ضم الأستاذ الدكتور عطية عاشور رائد العلوم الرياضية فى مصر وخارج مصر عضواً عاملاً ، ليشغل عن جدارة مكانا ظل شاغرا لفترة طويلة بعد رحيل الرائد الكبير الأستاذ الدكتور محمد مرسى أحمد ، وبتوفيق من الله جاء الأستاذ الدكتور عطية عاشور الذى نهل من علمه وسار على نهجه ؛ فكان جديرا بحمل رسالته فى تعريب العلوم الرياضية ، والسير بها قدما نحو الهدف السامى الذى يضطلع به المجمع ، ويسعى إليه دائما ، وهو تعريب العلوم التطبيقية الحديثة .

والتهنئة الثانية - أزجيها إلى الأخ والابن والصديق والزميل الأستاذ الدكتور عطية عاشور بدخوله عضوا عاملا متوجا فى مجمع الخالدين ، ممثلا لعلم من أهم العلوم الأساسية وهو علم الرياضيات . والواقع إنه كان جديرا بهذا الشرف منذ سنوات وسنوات ، إذْ أنه لم يكن أبدا بعيدا عن المجمع طوال العشرين سنة الماضية ، فقد كان الخبير الأول للرياضيات والمقرر غير المتوج للجنتها ، وقد كان عمله خبيرا فى لجنة الرياضيات كفيلا باستمرار اللجنة فى نشاطها وإنتاجها بعد رحيل الدكتور محمد مرسى عميد الرياضيين والأستاذ مصطفى نظيف عميد الفيزيقيين عنها . وقد كانت الرياضيات آنذاك مندمجة في لجنة الفيزيقا كتوأم لها تجمع بينهما رابطة قوية . فالفيزيقا هى وعاء الرياضيات ، والرياضيات هى لغة الفيزيقا .

واليوم وأنــا أتحدث بلسان المجــمع فى استقــبال الزميل الكبيــر أقول له إن الرسالة التى يعهد بها المجمع إليك أمانة فى عنقك هى رسالة من أنبل الرسالات وأعلاها شأنا ومــرتبــة ، وهى الهــدف الذى نص عليــه قانون المجمع فى صدر بنوده ؛ وهو العمل على أن تواكب اللغة العربيــة علوم العصر الحديث ومستحدثاته وفنونه وحضاراته وأن توفي بمتطلبــات تكنولوجــياته المتــقدمــة ، وبذلك تســهم لغة الأم فى جمــيع الأنشطة العلمية والتعليمية والــتطبيقية والصناعية ، وتتبــوأ مكانة علميــة معاصــرة بين اللغات الحية المتقدمة ، وتســتعيد مكانتها فى ركب العلم والمعــرفــة التى اضطلعــت بهــا فى عصور ازدهارالحضارة العــربية الإسلامية . وإنى على ثقة تامــة بقدرة الدكتور عــاشور علــى الإســهــام الجــاد فــى حــمل هــذه الرسالــة العظيمــة وتأديتهــا علــى خيــر وجــه بما وهبـــه الله من علم ومــعــرفــة ونشاط متميز .

فــهو الــذى حصل على جــائزة فــؤاد لأول فى العلوم لعــام ١٩٥٢ وعمــره ٢٨ عاما وحصل على جائزة أمين لطفى عامى ٥٤ و ٦٢ وجائزة الدولة التــشجيعــية عام ١٩٦٦ ووســام العلوم والفنون من الطبقــة الأولى ثلاث مرات ، ووســام الجمــهورية من الطبقة الثانية عام ١٩٨٤ ، وهو الذى توجتــه الدولة بمنحه الجــائزة التقــديرية فى العلوم لعام ١٩٨٩ .

وللدكتور عطيــة عاشور جهود كــبيرة فى تعريب العلوم الرياضية ويكفــيه اعتزازا وفخرا أنه يتقدم هيئات التدريس بالجامعات المصرية والعربية فى تدريس الرياضيات فى المرحلة الجامــعيــة الأولى باللغة العــربية ، وقد اســتلزم ذلك منه تأليف كتب دراســية فى الرياضــيــات باللــغــة العــربيــة لمرحلة الدراسة الجامعية الأولى ، ومرحلة الدراسة قبــل الجامــعيــة وقام بتــرجمــة ومراجــعة وإخراج كتب مــرجعية رفيعــة المستوى فى الرياضيات أذكر من بينهــا كتاب «التفاضل والتكامل» لكورانت ، وكتــاب «الاتجاهات الحديثة» وتعليم الرياضيات لهيئة اليونسكو وكتاب «الميكانيكا الهندسية» لتيمو شنكو ، ومجمــوعة كتب شوم للرياضيــات وكتاب

الميكانيكا لبارثون وكتاب «الكهرباء والمغنطيسية» لفرارو .

وفى خضم هذا الإنتاج الوافر لم ينس مجال العلوم المبسطة والثقافة العلمية العامة فهو من أبرز كتابها وفرسانها فترجم الكتاب الثقافى الكبير الرياضة للمليون وكتاب العلم للمواطن وكلاهما للرياضى العالمى هو جبن وكتاب مدخل فى الرياضيات وكتاب متعة الرياضى وكلاهما لسوير وكتاب تطور علم الطبيعة لأينشتين.

والدكتور عطية عاشور دمياطى أصيل تعتز وتفخر به تلك المدينة الزاهية التى أنجبت على مشرفة وعبد السلام الكردانى رائدى الرياضيات فى مصر وأنجبت شوقى ضيف نجم المجمع وأمينه ومحمود حافظ وعبد الحليم منتصر المجمعيين الممتازين

ولد عام ١٩٢٤ وحصل على دكتوراه الفلسفة فى الرياضيات من جامعة لندن ثم دكتوراه العلوم D.Sc من الجامعة نفسها وتدرج الدكتور عاشور فى وظائف التدريس بعلوم القاهرة حتى أصبح أستاذا لكرسى الرياضة التطبيقية خلفا للدكتور على مصطفى مشرفة فكان خير خلف لخير سلف .

وامتد نشاطه العلمى خارج مصر فاختير أستاذا زائرا وخبيرا وباحثا فى عدد من الجامعات العريقة ، منها جامعة لندن وجامعة إكستر بإنجلترا وجامعة بون وجامعة بوتسدام بألمانيا وجامعة باريس بفرنسا وجامعة ألاسكا بأمريكا .

وللدكتور عاشور نشاط وافر وصوت فعال فى الاتحادات الدولية العلمية والمؤتمرات التى ألقى فيها العديد من البحوث المبتكرة وعمل عضوا عاملا فى اجتماعات دولية حكومية وغير حكومية ، وصل فيها إلى أعلى المستويات ، فقد كان رئيسا للاتحاد الدولى للطبيعة الأرضية ومقاييس الأرض ، ونائبا لرئيس الاتحاد الأفريقى للرياضيات ، ورئيسا للاتحاد العربى للرياضيين والفزيائيين العرب .

وللدكتور عاشور نشاط كبير فى الجمعيات العلمية والبحثية فقد كان من رؤسائها ومقرريها ، أذكر منها الجمعية المصرية للعلوم الرياضية والطبيعية التى

أسسها مشرفة عام ٣٧ والمجمع العلمي المصرى العريق الذى قارب المئتين من عمره والأكاديمية المصرية للعلوم والمجلس النوعى فى أكاديمية البحث العلمى والتكنولوجى . وفوق هذا وذاك فهو مؤسس مدارس علمية بحثية فى فروع الرياضة التطبيقية ، وأشرف على عشرات الرسائل الجامعية للماجستير والدكتوراه ونشرها فى عدد كبير من الدوريات العلمية المتخصصة فى مصر والخارج .

سادتى :

أخشى إذا استطرتُ فى الحديث عن أنشطة الدكتور عطية عاشور فى العلم وإنجازاته المتميزة فى البحث وجهوده فى التعليم وإسهاماته فى تعريب العلوم ألا يتسع لها هذا الحفل الكبير ، ويكفينى أن أقول له إن مصر والعالم العربى مازالا ينتظران منه الكثير والكثير فى خدمة العلم والتعليم والثقافة فى مجالى العلوم عامة والعلوم الرياضية خاصة . أسال الله لك دوام التوفيق إنه نعم المولى ونعم النصير .

ومرة أخرى هنيئا لك بعضوية المجمع وهنيئا للمجمع بعضويتك .

والسلام عليكم ورحمه الله وبركاته

محمود مختار

عضو المجمع

كلمة
الأستاذ الدكتور عطية عبد السلام عاشور
فى حفل استقباله عضوا بالمجمع

الأستاذ الكبير الدكتور إبراهيم بيومي مدكور رئيس مجمع اللغة العربية

السادة الأساتذة الأفاضل أعضاء المجمع

- السيدات والسادة :

أتقدم بالشكر الجزيل للأستاذ رئيس المجمع وللأساتذة أعضاء المجمع الذين تفضلوا وأولونى ثقتهم وأدخلونى فى زمرتهم ، وهو شرف لى عظيم . والحقيقة أنه بقدر ماكان فرحى واعتزازى بهذا الشرف كانت رهبتى وجزعى . فأين أنا من هؤلاء الفطاحل الخالدين حماة اللغة العربية الفصحى ، والحافظين لها والمدافعين عنها والعاملين على ازدهارها ؟ أين أنا من هؤلاء ومن زملائهم العلميين الذين نبغوا فى هذا اللغة وأساليبها بقدر نبوغهم فى تخصصاتهم العلمية؟ أين أنا من أعضاء هذه الأكاديمية العريقة الذين يقترب تخصصى العلمى من تخصصاتهم ؟ أذكر منهم الأعلام الأساتذة : مصطفى نظيف ، قدرى طوقان ، محمد مرسى أحمد ، إبراهيم الدمرداش ، رحمهم الله والأستاذينْ : محمود مختار ، وعبد الرازق عبد الفتاح أطال الله فى عمرهما ومتعهما بالصحة . أين أنا من كل هؤلاء وهؤلاء ؟

لقد ظننتم بى أكثر مما أظن بنفسى وأسأل الله تعالى أن يوفقنى لأكون عند حسن ظنكم وأهلاً لثقتكم وأعدكم أن أبذل كل جهد مستطاع لخدمة اللغة العربية ، وتوظيفها لتعليم العلوم الطبيعية والبحث فيها ، وكذلك للنشر العلمى . أكرر شكرى وامتنانى لحضراتكم .

لقد تفضل أستاذى ورائد الفيزيقا الأستاذ الدكتور محمود مختار بتقديمى لكم ، وأسهب فى الإشادة بأعمالى

المتواضعة وهو فضل له يستحق عليه منى شكر مضاعف . والأستاذ الدكتور محمود مختار من قمم العلماء وهو مجمعى أصيل وهب وقته وجهده للمجمع ؛ فهو يرعى ثلاث لجان علمية متخصصة من لجانه ، ويقود عملها ويوجهه فى تعريب المصطلحات العلمية وهو عمل يستحق كل التقدير والاحترام جزاه الله خيراً على ما يقدمه من خدمات للعلم وللغة العربية .

السيد الرئيس - سيداتى وسادتى :

اسمحوا لى بكلمات قليلة أصف بها علاقتى السابقة بهذا المجمع الخالد ونظرتى المستقبلية إلى عملى فيه .

لقد كان من حسن حظى كما تفضل بذكره الدكتور مختار أن أدرس وأنا طالب جامعى على أساتذة أفاضل نبغوا فى العلم وفى اللغة العربية أذكر منهم المرحوم الأستاذ الدكتور على مصطفى مشرفة والمرحوم الأستاذ الدكتور محمد مرسى أحمد والمرحوم الأستاذ الدكتور أحمد حماد والمرحوم الأستاذ أمين يسن والأستاذ الدكتور محمود مختار مد الله فى عمره .

وقد عاصرت عودتى من البعثة - بعد حصولى على درجة الدكتوراه وتعيينى مدرسا بكلية العلوم بجامعة القاهرة فى عام ١٩٤٨ . حركة ترجمة علمية نشيطة كان يقودها هؤلاء ومعهم أساتذة آخرون فى كلية العلوم أذكر منهم الأساتذة محمود حافظ إبراهيم و محمد رشاد الطوبى و حامد عبد الفتاح جوهر وعبد الحليم منتصر وهم جميعا قمم وأعضاء فى هذا المجمع ،وقد ساهمت فى هذه الحركة بالاشتراك فى ترجمة بعض أمهات الكتب الرياضية والعلمية ضمن مشروع الألف كتاب الذى كان يرعاه الأستاذ الدكتور سليمان حزين العضو البارز بهذا المجمع والذى كان مديرا عاما للثقافة بوزارة التعليم حينئذ . ولا تزال بعض هذه الكتب على رأس قائمة المراجع الجامعية فى الرياضيات حتى الآن . وفى المشروع نفسه شاركت أيضا فى ترجمة عدد من

الكتب العلمية العامة ومراجعتها ، وقد تفضل الأستاذ الدكتور مختار بذكر بعضها .

وكانت الإدارة العامة للثقافة التابعة لوزارة التربية والتعليم فى ذلك الوقت تتولى هذا المشروع وتقوم بطبع هذه الكتب المترجمة ونشرها . وللأسف اختفى العدد الأكبر من هذه المطبوعات ؛ اختفى داخل مخازن الوزارة ويتعذر اقتفاء أثره رغم وجود الطلبات المتعددة لكثير من هذه الكتب. وفى السنوات التالية أخذت وزارة البحث العلمى على عاتقها مشروع ترجمة الكتب العلمية الجامعية ، وقد شاركت أيضا فى هذا المشروع بترجمة بعض المراجع المتقدمة فى الرياضيات للمرحلة الجامعية الثانية ومرحلة الماجستير . وقد اشتركت منذ عام ١٩٥٨ فى تأليف الكتب المقررة للمرحلة الثانوية فى الرياضيات ومازلت أساهم بجهد فى هذا الاتجاه حتى الآن ، كما قمت بالإشراف على ترجمة ثلاثة مجلدات بعنوان « الاتجاهات الحديثة فى تعليم الرياضيات » نشرتها هيئة اليونسكو . وقد دعا هذا الجهد المتواضع أستاذى المرحوم الدكتور محمد مرسى أحمد أن يقدمنى إلى هذا المجمع العظيم للمشاركة فى عمل لجنة مصطلحات الرياضيات ، وقد تابعت العمل فى هذه اللجنة منذ عشرين عاما وحتى الآن، ولقيت من الأستاذ الدكتور رئيس المجمع وهيئة المجمع الموقرة والسادة مقررى اللجنة كل مساعدة وتعاون وتشجيع .

السيد الرئيس – السيدات والساده :

لقد قضيت منذ تخرجى عام ١٩٤٤ من جامعة القاهرة ، ثمانية وأربعين عاماً فى تعليم الرياضيات والبحث فيها ، كما شغلت فى العشرين سنة الأخيرة بشئون السياسة العلمية والتخطيط العلمى على المستوى القومى والإقليمى والعالمى . والآن وقد سمحتم لى بالانضمام لعضوية هذا المجمع ، أرجو أن يوفقنى الله لبذل كل ما بقى لى من

جهد فى المساهمة فى تحقيق أهداف هذا المجمع العظيم ، والتى تفضل « استاذى الدكتور محمود مختار بتذكيرى بها ، وبخاصة فى مجال تعريب تعليم الرياضيات فى المرحلة الجامعية وإعداد المصطلحات اللازمة والاتفاق عليها على مستوى العالم العربى . وسيكون ذلك حسن الختام بإذن الله .

السيد الرئيس - سيداتى وسادتى:

لقد جرى التقليد فى هذا المجمع على أن يتحدث العضو الجديد عن العضو الذى ترك له مكانه ، وهو تقليد متبع فى كثير من الأكاديميات العريقة ، ومنها الأكاديمية الفرنسية ، وهو تقليد سليم يعبر عن وحدة المعرفة وتكاملها إلا أنه قد يؤدى فى بعض الحالات إلى أن يغمط حق العضو السابق إذا كان العضو الجديد على غير معرفة جيدة به وغير ضليع فى أعماله ، وأخشى أن يكون ذلك هو الحال معى، فالمكان الذى سأشغله خلا بوفاة المرحوم الأستاذ الدكتور محمد طه الحاجرى والذى لم أحظ بمعرفته ، وأنتم أعلم منى بعلمه وفضله ، فأرجو أن تغفروا لى أى تقصير فى مهمتى .

ولد المرحوم الأستاذ الدكتور محمد طه الحاجرى عام ١٩٠٨ فى مدينة بنى سويف وكان والده عالما أزهريا جليلا ، ومثل أترابه فى ذلك الوقت أتم حفظ القرآن الكريم فى إحدى المدارس الأولية ، ثم أوفده والده عند بلوغه الثانية عشرة من عمره إلى الأزهر الشريف ، وقد تأثر بذلك كثيراً كما تأثر فى القاهرة بالنشاط الأدبى والسياسى ، وكان متطلعا للعلم شغوفاً بالمعرفة فجمع أعدادا من المجلة التى كان يحررها الأستاذ محمد فريد وجدى ، كما اشترك فى دائرة المعارف التى كان ينشرها الأستاذ محمد فريد وجدى واقتنى كتبه . ومن الواضح أنه تأثر تأثراً كثيراً بالنزعة الإصلاحية الدينية والاجتماعية لهذا الأديب . وقد نال الأستاذ الحاجرى ثانوية الأزهر سنة ١٩٢٩ وتعلم اللغة

الفرنسية فى مدرسة خاصة خلال دراسته بالأزهر . بعد ذلك التحق بقسم اللغة العربية بكلية الآداب فى أعظم عصور هذا القسم عندما كان يضم طه حسين وأحمد أمين وعبد الوهاب عزام وغيرهم من الأعلام . وخلال دراسته ظهرت له بعض مقالات فى مجلة الرسالة ، وكان هذا سبقًا له لأن النشر فى هذه المجلة كان مقصورًا على الأساتذة . وبعد حصوله على درجته الجامعية عمل كطالب بحث ، وبدأ ميله نحو أدب الجاحظ فاختار لموضوع رسالة الماجستير تحقيق كتاب البخلاء للجاحظ .

وقد قدم رسالته التى صحح فيها الأخطاء المتضمنه فيما سبق أن نشره المستشرق «فان فلوتن» وتناول فى هذه الرسالة كل ماجاء فى الكتاب من ألوان الحضارة العباسية ؛ وبذلك أصبح كتاب «البخلاء» فى صورة طيبة وميسره للأدباء والباحثين ، وقد نال إعجاب لجنة مناقشته فى رسالته وعين بناء على ذلك معيدًا بقسم اللغة العربية ، واستمر فى تحقيق أعمال الجاحظ فشارك المستشرق «مول كراوس» فى إخراج طائفة من رسائل الجاحظ التى لم تنشر ، وقد تم ذلك وحققا معا أربع رسائل ونشراها سنة ١٩٤٣ . كما أعاد الحاجرى نشرها بعد إضافة رسائل أخرى وخصوصا للجاحظ لم يسبق نشرها .

وقد نقل الحاجرى سنة ١٩٤٢ إلى جامعة الإسكندرية (فاروق الأول) وبقى يعمل بها بقية حياته الجامعية ، وكان أحد مؤسسى قسم اللغة العربية بها ، وحصل على درجة الدكتوراه برسالته عن الجاحظ أيضا دارسًا فيها حياته فى أسرته ومولده ونشأته وثقافته ومذهبه الاعتزالى ورحلاته من مسقط رأسه البصره إلى بغداد وأرخ علميا لمؤلفاته ورسائله ونشر عن ذلك كتابا هاما وقيما بعنوان «الجاحظ حياته وآثاره» . ومن مؤلفاته الأخرى كتاب عن قصر الرشيد صور فيه النشاط السياسى والاجتماعى والأدبى فى القصر ، كما ألف كتابا فى تاريخ النقد العربى، وكتابا عن الشاعر

العباسى بشار بن برد ، وآخر عن ابن حزم . ولم يقتصر عمل الدكتور الحاجرى على جامعتى القاهرة والإسكندرية ؛ فقد قام بالتعليم والبحث فى جامعات عربية أخرى ، فأعير إلى الجامعة الليبية من ١٩٥٦ إلى ١٩٦٠ وساعد فى انشاء قسم اللغة العربية بها وتعرف خلال فترة بقائه هناك على الحياة الأدبية فى بلاد المغرب ، وكتب طائفة من الكتب عن هذا الموضوع . كما أعير إلى جامعة بغداد فى السنوات من ١٩٦٤ إلى ١٩٩٦ . وبعد عودته إلى قسمه بجامعة الإسكندرية نشر محاضراته عن الحياة العقلية والأدبية فى الجزائر ، وخص الأمير عبد القادر الجزائرى فيها بدراسة تفصيلية . وبعد إحالته إلى التقاعد سنة ١٩٦٨ نشر كتابا عن الأستاذ محمد فريد وجدى أستاذه الروحى فى شبابه . وعاد الحاجرى بعد ذلك إلى بحوثه فى الأدب المغربى فنشر كتابا عن ابن خلدون بعنوان « ابن خلدون بين حياة العلم والسياسة » ، كما نشردراسة عن الأديب التونسى ابن شرف القيروانى سنة ١٩٨٣ بعد زيارة لتونس . كما نشر فى العام نفسه دراسة عن مرحلة التشيع فى المغرب وأثره فى الحياة الأدبية منذ قيام الدولة الفاطمية . وإلى جانب هذا الإنتاج الغزير نشر الحاجرى مقالات عديدة فى مجلة كلية الآداب بجامعة الإسكندرية ومجلة الثقافة ومجلات أخرى بمصر والعالم العربى . ولعل من أهم هذه المقالات المقال المعنون « العربية فى المشرق الإسلامى »

وقد استقبل المرحوم الدكتور الحاجرى بالمجمع فى ٢ من مايو ١٩٨٤ واشترك فى لجنة المعجم الكبير ولجنة الجيولوجيا ونظرا لمرضه لم يستطع أن يقدم ما كان يؤمل ويحب للجنتين .

هذه بعض أعمال المرحوم الأستاذ محمد طه الحاجرى ، وآمل أن ينظر تلاميذه وعارفو فضله فى جمع ونشر أعمال هذا المجمعى الشامخ فلا شك أنها جديرة بذلك .

السيد الرئيس – السيدات والسادة :

أتقدم مرة أخرى بالشكر للسادة أعضاء المجمع وللسيدات والسادة الذين تجشموا مشقة الحضور اليوم والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

عطية عاشور

عضو المجمع

كلمة المجمع

فى استقبال العضو الجديد

الأستاذ الدكتور كمال دسوقى

للأستاذ الدكتور كمال بشر

عضو المجمع

السيد الرئيس ، حضرات السادة :

يسعدنى أن نستقبل معاً اليوم الزميل الجديد الأستاذ الدكتور كمال محمد دسوقى عضواً عاملا بحصن العربية ، ومفكرا رائداً فى دنيا العلوم الإنسانية على اتساع جوانبها وأبعادها ، ويحق لنا إذ نرحب به فى رحاب المجمع وحماه ، أن نعتز ونفخر بانضمام محارب متمرس ، خبير بفنون التعامل مع بضاعته ، وهى بضاعة غنية ثرية ، عميقة الأصول ، متنوعة الروافد ، التى لا يجف ماؤها ولا ينضب معينها .

إن الدكتور دسوقى فيلسوف فى أصل اهتماماته وتخصصه الأول ، والفلسفة كما نعلم هى أمّ العلوم ، ومن ثم لا نعجب أن تنطلق طاقاته وقدراته إلى آفاق من العلم والمعرفة أوسع وأرحب ، آفاق تولدها خصوصية الفكر وعمق النظر وتستمد غذاءها وَرِيَّها من تلك المنحة الربانية المتمثلة فى العقل المدبر والبصيرة النافذة ، وهكذا تنوعت اهتمامات صاحبنا وتعددت أطرافها، فكان الفيلسوف الاجتماعى ، الأديب اللغوى ، المربى المعلم ، القانونى والسياسى الحَصِيف ، ووظف هذه الاهتمامات والاتجاهات فى قضية الإنسان بوصفه عضوا فى مجتمع له حقوق وعليه واجبات ، ومن ثم انطلق إلى البحث فى علم النفس بآفاقه المخْتلفة، فكان عالم النفس المدقق الذى لا يشق له غبار، وجاء ذلك كله فى تناسق وتكامل ، يساند بعضه بعضا ، وينتسب بعضه إلى بعض ، كما جاءت آثار هذه الجوانب والأبعاد فى صورة تطاول التمام والكمال، وقديماً قالوا : لكل مسمىً من اسمه نصيب .

ولد الدكتور كمال محمد أحمد دسوقى بقرية ديا الكوم من أعمال محافظة المنوفية فى اليوم الخامس من يوليو سنة ثلاث وعشرين وتسعمائة وألف . نشأ وتربى فى بيت علم وفضل . إذ كان والده ناظراً فى مدارس التعليم الأولى القديم . وكانت رغبة الوالد فى البدء أن يعدّه للالتحاق بمدارس المعلمين الأولية أو ابتدائية الأزهر فأخذ يحفظه القرآن الكريم بنفسه ، حتى أتمّه الفتى وختمه فى سن التاسعة من عمره . ولكن والدته تمنت على أبيه أن لا ينتظر قبوله بالمعلمين أو الأزهر فى سن السادسة عشرة ، وأن يبعث به إلى المدرسة الابتدائية ليكون (أفنديًا) مثل ابن فلان وفلان . . . الذين يتهادون رائحين غادين فى سترات وسراويل قصيرة وطرابيش حمراء ، فحضّره والده بمعاونة تلاميذه الجامعيين تحضيراً آخر بإعطائه دروساً فى اللغة الإنجليزية ، ثم ألحقه بمدرسة البعثة الأمريكية التى بقى فيها سنتين ، ثم انتقل إلى مدرسة الألفى الابتدائية (الثانوية العسكرية الآن) بمنيا القمح ، وحصل على الشهادة الابتدائية سنة ست وثلاثين وتسعمائة وألف ، ثم انتقل بعد إلى مدرسة الزقازيق الثانوية ، وهناك تفتحت مواهب كمال فى الأدب العربى والشعر والخطابة - حيث طبع له ولرفيق دربه عمر حافظ أحمد شريف ، المستشار القانونى ومدير مكتب الرئيس الراحل جمال عبد الناصر ونائب رئيس المحكمة العليا الدستورية فيما بعد - طبع لهما ديوان شعر على نفقة الوزارة سنة ثمان وثلاثين وتسعمائة وألف بعنوان « رَوض الخيال » واختتم دراسته الثانوية بالحصول على الجائزة الأولى فى مسابقة الأدب العربى لطلاب السنة التوجيهية سنة اثنتين وأربعين وتسعمائة وألف ، قيمتها مجانية كاملة بالجامعة فى الكلية التى يختارها ، بالإضافة إلى عشرين جنيها نقداً ومجموعة من الكتب مهداة من وزيرالمعارف العمومية على زكى العرابى باشا . فقد شدّ من أزره

حينئذ على التفوق فى الأدب العربى التهامه لأمهات كُتُب ودواوين الشعر قديمه وحديثه ، وكتب الفقه والتَّصوف التى حوتها خزانة عمه وحَميِّه الأزهرى الدرعمى الأستاذ أحمد أحمد دسوقى ، كما حظى بتشجيع أساتذة اللغة العربية له ، وعلى رأسهم أستاذنا العظيم الشيخ عطية الصوالحى عضو المجمع السابق رحمه الله الذى كان كثير الافتخار به والحديث عنه وكأنما يقول : ولِتُصنَع على عينى .

ولما تقدم للالتحاق بقسم الفلسفة بكلية الآداب بجامعة فؤاد الأول سنة اثنتين وأربعين وتسعمائة وألف ، نال المجانية الكاملة لأسباب تفوقه وتخرَّج فى قسم الفلسفة بتقدير جيد جدا ، وسجَّل بالدراسات العليا للماجستير مباشرة ودون سنة تمهيدية بوصفه طالب امتياز واختار تخصص علم النفس - لما يبشر به من إمكانات تحليل السلوك الإنسانى وقياساته تجريبيا وإحصائيا ، ولما يتغياه من مقاصد تعديل انحرافات هذا السلوك وتشكيله وتقويمه وعلاجه ، وكان موضوع بحث الماجستير موجها نحو إحدى عمليات العقل العليا - وهى إدراك الكلى عند الطفل - دراسة نمو مدارك الصغار العقلية - وحين أراد أن يسجل للدكتوراة فى موضوع العقاب التربوى ، عاوده الحنين إلى دراسة القانون، فتقدم بالانتساب إلى كلية الحقوق بجامعة عين شمس سنة أربع وخمسين وتسعمائة وألف ، التى كان قد تقرر السماح بالدراسة فيها للمنتسبين من الطلاب ، فلم يرض لنفسه أن يدرس العقاب فى كلية الآداب وفى مواجهتها كلية الحقوق تؤصل للعقاب وتقنُّن العقوبات ، ولعله فى عقله الباطن إنما كان يعاقب نفسه على ما تراوح طويلا منذ البدء بين أن يقصد الحقوق على الفور كبقية رفاقه الذين قدر لهم أن يصبحوا رجال دولة وساسة وقضاة ، وبين أن يلتحق بالآداب التى يتخرج فيها الكاتب والأديب والصحافى والإذاعى . لقد أرضى نفسه بعدم التصدى لدراسة العقاب

فلسفيا واجتماعيا ونفسيا - بمعزل عن الأسس التشريعية والقانونية ، وجاءت رسالته فى علم النفس العقابى : أصوله وتطبيقاته علم نفس جديد يكمل حلقة دراسات علوم الجريمة والعقاب ثلاثية المراحل والإجراءات : الجنائى والقضائى والعقابى - المتمثلة فى مراحل عمليات الشرطة والمحاكمة والسجن ولم يكن معروفا منها حتى ذلك الحين سوى الجنائى والقضائى - يدرسهما فى حقوق القاهرة المستشار محمد فتحى ، وفى حقوق عين شمس الدكتور أحمد خليفة ، وهكذا خرج الرجل للحياة العملية يكافح وينافح فى سبيل نشر معارفه وتحقيق مبادئه التى نعمت بهديها هيئات ومؤسسات علمية مختلفة فى أرجاء العالم العربى شرقه وغربه وفى جهات أخرى من العالم على اتساعه وترامى أطرافه .

تدرج فى سلم هيئات التدريس بالجامعة بدءا بمدرس فأستاذ مساعد فأستاذ بكلية الآداب جامعة القاهرة فرع الخرطوم، ثم ولى رئاسة قسم العلوم الاجتماعية بجامعات القاهرة / الفرع وأم درمان الإسلامية وبيروت العربية ، ثم رياسة قسمى علم النفس التربوى والصحة النفسية بكلية التربية بجامعة الزقازيق وعمادة هذه الكلية ، ونُصِّب فى النهاية نائبا لرئيس الجامعة لشئون التعليم والطلاب- وهو فى كل ذلك هنا وهناك يعطى ويمنح من معارفه الواسعة وعلمه الغزير ويرشد ويعلم بخبرته وتجاربه الطويلة ، ولم يقف عطاء الدكتور دسوقى عند هذا الحد ولم تقتصر جهوده على هذه الميادين بل شرَّق وغرَّب، وطاف أرجاء الدنيا محاضراً ومعلماً وأستاذا زائراً مشاركا فى مؤتمرات وندوات علمية فى شتى بلاد العالم ، فى لندن وكوبنهاجن ، وتونس والجزائر ، وكينيا والخرطوم ولبنان واليابان ... هذا بالإضافة إلى حصوله على عضوية ثمانية اتحادات وجمعيات دولية فى علوم الإدارة وإدارة الأفراد ، والعلاقات الصناعية ، والصحة النفسية والتربية المقارنة .

وإذا ما أشرفنا على إنتاجه وآثاره العلمية ، ألفينا بحراً عميقا واسع الأطراف والجنبات ، يتمثل ذلك فى البدء فى إعداد وتكوين مدرسة كمالية من تلامذته التابعين له في تحمل المسئولية ونشر أفكاره ومبادئه فقد أشرف الرجل على أربع وثلاثين رسالة دكتوراة وخمس وأربعين رسالة ماجستير فى الاجتماع وعلم النفس والتربية . وله من المؤلفات اثنا عشر كتابا ، ومن الترجمات تسعة كتب فى مختلف العلوم والاجتماعية كما أشرف على ما سماه «مكتبة الثورة الإدارية » التى تنتظم أربعة عشر كتاباً ، وهذه الكتب الأخيرة جاءت استجابة لواقع مصر بعد التأميم ، وظهور شعارات: تكافؤ الفرص، عدالة التوزيع ، القضاء على الروتين ، رفع المعاناة عن الجماهير ، الرجل المناسب فى المكان المناسب . . . اختيرت هذه الكتب من عيون الكتابات الإنجليزية والأمريكية فى حركتى الإدارة العلمية والعلاقات الإنسانية ، وهى تعرض بإيجاز وتكثيف لموضوعات دراسة الإدارة العامة ، عملية تدريب الرؤساء ، المشاكل الإنسانية للمدنية الصناعية ، إدارة المشاريع التجارية ، اقتصاديات التنظيم الصناعى . . إلى غير ذلك . وقد جاءت مؤلفاته منوعة ، تغطى مساحات كبيرة من تخصصه ومعارفه ، ولسنا بمستطيعين هنا أن نعرض لكل اتجاهاته العلمية التى أبرزتها هذه المؤلفات ، ويكفى أن نشير هنا إلى شىء منها على ضرب من التمثيل ، ففى كل دراساته وتطبيقاته لعلم النفس على العديد من المجالات التى تيسر له ارتيادها ، لم يغب عن الدكتور دسوقى أن بغيته هى إسعاد الفرد فى مواجهة المجتمع ، ففى تناوله للعقاب فى تعليم الصغار وفى تقويم الجناة وإصلاحهم ، جاء خطابه موجهاً منذ البدء إلى السلطات التى تملك شرعية حق العقاب ، بوصفها المسئولة مع عوامل أخرى عن الانحراف وتهيئة مسرح الجريمة

ومن حق الرجل علينا فى هذا المقام ، أن نشير إلى أكبر إنجاز علمى حققه على

مدى عشرين عاما من الجهد الدائب في تأليف موسوعة علمية جامعة أسماها «ذخيرة علوم النفس» حَشَدَ فيها الترجمة الدقيقة لأكثر من خمسة وعشرين ألف مصطلح في علم النفس وما يتصل به أو يتفرع عنه - من سيكوفيزيقا ، وسيكوبيولوجيا ، وقياسات عقلية ،وتحليل نفسى ،وطب عقلى ، وأدوية نفسية - بالإنجليزية والفرنسية والألمانية -بترتيب ألفبائى واحد- لتعريفات مصطلحات علوم النفس وأعلامه بكل فروعه : الفسيولوجى التربوى ، الاجتماعى ، الصناعى ، الإدارى ، الجنائى والعقابى ، المرضى والعلاجى استخلص هذه التعريفات من سبعة معجمات رئيسية فى اللغات الثلاث ، مع توثيق كل تعريف من جملة تعريفات المصطلح الواحد فى مراجع هذه اللغات بالإشارة إلى رمز اسم المرجع ورقم الصفحة ، ومع تأصيل المصطلح المعرَّب إلى جانب تأصيل المصطلح الأجنبى - بإثبات الجذر اليونانى واللاتينى أو الأنجلوسكسونى الحديث - ساعده فى كل ذلك تمكنه من اللغتين الإنجليزية والفرنسية قراءة وكَتْبًا ، منذ دراسته الأولية ،ثم تدريسه لهاتين اللغتين فى بدء حياته العملية ، كما ساعده على ذلك أيضا ما لديه من حس لغوى بجذور الاشتقاق وتعمق واضح فى ميادين الصرف والنحو ، سواء أكان ذلك فى العربية الفصحى أم فى اللغات الكلاسيكية .

إن هذا العمل العلمى الموسوعى الذى عكف الدكتور دسوقى على إضافته للمكتبة العربية وتحمل جهود إخراجه وتكاليفه الذهنية والمادية طوال عشرين عاماً لهو بحق ذخيرة لدارس العلوم الإنسانية عموماً التى ينهل منها علم النفس بخاصة فى شتى مجالات الحياة التى تتكشف فيها الطبيعة والإنسانية ويفسر بها السلوك والإنسانى . وهو مرجع يجد فيه الباحث ضالته من المفهومات والنظريات والتطبيقات والممارسات المتعلقة بأية شاردة أو واردة فى تراث علم النفس الطويل كما يقف على

أعلام الكتاب والمُنَظِّرين والممارسين فى هذا الحقل الواسع العريض .

أيها السادة :

ما سجلناه هنا لا يعدو أن يكون حسوة طائر من بحر عميق ، بحر العلوم الإنسانية والآداب والفنون التى ملك زمامها وفصل القول فيها زميلنا الفاضل الأستاذ الدكتور كمال دسوقى ، وليس بالإمكان بطبيعة محدودية الوقت أن نجلو مسيرته المشرقة تمام الجلاء ، إن المجمع إذ يستقبله اليوم ويرحب به فى سلك أعضائه الخالدين، عاملاً مخلصا للغته وعروبته لينتَظِر منه العطاء الموصول والنفع الوفير على سنة الصفوة المخلصة من خيرة العلماء الرواد فى العلم والمعرفة ، والدكتور دسوقى أهلٌ لهذا كله ، فقد مُنح موهبة لا تُبارى ، وصبراً ودأبا على الدرس والبحث من نوع فريد ، وكم كان جميلا من الدولة أن تكافىء هذه الشخصية البارزة وتقدر جهودها وكفاحها فى ميدان التنوير والعمل المسئول - إذ تفضل السيد الرئيس محمد حسنى مبارك بمنح الدسوقى وسام الاستحقاق من الطبقة الأولى عند بلوغه سن الستين سنة ثلاث وثمانين وتسعمائة وألف ، وفاءً بحقه وعرفانا بفضله .

فأهلا بالدكتور كمال محمد أحمد دسوقي في حصن العربية وهنيئا لمجمع الخالدين بحارس من حراس اللغة القومية وحماتها .

والسلام عليكم ورحمة الله .

كمال بشر

عضو المجمع

كلمة الأستاذ الدكتور كمال دسوقى

فى حفل استقباله عضوا بالمجمع

السيد الرئيس المفضال :

السادة الافاضل الأجلاء :

أحمد إليكم الله الذى لا إله إلا هو الفضيل المنان ، واسع الفضل وعظيم الإحسان ، الذى كان من جملة أفضاله أن منّ عليّ سبحانه بأولى الفضل منكم والسعة فى العلم والبيان بلغة القرآن ، فاخترتمونى أخًا لكم ، واتخذتُمونى واحداً منكم ، أسبغتم عليّ فضلة ما فضلكم به الله على العالمين ، وأفضتم بما من الله عليكم فأدخلتُمونى بمشيئته فى الصالحين ، فلا أقول ما قال قارون – وهو أعلم بنى إسرائيل بالتوراة بعد موسى وهارون – «إنما أوتيته على علم عندى» . . . وإنما أقول – شاكرا لله أنعمه وللخالدين ما يسرهم الله إليه من إيتاء الخير وإسداء البر : ذلك الفضل من الله ، ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ، وللآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلا .

ذلكم أن ما طوقتم به عنقى – شكر الله لكم – هو أعز عليّ من كل كنوز قارون ما إنّ مفاتحه لتنوء بالعصبة أولى القوة ، أين منها مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو الموصلة إلى خزائن علمه ، وبما ادخرتمونى لثواب الله هو خير لمن آمن وعمل صالحا ولا يلقاها إلا الصابرون ، إنما مننتم عليّ بغير منٍّ ولا أذى وبلا مباهاة أو مفاخرة فلم أجد إلا كل تزكية وترحيب. وإنى والله حين سعيت إلى عتبات هذا المجمع الجليل أتبرّك بإهداء جهد علمى أمضيتُ فيه أخريات العمر لأختتم به حياتى الدنيا قربانا للآخرة ، وأتملى طلعة أساتذة لى عظام أجلاء تلقيتُ عنهم أول الأربعينيات العلم الرفيع والخلق النبيل وتمثلت فيهم الشموخ والعزة والإباء . . . لم أكن أطمع فى أكثر من أن يقول لى أحدهم «أحسنت» ، أو الثانى «فتح الله عليك» ، أو الثالث : «تقبل الله

منك» – فأقرّ عيناً برضى الله الذى يعكسه رضى الناس ، ويطيب خاطرى وتسكن نفسى إلى القبول والرضوان . بيد أنى لم ألبث حتى علمت أن الله قد سلكنى بهم فى الصالحين ، فأيقنت أن أكابر العلماء ورثة الأنبياء لا يصدرون إلا عن أخلاق النبوة : إنا لا نولى الأمر من سأله ، ولا نعطى العمل من طلبه واستعان عليه حتى يناله ، وأن الولاية لمن اؤتمن عليها لا لمن طلبهَا وسعى إليها .

وسبحان الله ، حقا لا يعرف الفضل إلا ذووه ، فعلى مدى حياة امتدت إلى ما يناهز السبعين لم ينعم الله علىّ بثواب استحققته بالجد والمثابرة إلا شابته شائبة المنّ والأذى من قِبَل الذين أمرهم الله بتأدية هذه الأمانة إذ ولّاهم الله علىّ ، وبدورى ما أديت للذين ولانى الله عليهم ما قد يستحقونه ابتغاء الحث على المزيد من الإخلاص فى الجهد والقصد . . . إلا أشعرونى هم بالامتنان على ما قصدت وجه الله فيه وصالح المؤمنين أن أؤدى الأمانات إلى أهلها . ومع أن ديدنى لنفسى ولمن أعول كان دائما : إذا سألت فاسأل الله ، وإذا استعنت فاستعن بالله لم أكن أملك إلا نفسى فى أن أمحو من نفوس المجتهدين فى العلم السابقين على واللاحقين لى . . . . مظنة المن وانتظار المقابل من الحمد والثناء ، فقد فشا فى زماننا – والعياذ بالله – سؤال غير الله فابتلينا بالوساطات والشفاعات يتوسل بها لمعاشهم أصحاب الحاجات وأهل الأمانات وإن كان ليسبقهم إليها ويستأثر بها غير المستحقين من ذوى القربى أو الحظوة ، وضنّ الولاة من جانبهم بأداء الأمانات لغير أهليهم والتابعين لهم أو المحسوبين عليهم يؤثرونهم بها من دون مستحقيها ، بل لقد بلغ الأمر فى استعمال الرجال رؤساء ومدراء ووزراء وولاة أمور على عشرات بل مئات وآلاف الأنفس من الناس – مع العلم يقينا بأن فيهم من هو أفضل – أن يُولّى الأمانة أضعفهم وأعجزهم عن تحمل المسئولية لأنه الأطوع والأسلس قيادا

لمن استعمله بلا تورع عن غش الله والرسول وجماعة المسلمين ، وقمين بمن سأل غير الله حتى نال سُؤلَه أن يظل مستعينا بغير الله فى ولاية الأمر فلا يؤدى الأمانات إلى أهلها أو يحكم بين الناس بـ (العدل) الذى يرضى ربه ولىَّ نعمته الذى استعمله دون من يَفضُلونه .

ولقد كنت عاهدت الله من قبل فى جو هذا العيش المشوب بالممنونية لغير الله فى الأجر عن العمل بالدنيا للآخرة أن أنجو بنفسى أولا من هذا الشرك بالله لذوى السلطان والجاه - وذلك بالزهد من جانبى عن التطلع إلى ما بأيدى الناس مما هو حق لى قد وكل الله إليهم أمانة تأديته ، وعدم الإلحاف فى طلب المستحق لى إذا تكأكأ عليه الساعون له الراغبون فيه بغير حق ، وأن أهب ما بيدى مما أعطانى الله خالصا لى فلا ترى اليسرى ما تمتد به اليمنى . . عسى أن يجعل الله بذلك أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر ، ثم أن أشيع ذلك من حولى فيمن يتعاملون معى بتعاطى العلم فى تجرد وزهادة يظل معهما طلب العلم على وجه الخصوص مبرأ من الغايات خالصا لوجه الله فى خدمة المجتمع الذى بوأنا - بما أتاح لنا من فرص التعلم والتهذب - مراكز ولاية الأمانة على أهلينا فحق علينا أن ننفعهم بعلمنا الذى آتانا الله فى غير تكبر أو استعلاء وبلا تسلط أو استبداد ، دون استغلال للنفوذ أو ميل مع الهوى أو تربُّح واتجار من الاشتغال بغير العلم فى مناصب أهل العلم. وقد طالما دعوت الله أن يسددنى ويُعيننى على ما قصدتُ إليه من تقوى الله وخشية عدم الوفاء بأمانة ولاية الأمر وقد يسرنى سبحانه لأن أرابط فى أكثر مجالات الحياة وجوبَ التزام بالصدق ، وإيثار للحق ، وتواضع فى العرض، وتأدب فى الطلب، وسماع المريد عن الشيخ ، وجلوس المتلقى إلى المعلم ، ولزوم السالك للواصل . . . وهو مجال طلب العلم - المجال الصعب (الطويل سلَّمه ، إذا ارتقى فيه الذى لا يعلمه) ، المجال

الذى هو نور الله لا يهدى لعاصٍ (حسبما أرشد وَكِيعُ الشافعيَّ ليقضى على شكواه من سوء الحفظ بترك المعاصى) ، المجال الذى سلكته بتقبيل يد والدى وشيوخى ولا أزال وأنا فى سن الشيخوخة والأستاذية - وإن امتنعُت أن يفعل بى ذلك أبنائى وتلاميذى مهما يصح العزم منهم وتخلص النية كى أدفع عنهم شبهة الرياء والتصنع أو مظنة النفاق والتملق أن تستشريا فى نفوس الجيل أكثر مما استشرتا، وإبراء لذمة الشباب أن يستصغر نفسه كلما رأى واجبا عليه أن يعبِّر لى عن امتنانه أو بنوته وقد كبر وأصبح هو أبا لأبناء قد لا تربطه بهم نفس الأبوة الروحية التى ربطتنى به منذ سنوات - لتغير الظروف وتبدُّل الأحوال بتعاقب الأجيال .

وصدق رسول الله فيما قال عن نفسه : «أدبنى ربى فأحسن تأديبى» ، فإن حفظ القرآن وتدبُّر معانيه والعمل به منذ النشأة الأولى هى التى انتهت بنا جميعا فى نهاية المطاف إلى مقاعد خدمة لغة القرآن فى هذا المجمع الجليل - على اختلاف تخصصاتنا فى مدارج الحياة العملية بعلوم الدين والدنيا . ولقد وقعت حادثتان فى طفولتى كانتا آية على افتداء الله لى لأوفِّى نذر والدى أن يهبنى للعلم الدينى وهو يحفظنى القرآن بنفسه فى سن الخامسة - حيث كان أول ما تحركت به شفتاى ولسانى للنطق وما تفتحت عليه عيونى وسائر حواسى للتلاوة وما تنبهت له مداركى للفهم وتطهر به قلبى للإيمان .. هو حفظ القرآن . كان - رحمه الله - يوقظنى وشقيقى من قبل صلاة الفجر لنصبَّ عليه لوضوئه ثم نتوضأ نحن لنصلى معه ، ثم نلحق به عند خروجه على طريق الذهاب إلى مدرسته الأولية التى كان ناظرها ونسير معه ونحن نتلو القرآن خلفه وبين يديه ، حتى إذا وصل ودق الجرس واصطف التلاميذ ودخلوا الفصول ، يلحق أخى الأكبر بفرقته الأولى بينما يصحبنى (الفراش) إلى الكُتَّاب القريب ريثما يحين موعد الانصراف وإلى

حين بلوغى سن اللحاق بالمدرسة . وذات يوم كان والدى قد حل محل معلم تغيب أو تأخر لعذر قهرى ، وبصرف النظر عن موضوع الدرس أو مادته ، أراد والدى أن يمتحن التلاميذ فى جودة حفظهم لما هو مقرر عليهم من سبعة أجزاء القرآن بالفرقة الثانية من السادس حتى الثانى عشر ، ويبدو أن واحدًا من الصغار لم تُعجب والدى تلاوته أو حفظه لسورة (الزخرف) التى امتحنه فيها ، فأرسل أحد السعاة إلى الكتَّاب ليستقدمنى على عجل ، فجاء بى وأدخلنى إليه لأُفاجأ بقوله مخاطبا التلاميذ : هذا الصغير الذى لا يصل إلى موضع ركبتكم سوف يتلو عليكم سورة الزخرف . وأقسم بالله غير حانث ، لو أخطأ خطأة أو لحن لحنة لأذبحنه وألقى بجثته فى النيل هاهنا . ثم رفعنى حتى أوقفنى على حافة القمطر أمام أول مقعد مواجه للتلاميذ وقال لى: اقرأ سورة الزخرف . وبينا أستعيذ بالله من الشيطان الرجيم قبل البسملة أخرج هو من جيب قفطانه مطواة إنجليزية (شفيلد) مقوسة النصل عاجية المقبض كان يعلقها فى صديريِّه ليقطَّ بها أقلام البوص التى كنا نتسلمها لتحسين خطوط النسخ والرقعة والثلث والفارسى فى الأمشاق التى أعدها التعليم الأولى القديم بعدة حصص أسبوعيا لهذا الغرض . وفى غير وعى بما يجرى بدأت أتلو بالغنِّ والمد : بسم الله الرحمن الرحيم ، حمّ والكتاب المبين ، إنا جعلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون ، وإنه فى أم الكتاب لدينا لعلى حكيم . . .» وفيما لا يقل عن ربع الساعة وأنا فى هذا الموقف الرهيب أتممت التلاوة بصدق الله العظيم - وإذا به يقول للتلاميذ : صفقوا له يا أولاد الـ . . . ثم أنزلنى من وسَطى بكلتا يديه وقال لى : انصرف ، وعاد فنادانى ليمنحنى قرشين من الفضة نصف الفرنك المسدسة لأشترى بها ما أريد ، وطبعا لم أتصرف فيها حتى التقينا فى البيت على الغداء ، فأرسل من اشترى لنا بها فاكهة الموسم - وكانت المشمش ،وفى

هذا أيضا بلاغة مناسبة المقام لمقتضى الحال ، وقد امتد به وبى العمر فأصبحت أستاذا للتربية، وتذاكرنا هذه التجربة القاسية التى ما كان ينبغى أن يطاوعه قلبه بالإقدام عليها فماذا لو أننى - لرهبة الموقف وعدم الاستقرار فى وقفتى الطويلة على حافة القمطر - أخطأتُ أو لحنت ؟ أكان فعلا يذبحنى ويلقى بى فى النهر ؟ فما كان جوابه إلا أن قال إنه كان واثقا بى ، وأن الله نجّى الذبيح إسماعيل لأنه قال لوالده « يا أبت افعل ما تؤمر ، ستجدنى إن شاء الله من الصابرين ». لقد صح عزم الخليل إبراهيم على الوفاء بالنذر فكان الفداء بذبح عظيم .

ومن قبلُ كان الله قد افتدانى حين كف بصرى عقب ولادتى فرد إلىَّ نعمة البصر. إذ تقول والدتى رحمها الله إنه حين ولدتُ لها بعد سنة وخمسة وعشرين يوما فقط فى أذيال ابنها البكر الذى كان أشقر الشعر أزرق العينين متورد البشرة ، وجئت أنا لوالدى أسمر الوجه فاحم الشعر مكتحل العينين ، حسدها النسوة حولها على إنجابها الذكور وهن يدارين الحسد بأن هذا الأسمر العبوس كما تقول هى سيكون له فى الرجال شأن أبيه . ففقدت البصر كاملا ثانى أيام السماية بـ (كمال) الذى أطلقته على اسم ابن عم لها كان الذكر الوحيد من أخوالى فى أسرتها ، وأهرعوا بى إلى طنطا حيث أقامت بى فى إحدى العيادات شهرا تم خلاله إنقاذ البصر من العمى الكلى فانجلت الغشاوة وإن تكُن أورثتنى بصرًا كليلا لازمت معه لبس النظارات منذ نعومة أظفارى ، ولزم أن يصطحبنى أخى الأكبر إلى المدارس التى لحقنا بها معا ، لا يصدق أحدٌ أننا شقيقان لاختلاف الصورة ، للتوصية على أن أتخذ مقعدى بحجرة الدرس أول صف وفى الوسط لأرى السبورة ، كما كان الكشف الطبى للحاق بالثانوى فالجامعة أكبر همٍّ لوالدى يخشى معه أن يحول ضعف النظر دون قبولى ، وبعد التخرج والاشتغال بالتدريس تعجلت استلام العمل بتأجيل

الكشف الطبى لسرعة احتياج مدرسة المنصورة الثانوية لمدرس اللغة الفرنسية المعين لسد الفراغ فى جدول المدرسين ، وإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور ، لقد كان أخى الشقيق البكر الذى برع فى الرسم والنقش والفنون الزخرفية ينادينى بالأعمى الدّبّرى (ولا أعرف ماذا تعنى) ودواس الكلاب يغطى بها قصوره هو عنى فى الحفظ والفهم ، وأنه بصحيح بصره يقرأ الصحف بأخطاء يضحك لها هو نفسه ، كان والدى قد أوكل إلىّ أن أراجع معه حفظ (اللوح) وتسميع (الماضى) فيلهو هو ويضربنى أبى لعدم تحفيظه ، لكن الله عوضنى عن ضعف النظر بحافظة قوية وبديهة حاضرة وحسن تصرف بالمواقف جعلت والدى يعتمد علىّ أكثر منه فيما يحتاج إليه من تدبير شئون الأسرة فى المال والأنفس والثمرات وهو واثق من كونى أجيد التصرف بروية وبلا طيش أو اندفاع - شأن كل ثانى الأشقاء وهو يولّد عصاميا لانطوائه على فكره ومشاعره التى لا مجال لها فى محيط والدين ما زالا على تدليل ولدهما البكر وإهمال الذى جاء يقاسمهما مشاعرهما المتدفقة نحوه التى لم تشبع بعد أو تترشد. ومن حكمة الأقدار ولا أقول عجائبها أن يكون اشتغالى بالتنقيب فى بطون معاجم اللغات ودوائر المعارف التى تدق حروف طباعتها بما يتعين معه التدقيق فى تهجئة كلماتها وتمييز معانى ألفاظها التى تختلف بفارق حرف واحد فى المبنى.

السيد الرئيس :

السادة الزملاء :

إن بينى وبين سلفى العظيم مصطفى مصطفى مرعى لموعداً مع القدر أرجو الله أن يكون شفيعى للحاق به فى الصالحين ، فحين تخرج هو بالليسانس فى الحقوق سنة ١٩٢٣ عن إحدى وعشرين سنة من العمر كنت أنا فى طريقى إلى أن أرى النور وليدا فى الخامس من يوليو فى تلك السنة ، وحين ولى القضاء بمحكمة

الإسكندرية سنة ١٩٣٢ لتطبيق نظام القضاء المستعجل الجديد بالمحاكم الوطنية على صغر سنه - إذ عيّن غير مسبوق إلى مثل هذا التقدير لنبوغه عضواً بالتفتيش القضائى بوزارة العدل ليزن جهود زملائه من رجال القضاء . . . كنت أنا أؤدى امتحان جمعية المحافظة على القرآن الكريم بالقاهرة وأنا فى سن التاسعة ، وحين تخرجت فى ليسانس الفلسفة بكلية الآداب سنة ١٩٤٦ كان هو يتسنم أرفع المناصب القضائية بتعيينه مستشارا بمحكمة النقض ، «ليجلّى غوامض القانون ، ويُقَعِّد القواعد ، ويقوّم اعوجاج الأحكام »، ثم لا يلبث حتى ينتقل بعد عام أو عامين لرياسة قضايا الحكومة ، فإذا به أول رئيس إدارة يترافع أمام القضاء ، لا يندب للقضايا الخطيرة غير نفسه ، وهو فى إداراته وجه النهار وزلفاً من الليل ، يجعلها دائبة ناصبة كخلية النحل ، ومن لا يعمل فعليه أن يستقيل ، لا يحاسب إلا على الكبائر ، ويوجه ويشارك ، ويعطى الفرصة للمحاولة والخطأ ، ويقف وراء الرجال عند الحاجة ، ويعلم ويتعلم ،ويجرى الخير على المرءوسين بالمعارف التى يقدمها والتجارب التى يتيحها ، والكتب المجلوبة من الداخل والخارج ، والدرجات والترقيات التى تجعلهم يتذوقون جدوى العمل ومعنى العلم فيسعون للتقدم . إنه ليس رئيسا وإنما هو زميل كبير . . . لقد أضاف جديدا غير مألوف فى رجال القضاء - فن قيادة الرجال - ومن غرامه بقيادة الرجال ، ومن اقتداره على تحقيق الإصلاح الإدارى والقانونى ، ومساعدة الأفراد ، والإبداع فى معارك فنية ليس لها نظير فى كل المستويات . . . يقول لرفاقه إنها أعظم عمل أحبه . وقد اشتغل بالقضاء والمحاماة وعمل بالتدريس الجامعى وبالتأليف . وهنا تسعفنى الذاكرة بما سمعنا عنه وقرأنا له منذ منتصف الأربعينيات فى ساحات القضاء وعلى منابر البرلمان والصحافة من مقالات وطنية ومن مرافعات ثورية واستجوابات محرجة

للوزارة والقصر ... في جريدة اللواء الجديد - صحيفة الحزب الوطنى التى كنا نتغنى مع أستاذنا الفيلسوف الشاب المتأجج غيرة على مستقبل الوطن الدكتور عبد الرحمن بدوى بما يكتبه خصوصا الأستاذ مصطفى مرعى فى انقضاض على رؤوس الحاكمين لا يخشى فى الحق لومة لائم أو غضبة غضوب مهما تكن سطوته - إيمانا منه بأن الكلمة الحرة الصريحة الجريئة هى ألزم ما يلزم مصرنا آنذاك ، واستعدادا لمضاعفة جرعة الدواء إذا لم ينحسر الداء ، وتأهبا لزيادة قوة المقاومة كلما ازدادت قوة الاستعداء ، فيكون ما يقوله غدا أو بعد غد أبعد غورا وأشد وَقْعًا من كل ما قاله حتى آنئذ .

ولكن - وأنا أتشبه به وأتمسح بالانتساب إلى مأثورات فعله وقوله عن المحاماة - إنها مهنة الكرامة والحرية والكفاح- وعن الدفاع عن المظلومين الذين تحالف عليهم الظالمون - إنه مروءة ونجدة - وعن الانتصار للذين لا حيلة لهم المستضعفين لا يملك أن يُخفى ما فى دخيلة نفسه من مسئولية الحكومة أو الدولة . . . وما حدَّث عنه زميله شاعر الفصحى عزيز أباظة غداة تقديمه للمجمع المقدس (١٩٧٣) عن قوله لزملائه طلاب الحقوق أول العشرينيات : «فليؤمن كل منا بما آمن به وهذا خير ، أما عبادة الأشخاص والتسابق على تأليه ما يقولون وتقديس ما يصنعون فإنها علامة إسفاف متهافت تصيب الأمم والشعوب» . فى محاولة تشبُّهى به : أين الثرى من الثريا ؟ أين مَن مقعدُه من الأحزاب السياسية فى السقف - كلامارتين - ممن مقعده وسط حلقة تلاميذ يتلقون عنه العلم فى مجاهدة استذكار مايُثبتون له به عند الامتحان مجرد مواظبتهم على حضور محاضراته واقتناء كتابه ؟ أين أنا منه وهو المِدره الخطيب المفوه الذى تهتز له أعواد المنابر وترنو إليه القلوب والأبصار فى انبهار مشدود إلى سحر بلاغته وبالغ حجته التى بها يقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق

... سواء هو رجل القضاء الواقف أو الجالس بالاتهام أو الدفاع - مِنى أنا الكاتبُ القاعد القرفصاء يلاحظ فيدون ، ويراقب ويسجل ، ثم يملى ويراجع ، ويمحص ويدقق ، ويستقصى ويبحث ليعلل ويشخص ، ثم يلقى ببعض ذلك لمريديه وأتباعه ليعملوا بما علموا منه ووعوه أو استوعبوه ؟ إنه فارس يحق الحق ويبطل الباطل و يغير المنكر بلسانه وقلمه وربما بيديه ، أما أنا فأغير بقلبى وأفكر بصوت عال فحسب - وهو أضعف الإيمان . إن حسبى وأنا أقرن نفسى به أن أدعو الله ببركة ما اختارنى الخالدون لخلافته وتبوّئ مقعده بمجمع الضاد أن تؤهلنى بعض سجاياه وطباعه التى أرخ له بها حبيبه وخليفته فى إدارة قضايا الحكومة السيد المستشار النابه الأستاذ عبد الحليم الجندى - مما أرجو أن يشهد لى به أمام الله كل من عمل معى أو عاشرنى من الزملاء ورفاق السلاح على طول الطريق وفى كل المواقع منذ البدء وحتى حسن الختام - إذ يقول - جزاه الله عن صاحبه وعنى كقارئ لسيرة سلفى فى كتابه « المحامون وسيادة القانون » خير الجزاء : «إنه فارس من فرسان ثورة الشعب سنة ١٩١٩م ؛ أرستقراطية الفكر لديه طبيعة فيه (لحاجة الجماعة إليه مدافعا عن الحرية والعدل مجددا ومبتكرا لوسائل الدفاع فى كل الأحوال) ، وتقدير الصفوة لامتيازه الذهنى منذ حداثته وفى كل موقع شغله عاملاً أو معتزلاً ، وحمله لهموم مجتمعه وتبعات أمته وإن اغترب - كحمائم الأيك تقول الكثير وإن كانت لا تصدح ، .. وإذ يسجل له أن الحب فطرة فيه تتبدى منذ فجر شبابه ، شاملة الأشياء والأشخاص الذين يعرفهم والذين لا يعرفهم ، يظهر ذلك فى كتاباته وفى أسلوب حياته ومعاملاته للزملاء وللأصدقاء كأنهم أبناء - ومنهم من يكبُرونه فى السن ، لا يهتم بالمال إلا أن يكون مال رجلٍ آخر هو موكل بالاستحصال له عليه ، يعطى المستحق

وغير المستحق على أن عطاء المستحق أداء واجب خلقي أو قانوني وعطاءَ غير المستحق آيةٌ سماحة وترغيب ،وهو من فرط احترامه للآخرين كثير الحياء، صبور على الضعف الإنساني، واسع الصدر عفو عن زلات الصغار . .

إننى لم أشبه سلفى العظيم مصطفى مرعى فقط فيما مهد لى السبيل إلى السير فيه من مكابدة إسعاد الفرد فى مواجهة السلطات ، ومساندة المظلومين والمستضعفين فى مواقف البغى والعدوان – سواء فى التربية بالعقاب ، والإدارة بالقهر والعلاج بالتسلط – كل منا بوسائله التي يسرها الله له وإن اتحدت الغاية التى خلقنا لها مع الفارق الكبير بينهما الذى أشرت إليه . . وإنما كان هادياً لى وأنا أترسم واسع خطاه فى فن قيادة الرجال ، والتربية بحرية المحاولة والخطأ وسياسة الترغيب بدل الترهيب . . لكننى أشبهته أولا وأخيرا فى ظاهرة اغترابى مثله العشرين سنة السابقة على لحاقى بالمجمع الجليل – على مشارف السبعين من العمر أيضا – لا بالمعنى الذى أورده هو للاغتراب عن التوحيدى بقوله فى خطبة استقباله بالمجمع إنها كانت بالنسبة له فترة تشتت وتمزق وضياع ، فيها كان مغتربا بالجسد بين الحين والحين وبالروح فى كل الأحيان ، ولا بالتفسير الذى ارتضاه لعبارات أبى حيان كتعبير عن آلامه وآلام من كانوا على شاكلته من بنى قومه وهم يعيشون عصور طغيان فشابهما ما يفشو فى مثل تلك العصور بالضرورة ، من الظلم والبغى والكذب والنفاق والضلال – فيضجون بالصراخ : إلى متى نعبد الصنم بعد الصنم ؟ إلى متى نقول بأفواهنا ما ليس فى قلوبنا ؟ إلى متى ندَّعى الصدقَ والكذبُ شعارنا ؟ إلى متى نستظل بشجرة تقلص عنا ظلها ؟ إلى متى نبتلع السموم ونحن نظن الشفاء فيها ؟ وهل أكون مغاليا إذا قلت إنه سبقنى فى المعية التنبيه إلى أن وصف التوحيدى للاغتراب الذى اقتبس هو منه سطورا قليلة يُعتبر جولة رائدة

رائعة فى علم النفس قبل أن يُعرف علم النفس ، وفى علم الاجتماع قبل أن يُعرف علم الاجتماع ، وفى علم نفس الجماعات قبل أن يُعرف علم نفس الجماعات ؟ لقد اغترب هو - وعلى قدر أهل العزم تأتى العزائم - لأنه كان قد يئس من محاربة الفساد والطغيان فى السياسة ونظم الحكم ، إذ طال بلاؤه من غير ذنب ، واشتد ضرره من غير تقصير ، وعظم عناؤه من غير جدوى ، ولم يجىء اليوم الذى يتحقق فيه أمله أن تهتز ضمائر السادة فيعودوا إلى الرشد ويثوبوا إلى الصواب ، أو أمله فى أن يهتز شعور الأمة المغلوبة على أمرها فتثور لتسترد حقوقها المغصوبة وسلطانها الضائع . . . فيكون لكليهما أو أيهما فى مصر مطلع فجر جديد .

لقد اغتربت العشرين سنة الأخيرة - وأنا فى مواقع عملى - بالجسم والروح أكثر الأحيان لأعكف على جمع تراث علوم النفس والأحياء والطب والتربية والعلاج والمداواة الذى عساه يكون زاداً يرجع إليه فيستعين به الإخصائيون النفسيون وهم يعملون على مساعدة الأفراد فى التغلب على مصاعب الحياة وتخفيف كروب وضائقات العيش ، وتشخيص وعلاج الاختلالات النفسية والاضطرابات العقلية والانهيارات العصبية التى توشك أن تؤدى بالناس إلى الجنون - وهو جهد المقل ، لأننى لا أطمع فى تغيير ما بنفس السلطات الحاكمة للفرد على كافة المستويات المهددة لسلامة نفسه وهدوء باله وصحة عقله من التعطش للمزيد من السلطة تواجه بها الأزمات والحروب والصراعات العرقية والطائفية والدينية . . التى تزيدها «الشرعية الدولية» اليوم بما يعرف بالنظام العالمى الجديد تأججاً واشتعالا . فحسبى أن أجلى «السياسة الشرعية فى إصلاح الراعى والرعية» التى مجتمعاتنا العربية والإسلامية أولى باتباعها من حيث « أداء الأمانات إلى أهلها » ، «والحكم بين الناس بالعدل» اللذين أوجبهما الله على عباده ، إذ لا خلاص لمجتمع أو لنجاة لحاكم إلا بتحقيق المساواة فى الحقوق والواجبات كما أمر الله ، وأن التفاوت بين الناس داخل المجتمع الواحد -والإنسانية جمعاء- بسبب الجنس أو النسب أو اللون أو العرق

.. لا وزن له عند الله مقابل الفضل فى الجدارة الشخصية والجهد الفعلى المبذول فى سبيل الله بالتقوى كعبادة لله فى الأرض . فكان قصارى جهدى أن أنضم إلى سلف سلفى الدكتور محمد عوض محمد - كابراً عن كابر - وهو واحد ممن صاغوا شرعة حقوق الإنسان وهم يناقشون ويضعون ميثاق الأمم المتحدة - فى المناداة بالمحافل الدولية والمحلية بضرورة الإعلان عن « حق الإنسان فى الصحة العقلية » ، وأن أدعو خصوصا إلى عدم تسيس الدولة لوظائف العمل العام الإنتاجية ومراكز البحوث العلمية التى يلزم شاغليها التفرغ التام والحيدة الموضوعية والاستقلال الفكرى وحرية اتخاذ القرار وتقديم الأفعال على الأقوال - وأولا وقبل كل شىء : اصطفاء شباب العلم والبحث الموهوبين واحتضانهم ورعايتهم وكفالة استغراقهم فى مختبراتهم ومعاملهم بكل ما يلزم اكتفاءهم المادى المعيشى والمهنى فلا ينصرفوا فى كسب معاشهم إلى الاحتراف أو الهجرة بعلمهم ومواهبهم ، وعموما إكرام العلماء وتبجيلهم بما يثبت معه إعلاء طلب العلم على أى عمل آخر إعلامى أو تثقيفى أو ترويحى .

سيدى الرئيس الجليل :

سادتى الزملاء الأفاضل :

فى الختام كما فى البدء أحمد إليكم الله الذى لا إله إلا هو الأول والآخر ، والظاهر والباطن ، المبدىء والمعيد ، الذى كان من جملة أفضاله علىَّ أن أعادنى على يديكم إلى ما بدأنى به من حفظ القرآن العظيم إلى الحفاظ معكم على لغة الضاد فى مجمع الخالدين، فأحسن ختامى فى الدنيا وبشر بقبولى فى الآخرة - مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين ،وحسن أولئك رفيقا .جزاكم الله كل الخير على حسن صنيعكم بى ، وشكر الله لأخى الأستاذ الدكتور كمال محمد بشر الذى قدمنى بما هو أهل له من العلم والفضل بعد أن لاقانى بما يصدق عليه اسمه من صفة البشر

أسأل الله أن يقدرنى على أن أكون ما مد لى فى العمر عند حسن ظنكم بى ، وأن يهبنا السداد والتوفيق فيما نحن بسبيله .

والسلام عليكم ورحمة الله .

كمال دسوقى

عضو المجمع

كلمة الأستاذ إبراهيم الترزى

عضو المجمع

فى تأبين الأستاذ الدكتور أحمد السعيد سليمان

عضو المجمع الراحل

أستاذى الجليل رئيس المجمع :

أيها السادة :

سلام الله عليكم ورحمته ،وبعد :

فكم هو شاقٌّ على النفس موقف التأبين !

فيه تتدافع مشاعر الحزن وخواطر الفكر .. وقد يحتدم تدافعُها حتى تستعلىَ مشاعرُ الحزن ؛ فإذا بكلمة التأبين تغدو رثاءً باكيا .. أو تستعلىَ خواطر الفكر ؛ فإذا بكلمة التأبين تغدو بحثاً جافيا

ولا يملك ناصية التوازن بين الشعور والفكر فى هذا الموقف .. إلا أولو العزم من رجال البيان !

وهيهات هيهات .. أن تقوى العزائم فى مواقف التأبين !

وتزداد المشقة على النفس حين يكون التأبين لرجل من صفوة رجال العلم أو الأدب أو الفن .. فهنا تنهض أمام المؤبِّن صحائف وصور لمن يؤبنه .. عليه أن يستجليها .. ليجلوها للقارئين والسامعين !

وتزداد المشقة على النفس حتى تبلغ أقصاها .. حين يكون المؤبِّن صديقاً لمن يؤبنه من هذه الصفوة .. حيث تكون فجيعته فادحة .. وحيث يحاول بعينيه الدامعتين أن يستجلى تلك الصور والصحائف .. فيشق عليه أن يجلوها حقَّ جلائها للقارئين والسامعين !

وها أنذا أواجه الآن هذا الموقف على مسمع ومرأى منكم !

فأحمد السعيد ممن جمَعنى وإيّاهم - وقليلٌ ماهم - حبٌّ فى الله .. تخلَّلَ شَغافَ القلب فصرنا خليلين حميمين .. وفجيعتى فيه ما زالتْ تُغادينى وتُراوحُنى باللوعة والشَّجن ، وبذكريات تتراحمُ على نفسى وخاطرى .. فلا تَدَعُ لى فُسحةً

كافيةً صافيةً لإحسان البيان .. فى موقف يَعِزُّ فيه كلُّ بيان !

وأحمد السعيد من صفوة الرجال الذين يعتصرون حياتهم علماً وعملاً للوصول بها إلى أسمى الغايات .. فقد منحه الله نفساً طُلَعة ..توّاقةً عملاقة .. ضاق عنها جسدُه الواهنُ العليل .. وناء باحتمال تطلُّعاتها الجيّاشة .. وصدق المتنبى حيث يقول :

وإذا كانت النفوسُ كباراً

تعبتْ فى مُرادها الأجسامُ

وقد ظلَّ أحمد السعيد فى مكابدة ومصابرة مع نفسه الوثّابة الغلاّبة .. فى نزوعها الدائم للوصول إلى آفاق جديدة فى العلم .. حتى تضعضعَ بدنُه ، وتكاثرتْ عليه العِلَل .. فضَمرَ وذَوَى ، ثم انطوى .. وهو ما زال فى زهرة شيخوخته ، ووفرة عطائه !

أيها السادة :

حين يقف المرء وقفة المتأمل الدارس لإحدى الشخصيات عليه أن يمعن فى النظر إليها .. حتى يكتشف المحور الذى تدور حوله طاقاتها النفسية والفكرية ، باهتماماتها وآمالها .. فبذلك يدخل إلى عالم هذه الشخصية بكلِّ معالمه وأبعاده .. ومُكوِّناته ومقوِّماته .. ويتسنَّى له – فى ضوء ذلك–أن يتابع حياة هذه الشخصية ، فى حركتها وتطورها ، ونمائها وعطائها .. وأن يفسِّر ذلك كله .. ويحلله ويعلله .. ثم يضعه فى ميزانه الصحيح ، حتى يَقْدُرَه حق قدره .

وقد وقفتُ طويلاً أمام الإنتاج العلميِّ للعلاّمة الفذّ الأستاذ الدكتور أحمد السعيد .. فوجدتُه يدورُ حول محورٍ أساسيّ .. هو « الإسلام » !

فمؤلفاته وبحوثه اللغوية والأدبية ، والعقائدية والتاريخية ، تدور حول هذا المحورِ الأساسيِّ لإنتاجه .

وأشهد أنى – فى صلتى الحميمة به – رأيت « الإسلام » شُغلَه الشاغل ، وهَمَّه الأكبر ، فى ماضيه وحاضره ومستقبله .. وكان أحمد السعيد– على وداعته وسماحته– إذا مُسَّ الإسلام أو لغته من قريب أو بعيد ينتفضُ ويَزأر ، كالأسد الغَضُوب ..والقريبون منه يعلمون هذا عنه !

وهو حين يعـرض لبـعض افـتـراءات الكتـاب الأوربيـين على رسـول الله ﷺ ينتفض قلمه كذلك وهو يسطر :

« حاشاك ياسيدى يارسول الله ! » .

ولعلّ هذا يرجع إلى استعداد فَطَره الله عليـه ، وإلى تنـشـئـة دينيـة اغـذّتْ هذا الاسـتعـداد ٠٠فنمـا وازدهر ، وآتى أُكُلَه ثماراً علمـيةً ، تنفع الناس ، وتبـقى على الزمان !

ولعلكم تعلمون أن شقيـقه الأكبر ، الأستـاذ لبيب السعيـد ، صِنْوُه فى اتجاهه الإسلامىّ ، وله دراساتٌ قرآنية فريدة !

فى هذه البيـئة الـدينية ولـد أحمـد السعيد عام ١٩٢٤م فى مدينة المنصورة ،

وتَدرَّج فى مـراحل التـعليم حـتى حصل - بعـد عشـرين عامـاً من مولده - على ليسانس الآداب من قسم اللغة العربية فى كلية الآداب بجامعة القاهرة ٠

وعقب تخرُّجه فى كليه الآداب ظهرتْ نزعتُه الدينية فى اختيار وظيفته ، والدراسة العليا التى رأى نفسه مؤهَّلاً لها ٠٠ فاختار العـمل فى إدارة الإرشـاد بوزارة الشـؤون الاجتمـاعية ، ثم بإدارة الجمعيـات الخيرية الإسلامية ٠

وفى مجال الدراسات العليا اختار لغة آخرِ دولةٍ للخـلافة الإسلامـية وهى الدولة العثمانية ، التى امتدَّ سلطانها إلى كثير من بلدان العـالم العربىِّ والإسـلامىّ ، طَوالَ قرونٍ غـزا فيهـا الإسلام بعضَ دول أوربا وبسط نفـوذَه على العـديد من دول آسيـا وإفريقـيا ٠٠ ثم انحسر ظلُّ دولةِ الخـلافة حين أخذتْ فى التـراجع حتى انحـصرتْ فى تركيـا الحديثة ، بعد أن خلعتْ عـباءة الخلافة الإسـلامية ، واستـبدلتْ بالحروف العربية حروفاً لاتينيةً للغتها التركية !

ويبدو أن نزعـته الإسـلاميـة الأصيلة دفعتْـه إلى تعلُّم اللغة التركيـة ؛ ليرتاد من خلالها تاريخاً إسلاميًا حافلا بالأحداث ، عـامـراً بالعلم والأدب والحضـارة ،على مدى تسعة قرون ٠٠ ولكنه - مع هذا كلِّه - يكاد يكون مجهولا لدى الكثير ٠٠

وأحـمد السـعيـد مـفطورٌ على حب ارتياد المجـهول من آفـاق العلم والأدب ؛ حـتى يُقـدم للناس الجـديد ٠٠ كـمـا أن للدولةِ العثـمانية آثارَها العـميقـة فى عالمنا العربىِّ والإسـلامىّ ٠٠ وعهـدُنا بها ليس ببعـيد ٠٠ ومازال بعـضُ آثارها ماثلاً فى

كثير من ظواهر حياتنا الاجتماعية واللغوية ، فى الفصحى والعامية .

دَرَس أحمد السعيد اللغة التركية فى معهد اللغات الشرقية ، بجامعة القاهرة ، وكان أولَ دفعته ، فقيَّض الله له بذلك أن يُوفَدَ فى بعثة إلى فرنسا عام ١٩٥٠ للحصول على الدكتوراه من السوربون .. ولكنه اتَّجه من هناكِ إلى تركيا ؛ حيث أمضى نحو عامين عاكفاً على دراسة ما يتصل بموضوع رسالته فى مكتبات استانبول وأنْقَرة وقونيَّة .. ثم عاد إلى باريس ليكتب رسالتين للدكتوراه :

الأولى : دراسةٌ فى العقائد السِّرِّيَّة للبكتاشية ، وهى إحدى الطرق الصوفية .

والثانية : ترجمةُ نصٍّ صوفىٍّ تركىٍّ إلى العربية .. وهو منسوب إلى متصوف تركىّ له شهرةٌ شعبيةٌ لدى القاهريِّين ؛ هو المعروفُ باسم « عبد الله المغاورىّ » الذى دُفن بهَضبة المقطم بالقاهرة .

وقد نَوّهتْ لجنةُ المناقشة – وعلى رأسها العلاّمةُ « ماسينيون » عضوُ مجمعنا الراحل – بالجُهد العظيم الذى بذله أحمد السعيد فى رسالتيْه: تأليفاً وتحقيقاً وترجمة ، وما انتهى إليه من آراء علميةٍ قائمةٍ على دراسة فاحصةٍ لذلك التراث الصوفىّ ، الحافلِ بمصطلحاته وتعريفاته وعقائده .. الباطنةِ والظاهرة .. فمنحته دكتوراه الدولة من السوربون بمرتبة الشرف الأولى عام ١٩٥٦ .

وعاد أحمد السعيد إلى مصر ، حيث اشتغل بالتدريس فى قسم اللغات الشرقية بكلية الآداب بجامعة القاهرة ، وتدرج فيه حتى صار أستاذاً به ، فرئيسًا له .

أيها السادة :

نَوّهْتُ بأن الإسلامَ كان المحورَ الأساسىَّ للنشاط العلمىِّ للدكتور أحمد السعيد .. بدءاً باختياره لغة آخِرِ دولةٍ كبرى للخلافة الإسلامية ، ولكن هدَفه لم يكن مقصوراً على دراسة اللغة التركية ؛ ليُصبح من جهابذتها وعلمائها ومعلّميها فى الجامعة .. فالإسلامُ كان المُحرِّكَ الأولَ لدراستها ؛ لكى ينفتح على عالم هذه الدولة الإسلامية العُظْمَى ، التى كان عليها أن تنهضَ بتبعة الخلافة ؛ فتلتزم الإسلامَ نظاماً وشريعة ، مثلما اتخذتْه عقيدةً وشَعِيرة ، كما كان عليها أن تأخذَ

عن العرب حضارتَهم الزاهرة بعلومها وآدابها وفنونها ، فلا تسبقَها أوربا إلى ذلك .. ولو فعلت الدولةُ العثمانيةُ ذلك كلَّه لانتشر الإسلامُ فى أوربا أوسعَ ممّا انتشر .. ولكن هذه الدولة لم تَعِ دَرسَ العرب فى الأندلس ؛ فتحولت إلى شراذمَ يضربُ بعضُها بعضا ، حتى قُضِيَ عليها ،وطُورِد الإسلامُ والمسلمون فى البلاد المسلمة فى أوربا !

وكم كان أحمد السعيد يُفْضى إلىَّ بمواجعه ، وهو يُحدثُنى عن هذه الدولة التى أُتيح لها مالم يُتحْ لدولة إسلامية أخرى ، بعد الخلافة العباسية فى عصور اردهارها !

بهذه النزعة الإسلامية تَجاوزَ أحمد السعيد مجالَ دراسة اللغة التركية إلى مجال دراسة تاريخ الدولة التركية ؛ فكان المؤرخَ الرائد لهذه الدولة الإسلامية .. مؤلفاً ومحققاً ومترجما !

وهاهو ذا يُحدثُنا فى كتابه : « التيارات القومية والدينية فى تركيا المعاصرة » فيقول :

« لم يعرف التركُ خلال هذه القرونِ التسعةِ التى عاشوها تحت حُكم السلاجقة والعثمانيين قوميةً غير القومية الإسلامية ، شأنهم فى هذا شأن غيرهم من الشعوب الإسلامية .

فقد كان السلاجقةُ لايعترفون بتركيَّتهم ولا يفخرون بها ، بل كانوا مسلمين قبل كل شيء .. وقد صمدوا لغزوات الصليبيِّين فى الأناضول بوصفهم مسلمين.

أما فى عهد العثمانيين فقد كانت القومية الإسلامية هى المُوجِّهَ الوحيدَ المتحكمَ فى سياسة الدولة ؛ وذلك أن دولتهم اصطبغت من لدن قيامها بالصبغة الإسلامية البحتة... وقد بلغت هذه القومية الإسلاميةُ مداها عند السلطان سليم الأول ؛ حتى لقد حاول أن يجعل اللغة الإسلامية الأولى ، وهى اللغة العربية ، لغةً قوميةً للترك » !

وقد كتب أحمد السعيد بحوثاً تاريخيةً ضافيةً بعنوان :

- انتشار الإسلام فى آسيا .
- فصول فى تاريخ المغول .
- تاريخ بيزنطة .

كما ترجم عن التركية :

● تاريخ الترك فى آسيا الوسطى .

● قيام الدولة العثمانية .

● تاريخ الدول الإسلامية ومعجم الأسر الحاكمة .

وترجم لليونسكو بحثاً بعنوان :

« تاريخ الفكر الإسلاميّ الحديث فى شبه القارة الهندية الباكستانية » !

وأحمد السعيد فى ترجمته باحث محقق ، يعلق برأيه على كثير مما يرد فى الكتاب المترجم ، ويشرح ما يحتاج إلى توضيح وتفسير ، كما يُضيف ما قد ينقص الكتاب المترجم من معلومات .. وإذا كانت للكتاب ترجماتٌ رجع إليها ، وقارن بينها ؛ فهو يُجيد الفرنسية ، والإنجليزية ، والتركية والفارسية .

ولهذا لم تجد وزارة الخارجية المصرية أكفأ منه – حين ظهرت مشكلة طابا – لترجمة الوثائق التركية ، الخاصة بهذه القضية الوطنية ، التى انتهت بعودة «طابا» إلى مصر .

ومن إسهاماته القومية العربية إعداده مُخَطَّطًا لتكوين أرشيفٍ إقليميٍّ للعالم العربىّ ، بتكليفٍ من الإدارة الثقافية ، بجامعة الدول العربية ، فى أوائل الستينيّات ، وهو منشور بحوليّات كلية الآداب بجامعة عين شمس .

أيها السادة :

لم يكن الدكتور أحمد السعيد فى بحوثه العلمية بعيداً عن إطاره الإسلاميّ وقد صدر له كتاب « دراسات فى الأدب التركى والإسلامى » يتضمن بعض بحوثه ، وهى :

● وحدة الوجود وبعض الأفكار الباطنية فى الكتب التركية .

● دفترُ العشاق للصوفىِّ التركىِّ عبد الله المغاورىّ .

● كتابُ النبذة للطرازىّ التركستانىّ ومناهجُ الأوربيين فى كتابة السيرة النبوية .

● أوزانُ الشعر الشعبىِّ والتركىِّ وأشكاله .

● وبحوث أخرى بالفرنسية سبق التنويه بها .

وحين مثل جامعة القاهرة فى المؤتمر الدولىّ الثامن والعشرين للمستشرقين – الذى عُقد فى استراليا عام ١٩٧١ – ألقى

بحثين بالفرنسية ؛ أحدهما فى طقوس الطريقة المولوية ، والثانى فى بعض المخلفات الوثنية فى الأدب الشعبى التركى . ثم كتب بحثاً بتكليف من أمانة المؤتمر الذى انعقد فى كارولينا الجنوبية بالولايات المتحدة الأمريكية ، بمناسبة مرور مئة عام على ميلاد مصطفى كمال أتاتورك

ذكر فيه أن مايؤخذ عليه من إغلاق المعاهد الدينية الإسلامية ، وإلغاء الرسم العربيّ الأبجديّ لحروف اللغة التركية ، ثم إلغاءِ الخلافة الإسلامية ، إنما كان بإملاء من الاستعمار البريطانيّ ، الذى لم يستطع مصطفى كمال التَّصدى له بجيشه الذى أرهقته الحروبُ المتواصلة ؛ فاضْطُرَّ لمصانعة الإمبراطورية البريطانية ؛ حفاظاً على استقلال بلاده . ويرى الدكتور أحمد السعيد أن العمر لو امتدَّ بمصطفى كمال لأعاد النَّظر فيما اتَّخذ من إجراءات لاتتفق والإسلام !

وهذا رأى يخالف الشائع المعهودَ عن كمال أتاتورك ، ويثير نقاشاً ليس مجالُه الآن .

ومن المؤتمرات التى دُعى إليها الدكتور أحمد السعيد المؤتمر الدوليٌّ للدراسات التركية ، الذى شارك فيه ببحثه : « الصحافةُ التركيةُ فى عهد محمد على »

ومؤتمر التراث الشعبىٌّ بأَنْقَرة ، الذى شارك فيه ببحثٍ فى «المخلَّفات الوثنية فى ملحمة بَطَّال غازى» .

وقد اختاره المجمعُ ممثلا له فى مؤتمرين :

أحدهما - المؤتمر الذى أقيم فى بودابست احتفالاً بمرور مئة عام على ميلاد المستشرقِ المجرىّ المسلم « عبدِ الكريم جِرمانوس » - عضو مجمعنا المراسل من المجر - وقد حالت ظروفٌ دون سفر الدكتور أحمد السعيد فبعث ببحثه إلى المؤتمر .

والمؤتمر الآخَرُ - عُقد فى باريس احتفالا بمرور مئة عام على ميلاد الدكتور طه حسين ، وقد حالت ظروف كذلك دون سفره ، فبعث ببحثٍ إلى المؤتمر بعنوان : « طه حسين ناثرًا ونحويًا » وهو بحث جديد فى دراسة أدب طه حسين ؛ حيث تناول فيه تأثرَ طه حسين فى أسلوبه

بالقرآن الكريم ؛ وأعلام الشعر العربىّ القدماء ، مستشهدا لذلك بأمثلة عديدة ·· مثلِ قولِ طه حسين فى أسطورة إليكترا : « قد لُمْتنِنى فيه » ولم يقل : لُمْتننى عليه ؛ وهو فى هذا متأثر بما ورد فى الآية الكريمة : « فذلِكُنَّ الذى لُمْتُنَّنى فيه » ·· كما يستعمل طه حسين كلمة « الصديق » للمذكر والمؤنث ، والمثنى والجمع ؛ فهو يقول فى قصته « الحب الضائع » : « كما اختار الصديق التى أوثرها بالمودة » وهو فى هذا متأثر بالشعر العربى القديم ، كقول جميل بثينة :

كأنْ لم نُحاربْ يابُثَيْنَ لَو انّه
تَكشَّفُ غُمّاها وأنتِ صديقُ

وهكذا يمضى أحمد السعيد فى بحثه النابه الجديد فى أدب طه حسين ·

أيها السادة :

بدأت صلة أحمد السعيد بالمجمع عام ١٩٦٠ خبيراً بلجنة« المعجم الكبير » ، حتى أعير إلى جامعة الإمام محمد بن سعود بالرياض عام ١٩٧٤ ، حيث ظلّ بها أربع سنوات ، ولكن صلته العلمية بالمجمع لم تنقطع ؛ فقد واصل خبرتَه التطوعية بالمراسلة طوال سنوات إعارته ، حتى عاد إلى المجمع والجامعة عام ١٩٧٨ ، وفاز بعضوية المجمع بعد عام من عودته ، واتسع مجال إسهامه فى المعجم الكبير ؛ فصار عضواً فى لجنة إعداده ، ولجنة تنسيقه ، كما صار مقرراً للجنة التاريخ والآثار ، وعضواً فى لجان : اللهجات ، والكيمياء والصيدلة ، وعلوم الأحياء والزراعة ، والحاسب الإلكترونى ·· وتشهدُ له هذه اللجان ، كما يشهد له مجلسُ المجمع ومؤتمره بسَعة العلم ، وأصالة الرأى ، وبالخُلق الرَّضِىِّ السمح ، والإخلاص لعمله المجمعىِّ الذى يُؤْثِره على كل شىء ؛ حتى كاد يقْصُرُ عليه وقتَه وجهدَه ·· فأنت لاتكاد تلمحُه يَمْرُقُ من باب المجمع حتى يختفى عن ناظريْك حيث تتواصل حركته النشيطة بين لجان المجمع المختلفة ·· وهو فى مجلس المجمع ومؤتمره من أقطاب المتحاورين ؛ لايترك شاردةً ولا واردةً له فيها رأى إلا أدْلَى به ، فى بيانٍ مُحكمٍ رصين ، مُوثَّقٍ بالشاهد والدليل ·

وللدكتور أحمد السعيد بحوثٌ مجمعيةٌ ضافية ، منها بحثُه الذى ألقاه فى مؤتمر الدورة السادسة والأربعين : « تأصيلُ بعضِ الدخيلِ من أسماء الملابس والأطعمةِ فى كتاب الجبرتىّ » ٠٠ وهذا البحث جزء من معجمه الكبير « المتدارك » الذى جمع فيه فواتَ المعجماتِ من المعرب والدخيل ، والذى نأمل أن يرى النور عن قريب ، وقد استخرج من هذا المعجم كتابه : « تأصيلُ ما ورد فى تاريخ الجبرتى من الدخيل »٠

كما أسهم الدكتور أحمد السعيد فى مؤتمر الدورة الخامسة والخمسين ببحثٍ عنوانه : « ألفاظٌ حضاريةٌ بطَلَ استعمالها » ٠

أيها السادة :

هذا هو أحمد السعيد الذى أبَتْ له مواهبه إلا أن يكون رائداً فى أكثر من مجال ٠٠ فهو الأول فى دراسة اللغة التركية ، وهو أول مَنْ دَرَّسَها فى الجامعة من غير المصريين ، وهو رائد فى دراسة التاريخ الإسلامىّ للترك والمغول ، والأدبِ الصوفىِّ التركىّ ، بما أَلَّفَ وأشْرف ؛ فقد أَعَدَّ طلأبه رسائل للماجستير والدكتوراه بلغت إحدى وثلاثين ٠

أحسنَ الله جزاءه ، وأكرمَ مثواه ، وأسبغَ عليه رحمته ورضوانه ٠

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ،

إبراهيم الترزى
عضو المجمع

الذِّكْرَى الزَّكِيَّة

للدكتور محمد يوسف حسن

إلى روح الصديق والزميل العزيز المغفور له
الأستاذ الدكتور أحمد السعيد سليمان ،
عضو مجمع اللغة العربية - أُلقيت فى حفل
تأبينه ، بدار المجمع فى ٢٧/ ١١/ ١٩٩١

(نحن شِئنا ، فلم يكن ما أردنا ... هُ ، وتَمَّت لله فينا المَشِيَّه)
فقضاءُ المَنُونِ غايةُ دنيا ... نا لدارِ حياتها أبديَّهْ
ليس يُنجى من الحِمام طِبابٌ ... أو تعاويذُ ، أو دموعٌ أَتِيَّه
فإذا حُمَّتِ المنايا ، فما فى ... كلٍّ هذا يدٌ تردُّ مَنِيَّه
وقُصارنا فى انتظارٍ ، دُعاءٌ ... وابتهالٌ بلطفه فى البَلِيَّه

*   *   *

احتسبناك يا سعيد ، ولكنْ ... ضعضعتْنا أهوالُ وقع الرَّزِيه
ليت شِعرى ، وهل أُجيد رِثاءً ... ترتضيه ، يا جَهْبَذَ العربيه
لا أرانى أوفيكَ حقك لكنَّـ ... ـهُ جهد المُسطاع من أصغريَّه
والدموع الغِزار ما عوَّضَت ... عن قُصورٍ أُحِسُّه يا أُخَيَّهْ

*   *   *

ياصديقا كانت صداقته فى اللـ ... ـه والحقِّ ، عَذبةٌ ونقيَّه
كنتَ سمْحاً ، مجاملاً ، ووفيّاً ... كنتَ ذا إيثارٍ ، وذا أريحيَّه

وعَطوفاً ، ملاطفا فى وقارٍ   باسماً بسمة الوليد البَريّه
فإذا مَسَّ الحقَّ شبهةُ غبنٍ   ذُدتَ عنه بغضبة مُضَريّه
ليس فيها تقاعسٌ أو تَراخٍ   ليس فيها تحفّظٌ أو تَقِيّه

* * *

ياتقياً وعابداً ، عارفاً باللـ   ـه ؛ تلك الشمائل الصوفيه
كنتَ للدين ناصراً ومُقيماً   ووَليّاً له بلا عَصبيّه
فإذا مَسَّه أذىً من بُغاةٍ   ذُدتَ عنه بغيرةٍ وحَميّه

* * *

ياصبوراً على المُلمّات كم وا   جهتَها ثابتَ الجَنان قويّه
يا حليما على العُداة ، فإن لَجّـ   ـوا ، فحسمٌ بصولة قَسوَريّه
ياجليداً على الصعاب بعزمٍ   من حديدٍ ، وهِمّة عُمَريّه

* * *

ياعليماً من اللغات بخَمسٍ   كلُّها قد أجدتَ فى عبقريه
كنتَ فيها محقّقاً وفقيهاً   حُجّةً فى آثارها الأدبيه
يادقيقاً ، مُمحّصاً كل أمرٍ   حتى ولو كان شبهَ قَضيّه
ياشديد المِراس فى الجَدل العِلـ   ـمِيِّ ، يامفحِماً بلا عُنجُهيّه

* * *

افتقدناك ياسعيدُ ، فواحُز   ناً على مجْمع السجايا السَّنيّه
افتقدناك فارساً صِنديداً   من صناديد مجمع العَربيّه
افتقدناك غير أن عَزانا   فيك ، ذكراك ياسعيد الزَّكيّه

محمد يوسف حسن

عضو المجمع

كلمـة الأســـرة

فى حفل تأبين المرحوم الدكتور أحمد السعيد سليمان

ألقاها ابنه ياسر أحمد السعيد سليمان

نَعَى النَاعِى أعزَّ عـزيز فَتَدَفَّقَ الدمُ من قلبى وسَالَ الدمعُ من عَيْنى .. إن مِثْلَه لا يمُوت .. إن أحمد السعيد لا يموت – هو العـالمُ المعـلم ،هو المؤرخُ الأكـاديمىّ هو اللُّغَوىُّ الأديب ،هو الدارِسُ المَوْسُوعِىّ، هو الباحثُ الناقد هـو فـقـيدُ العلـمِ واللُّغة هو الوطَنىُّ الغـيور الذى أسـهمَ فى حَـلِّ مُشْكِـلـة « طـابا » ، فعـادت « طابا » إلى أحضانِ الوطنِ الأم – « مصر » – هو فقيدُ الوطنِ والعُروبة والإسلام .

إن أحمـد السعيد باقٍ مـا بَقِيَتْ كُتُـبُه وأبحاثُه ودراسـاتهُ تُنِيرُ الطريقَ أمامَ أجيالٍ متُـعاقِـبةٍ من العلمـاءِ من أساتذةِ اللـغاتِ الشرقيةِ والعربيةِ ودارسى التاريخِ الإسلامى والتصوفِ والدين .

– وهكذا ، يعيشُ « العلاَّمة » مرَّتين !

– إن أحمـد السعـيد حىٌّ .. خـالد .. أليسَ هـــو عـضــواً فى مـجـمـع الخـالدين ؟!

كان الدكـتور أحمد السـعيد سليـمان .. عَـربيًـا خـالص الـعـروبة ، شـديدَ الإحساسِ بعُرُوبتِهِ .

وكان عاشـقاً للعروبة وعاشقاً للغَـتها .. كان لا يتكـلمُ إلا اللغةَ الفُـصْحى فى المجـمع .. فـى الجامـعة .. وحتـى فى البـيتِ بين أهلِهِ وأُسْـرَتِه – وكنا نداعبُـه قـائلين: « إننا لسنا فى المجـمع » – فيـردُّ قـائلاً : « إننى مـجـمـعىٌّ أصـيلٌ فى كل مكان » .

وكان رحـمة الله ، مع إجادته التـامة للغة التركية والفارسية والفرنسية والإنجليزية – يرى أن اللغـاتِ الغربيةَ والشرقيةَ .. كلَّها قاصرةٌ عن نَقْلِ الأفكارِ الدقيقةِ والأحـاسيسِ العميقةِ مـاعدا اللغَة العربية ... لغة القرآن الكريم .

– وقد بَدَأ عِشْقُـه للغةِ العربيةِ منذ أن كان بالمدرسـةِ الابتدائيةِ صـبياً ، وقـد قال عنه الأستاذ عبـد الغنى حسن – رحمه الله

- عند تقديمه للمجمع « وكان مُدَرِّسَه فى مدرسة المنصورة الثانوية » - «إنَّه كان يحفظ كثيراً من الشعر العربىّ ... القديم والحديث ، ولا يُخْطِىء فى نسبَة ولايخلط فى رِوَاية » .

وكان فى شبابه المبكر يقرضُ الشعر .

وكان حينذاك فى التاسعة عشرة من عمره - كان أحمدُ السعيد مُتَميِّزًا فى اللغة العربية .. ويرجعُ تَميزُه هذا إلى نشأته الأولى فلم يكن والدُه عالماً ... ولا أديباً ... ولا أستاذًا ... بل كان تاجرَ غلال مثقفاً يَحْلُو له أن يجالسَ وَلَدَيْه .. الابن الأكبر الدكتور لبيب السعيد (صاحب المصحف المرتل) والابن الأصغر التلميذ أحمد السعيد . كانوا يجلسونَ حولَ المائدة يقْرَءُون بشغفٍ كتبَ الفقهاء والأدباءِ والشعراءِ ويُتَابِعونَ معاً الخلافاتِ الأدبيةِ المُمْتِعَة التى كانتْ تقومُ فى الثلاثينيات والأربعينيّات بين كبار الأدباءِ والشعراءِ وتُنْشَرُ فى مجلاتِ « الرسالة - والمقتطف - والبلاغ ».. وغيرها .

كان أحمدُ السعيد مَبْهُوراً بهذا المناخ « العلْمِىّ » - فما كان منهُ إلا أن هجرَ تمامًا اللَعِبَ مع أترابِه فى شوارعِ المنصورة ، وتَفَرَّغَ للقراءةِ والثقافة - وحفْظ الشعرِ القديم والحديثِ - وكانَ يرْوِيه على مَسَامِع أبيه فيَطْرَبُ له ويُشَجّعُه ويَدْعُوه «بالسيد الدكتور أحمد » - .

ومنذ ذلك العهد البعيد وَهَب حياتَه للعلمِ ورَسَمَ لنَفْسِهِ خطواتٍ واضحةً سار على نَهْجهَا إلى النهاية .... مُخْلِصاً ... مُتَفَانياً .

وَمَضَتْ مَسِيرةُ الحياة .. وحققت له الأيام آمالَه .. وصَافَحَ الملكَ السابقَ فاروق مرتين ، مرةً لِتَفوقِه فى ليسانس آداب قسم اللغة العربية سنة ١٩٤٤ومرة أخرى

سنة ١٩٤٧ وكان ذلك لتَفوقه فى دبلوم اللغاتِ الشرقية .

وأهداهُ الملكُ صورتَهَ مكتُوباً عليها إهداؤه الخاص

وكان هذا فى ذَلِكَ الزمان شرفاً .. ما بَعْدَه شرف !

– ثم واتته الفُرْصةُ لخدمةِ العلمِ والعُلَماءِ فى مِحْراب الجامعة .. جامعةِ القاهرة بعد حصولِه على رِسَالَتَىْ دكتوراه الدولة من السوربون .. فى باريس .. أى منذ سنة ١٩٥٦ إلى نهايةِ الأجل .

– وإن أنسَ فلن أنس يومَ فوزِهِ فى الترشيح للمجمع اللغوىّ .. بعد أن قضى زُهَاءَ تسعةَ عشرَ عاماً خبيراً به .

كان هذا اليوم المُشْرق المُضِىء من أسعدِ أيام حياته ، ولقد كان ذلك اليوم من أسعدِ أيام حياتِنا جميعاً كأسرةٍ صغيرةٍ .. تَلْتَفُّ حول رائدِها ، تفرحُ لِفَرَحِه وتَسْعَدُ بإنجازاته ، وكان أعْظَمُ إنجازٍ تُوِّجَ به حياته هو انضمامه إلى مجمع الخالدين – مجمعِ أهلِ الفكر والأدب – مجمع رُوَّادِ البحثِ والعِلْم

إن المجمعَ صومعةٌ لحُماةِ اللغةِ وأصحابِها لا يَلِجُها منهم إلا ذُو حظٍّ عظيم – وكان الدكتور السعيد يُدْرِكُ ذلك تماماً – وكان – رحمه الله – ذا حظٍ عظيم !

– وإذا استطرد الحديثُ عن هَواياته ، فإننى أقولُ : إنَّ عملَه ؛ كان هو هوايته الأُولى والثانية .. والأخيرة .. ولعلَّ ذلك هو سرُّ تَفَوُّقِه .

وكانت لَذَّتُه الكُبرى فى ركونِه الدَائِم إلى حجرةِ مكتَبِه وَقَضَائِه الساعاتِ الطوال مع أصدقائِه القُدَامَى والمُحْدَثِين : مع الإمام البُخَارَىّ – وابن الفارض – وجلال الدين الرومى – والزبيدى – والسيوطى – وابن تَيْمِية – والمَثْنَوِى – والجبرتى – ومحمد إقبال – وخليل أدهم – وعبد الله المغاورى . والبكتاشية وشيوخها وأصحابِها – وبارتولد – وكوبر لى – ولويس ماسينيون – ولويس بازان– ودينيه – وأندريه روسو –

ولويس برنارد – وطه حسين – وشوقى – وحافظ – والعقاد – والمازنى – وتوفيق الحكيم – وتيمور وغيرهم ... وغيرهم كثيرين .

– كان هؤلاء هم أصفياءَه وأحباءَه يَقْضِى معهم أسعدَ الأوقاتِ يُنَاقِشُهم ويُناقشونَه وَيُجَادِلُهم ويُجَادِلُونَه .

– وكان له أيضا أصدقاء ومريدون فى الجامعة وأحباء ورفقاءُ فى المجمعِ يحبونه

- وَيحترِمُـونَه - « علما وخلقاً » ، وذات يوم بَاحَ لهم بِمكْنُونِ صَـدْرِه - وكان ذلك عند تأبينـه لزمـيله عـضـوالمجـمع الراحل الدكتـور زكى الشافـعى - وكانَ قـد فُجِعَ بوفَاة أخَـوَيْه يوْمَهـا قال : « ولَمْ يكُن لِىَ بعـد أخَوىَّ أهْلُون ألْوذُ بِهم إلاَّ إخـوة هذا المجمع » .

لقـد كان الدكـتور السـعيد وإخـوتُه بالمجمع « كَعَيْن وأُختِها أوْ كَتَفٍ ومِعْصَم » وكـان يعـيشُ مع الجـمـيع بقلبِـهِ وَعـقْلِه وَمَشاعِره .

- وقد مَـدَحه صديقـهُ عضـو المجمع المرحـوم الدكـتـور إبراهيم الدمـرداش فى قصيدة قال فيها :

« لَماً رايتُ جُمُوعَ الطَّير مُقْبلَةً
تُلْقِى التحيةَ ألحاناً وتَغْريداً
أيْقَنْتُ أنَّ « ديارَ السَّعْد » وجهتُها
تُهْدى « سليمانَ » غُصْنَ السلْم تَقْلِيدَا
مَنْ غير أحمدَ يَدرى كُنْهَ مَنْطِقها
حتى يَؤُمَّ صلاةَ الْطَيرِ تَجْوِيدا
فالفُرسُ ذاكرةٌ والتُرْكُ عارفة
والعُرْبُ شاهدٌ بالفَضْلِ تَمْجيدا »

ويقول الدكتـور مهـدى عـلام . أسـتاذُنا الكبيـر - تعليقـاً عـلى هـذه القصـيدة أو الوثيقة كما أسْماهاً « إنها تعبيرٌ عن شعورِه نحو صديقِه وزميله الدكتـور أحمد السعيد سليـمان ، بالإشـادةِ بما هو معـروفٌ لنا جميعاً عن الدكتور السعيد من نبلِ خُلق ، وَصِـدْقِ وَفَـاء ، وعِلمٍ غزيـرٍ فى عُمْـقِـه وشُمُوله . . » .

وفى مجالٍ آخر وَصَـفَه بقوله : « إن الدكتور السعيد فيه حماسُ الشبابِ وحِنْكَة الشيوخ » . إن هذه والله لكلمـاتٌ عظيمة من عَالِمٍ عظيم .

- لقد تكلمتُ . . . وتكلمتُ . . . فَأطَلتُ - فَـعفْواً - ومَـعْذِرة - فالفَاجِـعَة أليمةٌ والمُصَابُ جَلَل .

وإليه أهْمِسُ قَائِلاً : « وإنا لِفراقِكَ يا أبى لَمحْزُونُون » .

« بَعُدْتَ وعزَّ إليك البَرِيدُ
وهلْ بينَ حىٍّ وميْتٍ بريدُ ؟
أجل ، بَيْنَنا رُسُلُ الذِكْرَيَات
وماضٍ يُطيفُ ، ودمع يجودُ »

- فعزاءٌ لمصر - وللعروبة والإسلام ، وعزاءٌ للغةِ والعلمِ والتراث و« المُعْجم الكبير » - وعزاءٌ لكم ياصفوة العلماء والمفكرين والنُّحَاة ، عزاءٌ فى عالِم جليل - يَعزُّ فيه العَزاءُ - عَرَفْتُموه فقدرتموه ، وأحْببتُموه فَرَشَّحتُموه لجائزةِ الدولةِ التقديرية للآداب لعام ١٩٩٠ ، ففازَ بها ، وسعدت الجائزة به ، ولم يَسْعدْ بها لأنها جاءَتْه . . . وكان قد رَحَل - أجل - لقد رحل الدكتور أحمد السعيد سليمان - قبلَ إعلانِ فَوْزِه بأيامٍ قلائل - رحمه الله رحمةً واسعةً وأدخلهَ فسيح جناته مع العُلماءِ والبررة والنَبيِّين .

إن اللسانَ ليَعْجزَ عن التعبيرِ عمَّا يكنه القلبُ من جزيلِ الشكرِ وعميقِ العرْفان لإقامتكمِ هذا الحفل لتأبينِ فقيدكم العزيز ، وعزيزنا الفقيد « الدكتور أحمد السعيد سليمان » .

فشُكْراً لكم - أيها الخالدون - شكرا لسيادةِ الأستاذِ المبجَّل رئيس المجمع المُوقَّر الدكتور إبراهيم مدكور - وللسادة الأعضاءِ الأفاضلِ .

ثم شُكْراً - وامْتِناناً - وإعْجَاباً . . لأستاذنا الأديب الكاتب إبراهيم الترزى على كلمته البليغة الشاملة ، ولشاعرنا العالم الدكتور محمد يوسف حسن على قصيدته الرائعة

المؤثرة ، وما هذه وتلك سوى نتاج صدْقِ وود . . وخَالِص مَحبَّةِ . . ورقَّةِ شُعُور .

- متَّعكم الله جميعاً بموفورِ الصحةِ والعافيةِ ، وأمدَّ فى أعمارِكم لِتَحْمِلُوا الشُعْلَة . . شُعْلَة الحضارة . . والعِلْم . . واللغة . . ولتكُونُوا دائماً أبَداً ذُخْراً للوطن ، وفَخْراً للعروبة والإسلام .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ،

ياسر أحمد السعيد سليمان

كلمة وفاء ورثاء

فى المرحوم الأستاذ الدكتور محمد الطيب النجار

للأستاذ الدكتور محمد نايل أحمد

عضوالمجمع

عـجبا لتـصـرف الأقـدار ، وتغلب الأحداث - نـستقـبل اليـوم زميلا نمـدحه ونكرمه ، وغدا نفتقده فنبكيه ونؤبنه . . . وهذه هى الحيـاة التى يختصم فيـها الناس ويتقاتلون عليها !!

بالأمس كنا نحتفل باستـقبال الدكتور النجـار ، نبرز مـواهبه وعطاءه ، واليـوم نرثيـه ونودّعـه ، يـالهـا من مـفـارقـات ومناقضات . !!

عرفت محمد الطيب النجار عن قرب فى أطوار حيـاته ومواقعـه ، عرفتـه طالبا ناشـئـا يرافق والده الشـيخ الطيب فى كل تنقلاته ، إذ كـان والده رحمه الله أسـتاذا فى كلية أصول الدين بشبرا فى أول إنشائها

ثم التـحق الطـالب مـحـمـد الطيب النجار بكلية اللغة العـربية ، بقسم التاريخ حين كنتُ مدرسا بها حتى إذا حصل على الدكتوراه عين مدرسا بها فترة من الزمن ، ثم أعير إلى الرياض فـترة أخرى ، ثم عاد من الرياض ليشغل وظيفة وكيل للأزهر ، ثم رئيساً لجامعة الأزهـر ، ثم اختير عضوا بمجمع اللغة العربيـة ، ورئيسا لمركز السنة بالمجلس الأعلى للشئون الإسلامية .

كان رحمـه الله رقيق المشاعر ، يـهتز للمـعروف ويُطْرِى فـاعليه ، تعـبيـرا عن أريَحِيَّته التى يخـجل من الحديث عنها . .

لقد كـان محسنا أيَّما إحـسان ، يرعى كل محتاج إلى هذا الإحـسان ، وكان خجولاً عَطُوفـاً ، له قلب طـيب ، كـأنـه قلب طفـل غـرير ، لايحمل من همـوم الحيـاة شيئا . .

وكان فى كل مـواقعه ومناصبـه شديد التواضع ، جم الأدب ، كريم الخلق .

★★★

كان الدكـتور مـحمد الطيـب النجار موسـوعىٌّ الثقـافة ، أديبـاً بليغ البـيان ، ولكن تخـصصـه العلمىّ كان فى التـاريخ الإسلامىّ ، وله فيه مؤلـفات عديدة تشهد

ببراعته الفائقة فى دارسة التاريخ ومعالجة قضاياه ، والانتهاء من ذلك إلى رأى تدعمه الأسانيد والشواهد والبراهين ؛ فهو ذو شخصية علمية بارزة ؛ تستجلى حقائق التاريخ ، وتستخلص عِبَرَها ؛ لنستنير بها فى حاضرنا ومستقبلنا .

ومن مؤلفاته :

- القول المبين فى سيرة سيد المرسلين (وقد نال به جائزة باكستان فى السيرة النبوية الشريفة)

- دراسات فى السيرة النبوية .

- الصليبيون وصلاح الدين .

- محاضرات فى تاريخ العالم الإسلامى

- تاريخ الأنبياء فى ضوء القرآن الكريم والسنة النبوية .

- الموالى فى العصر الأموى .

- نظرات فى عصر الخلفاء الراشدين .

وقد أسهم فى لجان المجمع ومجلسه ، ومؤتمرة إسهاماً علميًّا جليلاً ، ببحوثه ومناقشاته .

وكان عضواً بلجنة التاريخ والآثار ، ولجنة ألفاظ الحضارة وغيرهما من اللجان.

وكان إلى جانب ذلك كله خطيبا بارعا رقيق النبرات ،لطيف المداخل ، بعيد الإشارات . استمع إليه المرحوم أنور السادات حين كان رئيسا للجمهورية فى حفل دينى بقاعة الإمام محمد عبده ، حتى إذا انتهى من كلمته نهض إليه السادات يصافحه وقد رأى التصفيق الحاد من شباب الجامعة إعجابًا ببيانه وأسلوبه ، فقرر أن يمدَّ له عامين جديدين فى رياسته للجامعة .

ولقد سعدنا به زميلا كريما فى مجمع اللغة العربية ، دقيق الملاحظة ، بارع التعليق ، لطيف الدعابة ، وقد اختير مقررا للجنة التاريخ والآثار بالمجمع ، فساعد فى العطاء ، وأَغْنَى عملها ، بما يحفظه له المجمع فى تراثه المجمعى الخالد .

رحم الله الدكتور محمد الطيب النجار وأنزله منازل المتقين الأبرار فى جنات النعيم إن شاء الله .

محمد نايل

عضو المجمع